8510

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

vAR-8310 al-Shahrastānī,

السيد هبة الدين الشهرستاني

الهيئة والإسلام

تقديم واشراف ـ السيد احمد الحسيني

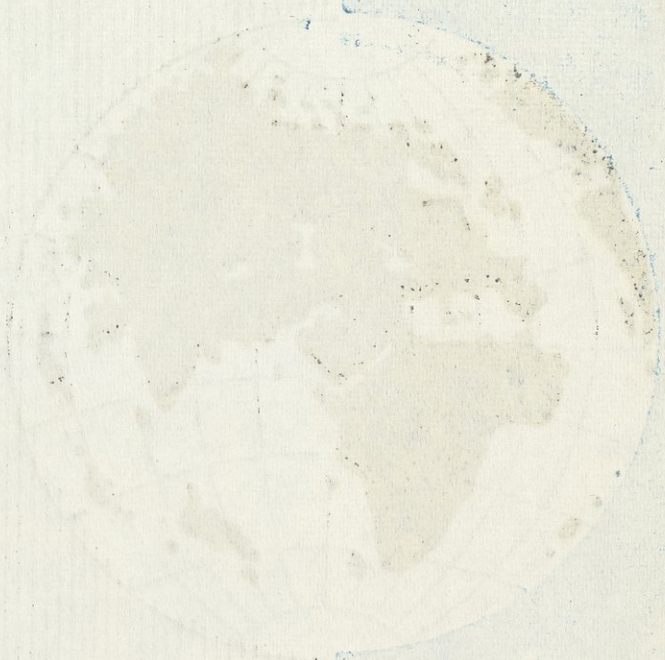

الهيئة والإسلام

تأليف

سماحة الامام الحجة
السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

تقديم واشراف

السيد أحمد الحسيني

مطبعة الآداب
النجف الاشرف - تلفون ٨٩٨٠
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

BP
190.5
.S3
S5

الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ
الطبعة الثانية سنة ١٣٨١ هـ
الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٤ هـ

تصميم الغلاف بريشة الفنان يحيى جواد الخطاط

DEC 10 1971 PL 480

تقديم

بقلم

السيد احمد الحسيني

(١)

أحمد الله تعالى على ماناال مجهودى المتواضع الذى بذلته فى سبيل احياء هذا الكتاب القيم فى طبعته السابقة من اعجاب العلماء وأرباب الفضل وسائر المعنيين بالكتب العلمية الاسلامية ...

وأشكره سبحانه على ما لقى عملى هذا من تشجيع المؤلف سماحة الحجة الكبير السيد هبة الدين الشهرستانى - حفظه الله وأطال أيام حياته الغالية - وتقديره للمساعى المبذولة فى احياء هذا الأثر الاسلامى العظيم الذى طالما تشوقت الى بعثه من جديد نفوس لفيف كبير من المثقفين فى أرجاء العالم ...

ولقد سرنى كثيراً ما وجدت من الاقبال والتلهف على الطبعة التى كان لى شرف الاشراف عليها وتصحيحها ونفادها فى أشهر قلائل وشدة الطلب عليها من البلدان العراقية والخارج ، وترجمة هذه الطبعة بالذات الى الفارسية

بقلم فضيلة الأستاذ العلامة السيد هادى الخسروشاهى وطبعت الترجمة فى ايران سنة ١٣٨٣ هـ .

كنت بذلت أياماً طويلة فى تنسيق هـذا الـكتاب وإخراجه بالحلة القشيبة التى رآها القراء الأعزاء فى الطبعة السابقة ، وأنا مغتبط إذ كان النجاح حليفى فى القيام بهذا العمل ولم تذهب أيامى سدى .

(٢)

طبع هذا الـكتاب القيم لأول مرة سنة ١٣٢٨ هـ فأحدث ضجة كبيرة فى الأوساط العلمية ، وأقبل على قراءته جماهير كثيرة من العلماء ، وقرضه أساطين العلم وكبار أصحاب القلم والشعر ، ونشرت عنه سائر المجلات فى مختلف البلدان الاسلامية وغيرها ، وتكدست لدى سماحة المؤلف رسائل عديـدة من مقدرى العلم وعارفى الفضل وأهله ، وكان من المستحسن أن نذكر هذه الـكتب والرسائل والقصائد التى انشئت فى تبجيل هذا الـكتاب وتجليل مؤلفه ، ولـكن مقدمة عابرة قصيرة كهذه لا تسع لذكر أمثال هذه التقاريض ، فلنكتف بسرد بعض ما قيل :

كتب العالم الروسى الـكبير طالبوف من روسيا الى المؤلف :

« اننى وجدت ظالتى المنشودة فى كتاب الهيئة والاسلام ، واتأسف على ما أصاب عينى وحرمنى من القيام بترجمته الى اللغة الروسية حتى يرى العالم سرعة انقياد علماء الروس للاسلام ، وحقاً ان المسلمين يجب أن يفتخروا بك لأنك فى كشفياتك الدينية تفوق علماء أروبا فى كشفياتهم الفنية » .

وكتب الأستاذ الـكبير ميخائيل نعمة من نيويورك :

« ان ما أدركه الشرق منذ أجيال بايمانه واختباراته الروحيه يحاول الغرب اليوم أن يتوصل اليه بتلسكوبه ومكرسكوبه ، ومن العبر أن الغربى كلما درس وتعمق عاد الى الشرق ونفض عن بعض تعاليمه غبار الدهور وصقلها ثم عرضها على اخوانه كأنها حقائق جديدة ، فهو ينقب فى هذه الأيام عن فلسفات الصين والهند والعرب والعجم ليجد فيها مفاتيح لما أقفل فى وجهه من أسرار الوجود ... » .

وكتب الفريق محمد باشا المستشهد سنة ١٣٣٥ هـ :

« مضى على ستون سنة لا يزول الشك من قلبى فى أن الاسلام كيف يمكن موافقته مع حركة الأرض وكيف يمكننا التوفيق بين دين الاسلام مع الكشفيات الجديدة حتى وجدت فى سنة ١٣٣٣ هـ نسخة من الهيئة والاسلام فى الكوفة فسجدت لله شكراً وأقسمت أن أسعى بعد الحرب العمومية فى ترجمة هذا الكتاب الى التركية واطبع الأصل مع الترجمة فى الآستانة ونشرهما مجاناً على تلامذة المدارس الجديدة لأننى أعلم انهم مصابون بأشد مما أصابنى » .

وكتب أحد العلماء الكبار :

« ان الهيئة والاسلام صير الهيئة اليونانية هباءاً ورماداً ودفعها الى دار الفناء والعدم ، لأنها فى القرون الأخيرة لم تكن قائمة فى الحقيقة بمجسطيها بل قائمة بما فى أدمغة المسلمين من انها هى الموافقة لدينهم ، فلما راج كتاب الهيئة والاسلام وتلألأت آياته وبيناته فى أنظار ذوى العلم أضحت الهيئة اليونانية كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وولت مدبرة كأن لم تكن ، وعمدة وأقوى سلاح فى هذا الكتاب هو شرحه لأربعة مضامين هى مما ثبت

عن دين الاسلام بلا شك : ١ - آية اشتمال السماء على الدواب ، ٢ - حديث القباب ، ٣ - دحو الأرض ، ٤ - خبر الرضا فى الأرضين . كانت هـــذه المضامين قطعية غير أن غموض معانيها حجبها عن الأنظار ، فلما فسرها الشهرستانى بأحسن التفسير حازت منزلتها العليا لدى التأثير » .

وكتب الكاتب المصرى الكبير الشيخ عبدالعزيز الجاويش فى كتابه (الاسلام دين الفطرة) :

« هنا يجمل أن اذكر بالخير أحد مجتهدى الشيعة هبة الدين المشهور بالشهرستانى وهو من علماء عصرنا ، فقد وضع كتاباً قيماً بين ما فى الهيئة الحديثة والاسلام من الاتصال ، فأتى على بعض مباحث قيمة مفيدة يحسن أن أقتبس منها ما جاء له من بيان معنى السماء فى القرآن ... » .

وكتبت مجلة الآثار اللبنانية فى العدد الثانى المجلد الثانى لسنة ١٣٣٠ هـ :

« الهيئة والاسلام هو كتاب يبحث فى استخراج مسائل الهيئة الجديدة من ظواهر الكتاب والسنة تأليف حضرة .. السيد هبة الدين الشهرستانى من كبار علماء بغداد .. استقرى فيه جميع ما يتعلق بفن الهيئة مستشهداً بأقوال كبار الفلكيين .. وبحث فيه أبحاث مفيدة جديرة بأن يطالعها كل مولع بالفلك وآثاره ... » .

الى غير ذلك من التقاريض الكثيرة التى لم يحضرنا الآن كلها ، وقد طبع بعضها فى مجلة (العلم) السنة الأولى والثانية .

(٣)

وكان من شدة الاعجاب بهذا الكتاب أن بادر لفيف من العلماء الى

ترجمته الى اللغات الأخرى نذكر فيما يلى بعض ما اطلعنا عليه من الترجمات :

١ - ترجمة السيد محمد هارون الهندى الى الأردوية ، وسماها (البدر التمام فى ترجمة الهيئة والاسلام) وطبعت هذه الترجمة فى لاهور سنة ١٣٢٩ هـ .

٢ - ترجمة حاكم منطقة غرب فى ايران محمد باقر ميرزا الى الفارسية سنة ١٣٢٩ هـ .

٣ - ترجمة السيد احمد بن السيد ابراهيم الهندى الى اللغة الهندية ، وسماها (فلسفة الاسلام) وطبعت هذه الترجمة فى لكنهو سنة ١٣٣٠ هـ .

٤ - ترجمة ميرزا محمود الشهابى الى الفارسية ، وكان المترجم من أساتذة كلية المعقول والمنقول فى طهران ، وكانت الترجمة سنة ١٣٤٠ هـ .

٥ - ترجمة الفردوسى الفراهانى الى الفارسية ، وطبعت هذه الترجمة لأول مرة فى جريدة (العراق) التى كانت تصدر فى سلطان آباد ، ثم طبعت الترجمة مستقلة سنة ١٣٥٦ هـ فى النجف الاشرف .

٦ - ترجمة السيد مير على الهندى التبريزى الى الانجليزية ، وتوفى المترجم قبل اكمال الترجمه .

٧ - ترجمة السيد هادى الخسروشاهى الى الفارسية ، وطبعت هذه الترجمة سنة ١٣٨٣ هـ فى ايران .

(٤)

ومؤلف هذه الدرة الثمينة والسفر القيم هو نابغة الدهر وفيلسوف العصر سماحة السيد محمد على (هبة الدين) الشهرستانى .

ولد السيد سنة ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣ م فى مدينة سامراء ونشأ بها نشأة صالحة تحت كنف والده الحجة السيد حسين العابد كانت تبشر بمستقبل زاهر ثم هاجر الى النجف الأشرف سنة ١٣٢٠ هـ وكان عمره يومذاك ١٩ سنة فبدأ يحضر عند وحيد عصره الآخوند الخراسانى والآية اليزدى وشيخ الشريعة الأصفهانى ، وكان موضع حفاوة ورعاية أساتذته منذ ورد النجف الأشرف .

وهجرته الى النجف الأشرف قصة طريفة لا بأس بذكرها :

لما توفى والده فى كربلاء سنة ١٣١٩ هـ حضر العلامة المشهور المحدث السيد مرتضى الكشميرى من النجف ليعزيه بفقد والده وأصر عليه الهجرة الى النجف لتكميل دروسه بها ، وبعد تردد طويل تفأل بالقرآن الكريم فجاءت هذه الآية المباركة : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ (١) فعزم السيد على الذهاب الى النجف والبقاء هناك .

ولم يكتف السيد فى أيام دراسته بالدروس الدينية والكتب الدراسية التى كانت تدرس فى المجامع العلمية ، بل أخذ يقرأ ويدرس كثيراً من العلوم القديمة والعصرية الأخرى ، وخاصة الفلسفة وما يتصل بها من المباحث التى كتبها علماء الشرق والغرب مسلمون وغير مسلمين .

وكانت ثقافته ثقافة مزيجة من شتى العلوم والفنون ، مرتوية من المناهل العذبة السائغة ، لم تقف عند حد ولم تقنع بمقدار معين ، وظهرت

---

(١) من الطريف فى هذه القصة ان ام سماحة السيد كانت تسمى (مريم) فكان فى هذه الآية اشارة لطيفة .

هذه الثقافة العالية فى مؤلفاته القيمة التى كانت آية كبرى ونوراً ساطعاً للباحثين الاسلاميين الذين يريدون تفهم الاسلام تفهماً فيه شيء من العمق والاحاطة .

(٥)

وكان سماحة السيد مجدداً فى كتاباته ومؤلفاته ، نابذاً وراءه الطريقة القديمة الملتوية ومتبعاً الأسلوب العصرى الحديث ، فكان يكتب المواضيع العلمية الهامة المعقدة بأسلوب قريب من الأفهام ، واسلوبه الى جانب انه كان سهلا ليس فيه شيء من الصعوبة كان يتسم بسمة العمق فى التفكير والتروى فى الحكم والاحاطة بجوانب البحث .

وبدأ سماحته بالتأليف والتصنيف فى سن باكر جداً ، ولولا فاجعة عينيه التى أصيب بهما فى سنة ١٣٤٥ هـ لكان اكثر تأليفاً وتصنيفاً من العلامة الحلي والسيوطى اللذين اشتهرا بضخامة المؤلفات .

وقائمة مؤلفات سماحة السيد تربو على الثلاثمائة والخمسين كتاباً نذكر هنا نزراً يسيراً من تلك الكتب القيمة :

١ ـ المحيط فى تفسير القرآن الكريم ، ويحتوى على خلاصة النظريات والكشفيات .

٢ ـ تفسير سورة الواقعة ، نشر فى مجلة المرشد البغدادية .

٣ ـ المعارف العالية للمدارس الراقية .

٤ ـ توحيد أهل التوحيد ، طبع ببغداد سنة ١٣٤١ هـ وقررت وزارة المعارف العراقية تدريسه فى مدارسها الرسمية آنذاك ، وترجمه السيد صادق خان الى الفارسية وطبعت الترجمة سنة ١٣٥٢ هـ .

٥ ـ فيض البارى أو اصلاح منظومة السبزوارى ، طبع ببغداد سنة ١٣٤٣ هـ .

٦ ـ مواهب المشاهد فى واجبات العقائد ، ارجوزة طبعت بطهران سنة ١٣٢٤ هـ .

٧ ـ منهاج الحاج ، وهو منسك الامام زين العابدين برواية ابنه زيد الشهيد ، طبع ببغداد ١٣٤٢ هـ .

٨ ـ تحريم نقل الجنائز المتغيرة ، طبع سنة ١٣٤٢ هـ .

٩ ـ وقاية المحصول فى شرح كفاية الأصول ، وهو مشتمل على ما أفاده استاذه الآخوند فى مجلس درسه .

١٠ ـ الهيئة والاسلام ، وهو هذا الكتاب الذى طبع عدة مرات وترجم الى لغات شتى .

١١ ـ الشريعة والطبيعة ، وهو فى التوفيق بين ظواهر الشريعة ومظاهر الطبيعة .

١٢ ـ فيصل الدلائل فى أجوبة المسائل ، وهى أجوبة على أسئلة فيصل ابن زكى سلطان مسقط وامام عمان .

١٣ ـ جبل قاف ، طبع مستقلا وفى آخر هذا الكتاب .

١٤ ـ نهضة الحسين ، طبع ببغداد سنة ١٣٤٥ هـ وفى النجف مكرراً ، وترجم الى الانكليزية والفارسية .

١٥ ـ ثقات الرواة ، فى رواة صحاح الشيعة الاربعة .

١٦ ـ ترجمة جابر بن حيان ، طبع شىء من هذه الترجمة فى مجلة الاصلاح البغدادية ثم طبعت مستقلا .

١٧ ـ طى العوالم فى أحوال شيخه المولى محمد كاظم الخراسانى الشهير

بـ (الآخوند) ، نشر شيء منه فى مجلة العلم .

١٨ ـ رواشح الفيوض فى علم العروض ، طبع بطهران سنة ١٣٢٤ هـ .

١٩ ـ فغان اسلام ، رسالة اصلاحية فارسية طبعت سنة ١٣٣١ هـ .

٢٠ ـ أضرار التدخين ، طبع ببغداد سنة ١٣٤٣ هـ .

٢١ ـ التذكرة لآل محمد الخيرة طبع بغداد سنة ١٣٤٠ هـ ، وترجم الى لغة ملايو وطبعت الترجمة مع الاصل سنة ١٣٤٥ فى سورابايا .

٢٢ ـ الدلائل والمسائل فى أجوبة المسائل المختلفة طبعت ببغداد .

٢٣ ـ حلال المشاكل فى جوابات مختلفة لأسئلة متعددة .

٢٤ ـ رسالة ذو القرنين وسد يأجوج ومأجوج .

٢٥ ـ اصفى المشارب فى حلق اللحى وتطويل الشارب .

٢٦ ـ التنبه فى حرمة التشبه ، طبع ببغداد سنة ١٣٤٠ هـ .

٢٧ ـ حكمة الاحكام ، وهو يبحث عن فلسفة التشريع الاسلامى .

٢٨ ـ دليل القضاة ، مجلدان .

٢٩ ـ رسالة فى وجوب صلاه الجمعة .

٣٠ ـ زينة الكواكب فى هيئة الافلاك والثواقب ، نشر فصول منه فى مجلة العلم النجفية .

٣١ ـ أمير المؤمنين على عليه السلام ، عرض لحياة أمير المؤمنين وما قيل فيه .

٣٢ ـ زيد الشهيد .

٣٣ ـ سلالة السادات ، فى انساب البيوتات المشهورة من ذرية على عليه السلام .

٣٤ ـ أدعية القرآن الكريم .

٣٥ ـ ماهو نهج البلاغة ، طبع فى بغداد والنجف .
٣٦ ـ فلسفة هبة الدين ، فى المحاكمة بين الفلسفة القديمة والحديثة .
٣٧ ـ الهادى الى المهدى ، بحث مستفيض عن المهدى والمهدوية .
٣٨ ـ المعجزة الخالدة ، فى اعجاز القرآن الكريم ، طبع ببغداد مكرراً .
٣٩ ـ مسيح الانجيل أو مسيح القرآن ، رد على النصارى .
٤٠ ـ سيرة خيرة البشر ، بحوث مفصلة عن حياة الرسول الأعظم (ص) ومواقعه الحاسمة .

هذا سرد مختصر عن بعض المؤلفات التى دبجتها يراعة سيدنا الحجة ولم نأت على أسماء كل هاتيك المؤلفات روماً للاختصار ، وهى كما حدثناك تربو على ثلاثمائة وخمسين مؤلفاً .

(٦)

والى جانب هذه البحوث العلمية والمؤلفات القيمة الكثيرة أشغل سماحته مناصب حكومية هامة كان لها الأثر البعيد فى وضع الخطط الاساسية للسير عليها ، وهى :

١ ـ وزارة المعارف لسنة ١٩٢١-١٩٢٢ .
٢ ـ رئاسة المجلس التميز الشرعى لسنة ١٩٢٣-١٩٣٤ .
٣ ـ نيابة بغداد فى البرلمان العراقى لسنة ١٩٣٤-١٩٣٥ .

وكان فى جميع أدواره السياسية مثالا رائعاً للرجل السياسى المحنك الذى يقدم مصالح الشعب على مصالحه الخاصة ويخدم المجتمع خدمات جليلة مهما واتته الظروف .

ولم يعزب عن باله أن يأخذ دائماً فى كل خطواته بالتعاليم الاسلامية ويجعل نصب عينيه القرآن والسنة النبوية ، فكانت أعماله كلها تهدف الى نشر الاسلام واعلاء كلمة المسلمين واقامة الحق واماتة الباطل .

وكان حريصاً فى أيام وزارته أشد الحرص على أن ينشأ أطفال اليوم ورجال الغد مسلمون مرتوون من نمير الدين العذب غير منحرفين عن الطريق الدينى القويم ، وله فى هذه المجالات الاسلامية خطوات واسعة مشهورة يرددها التاريخ فيشكرها .

وأصلاحاته الاجتماعية الخطيرة التى سعى الى تحقيقها لم يمكن عدها فى هذه العجالة وتعدادها فى هذه المقدمة .

ومختصر القول : انه لم ينس فى كل الحالات الواجبات التى ألقيت على عاتقه ، فقام بها أحسن قيام ولم يتوان عنها طرفة عين .

(٧)

ولا بأس أن نذكر هنا سبب تأليف هذا الكتاب القيم مختصرين لما كتبه العلامة الحاج سراج الأنصارى فى مقدمته للترجمة الفارسية المطبوعة فى النجف الأشرف سنة ١٣٥٦ هـ ، قال :

قرأ المؤلف فى سنة ١٣٢٣ هـ شرح الچغمينى عند الحاج شيخ محمد باقر الاصطهباناتى وأثرت مسائل الهيئة القديمة فى السيد تأثيراً قوياً ألف على أثره كتابه (أداء الفرض فى اثبات سكون الأرض) ، وقبل أن يتم تأليف هذا الكتاب عثر على كتاب (الموائد) الذى ألفه الحاج الميرزا محمد حسين المرعشى الشهرستانى والذى طبع فى الهند ، فأخذ السيد فى قراءة هذا

الكتاب وعدل عن رأيه السابق فكتب كتاب (نقض الفرض فى اثبات حركة الأرض) ، وقبل اتمام هذا الكتاب بدأ يفكر فى تأليف (الهيئـــة والاسلام) ولكنه كان يتخوف من بيئته ويرى الأخطار محدقة بهذا العمل .

وكان جماعة من العلماء وخاصة السيد عبدالله البلادى البوشهرى يشجعونه على الاقدام لهذا العمل العلمى ويصرون على انجازه ، حتى رأى السيد ليلة فى منامه كأنه فى واد من أودية النجف الأشرف وأوراق القرآن الكريم مبعثرة فى ذلك الوادى ، فكان يجمع الأوراق وينظر الى جمال نقوشها وحسن خطها وورقها ويتأسف على عدم مساعد له فى جمع هذه الأوراق الثمينة ، وفى هذا الوقت ظهر سيد من ناحية الكوفة وقال له : تعال نجمع هذه الأوراق حتى لا تبقى تحت الاقدام .

فسر السيد المؤلف بمجيء ذلك السيد وبدءا معاً بجمع تلك الأوراق المبعثرة .

فتيقض السيد من نومه فى حالة انشغاله بالجمع ، وقص هذه الرؤيا للسيد عبدالله البلادى ، فعبر السيد البلادى النوم : أن جمع أوراق القرآن هو اكمال تأليف هذا الكتاب وتساعدك الفيوضات الغيبية ، ومن هنا زاد فى تشجيع المؤلف حتى اكمل التأليف وطبع فى بغداد سنة ١٣٢٨ هـ .

(٨)

وهناك سؤال هام كثيراً ما يتبادر الى الأذهان ويدور فى خلد كثير من الناس لابد من ذكره والجواب عليه ، وهو : ان النظريات الفلكية كثيرة

التغير والتبدل ، فترى ان نظرية جديدة حدثت فى هذا اليوم وجاء نقضها فى غد ، ومكتشف قال باكتشاف شيء ما وتفرع على هذا الكشف عدة أمور لها نتائج علمية ولكن سرعان ما جاء مكتشف آخر بين ما فى هذا الكشف من مواضع الضعف والخطأ ، فانهار الصرح العالى الذى كانوا قد شيدوه على هذا الأساس الواهى .. وهكذا دواليك فى الكشف والنقض .

فاذن المسائل التى هى عصرية فى هذا اليوم تصبح قديمة غداً ، فماذا تعنون من تكرار (العصرى والقديم) فى هذا الكتاب وما المراد من هاتين الكلمتين ؟

لقد تفطن سماحة المؤلف الى هذا السؤال قبل سنين طويلة ، فكان قد كتب جواباً عنه فى نسخته التى وصفناها فى مقدمتنا للطبعـــة السابقة ، واليك نصه :

« مرادنا من الهيئة العصرية إنما هو الفن المتداول من علم الفلك ضد الهيئة القديمة - أعنى مجموعة مسائل مبتنية على حركة الأرض ، ومركزية الشمس ، وسيارية المذنبات ، وعنصرية عوالم النجوم ، ونفى الجسم الفلكى . هذا الفن المؤسس على هـــذه الأصول الخمسة المعتمد على التلسكوب ، والميكرسكوب والسبكترسكوب - سواء تبدلت بقية مسائله كل يوم أو لم تتبدل - هو الذى يسمى بالهيئة العصرية » .

(٩)

وفى هذه الطبعة التى تقدم الى القراء الكرام رجعت الى النسخة التى وصفتها فى مقدمتى للطبعة السابقة والتى كانت مشحونة بخطوط المؤلف أيام كان له النشاط القوى للمطالعة والقراءة ..

وكان بودى أن يلاحظ سماحة المؤلف من جديد فى هذا الكتاب ويعيد النظر فى تلك الآراء التى أثبتها بالحجج القوية قبل خمسين سنة ويزيد فى معلومات القارئين لهذا الكتاب وينير لهم الطريق أكثر من ذى قبل ويقيم لهم الحجج الجديدة التى استجدت فى هذه الفترة المليئة بالمكتشفات وأسرار العلوم الطبيعية ، ولكن عوارض الشيخوخة التى عرضت على سماحته حالت دون هذه الأمنية واضطرتنا الى تقديم الكتاب كما كتب فى حينه مع بعض الاضافات التى وجدناها فى تلك النسخة الأثرية الثمينة .

وهذه الآراء التى أثبتها سماحته فى هذا الكتاب ربما قد تغير كثير منها وحل فى محلها آراء أخرى ، ولكن الآراء المتغيرة لم تكن من صميم الموضوع من جهة ومن جهة أخرى نعدّ هذه المحاولة محاولة علمية كان لها قيمتها يوم نشرت فى أرجاء العالم وسوف تبقى لها قيمتها وطابعها العلمى الى مدى بعيد غير معلوم ، وتكون مرآتاً صافية للجهود الجبارة التى كان يبذلها رجال العلم والدين فى سبيل احياء التراث الاسلامى الخالد .

(١٠)

ولا يسعنى فى الختام إلا ان أقدم آيات الشكر والثناء الى أصحاب (مطبعة الآداب) حيث بذلوا كل ما فى وسعهم فى اخراج هذا الكتاب بهذا المظهر اللائق البهيج .

فأسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير انه خير مأمول ومسؤول .

النجف الأشرف ٧/١١/١٣٨٤ هـ

السيد أحمد الحسينى

بين يدى الكتاب

يرجع عهدى بهذا الكتاب القيم إلى سنين متمادية ، إذ كنت احضر حينذاك حلقة درس فى الآداب فى احد المساجد بالنجف الأشرف وأرى فى زاوية ذلك المسجد أوراقا مبعثرة كثيرة مطبوعة ومخطوطة . وفى ذات يوم لم يأت الاستاذ ساعة الدرس وبعد الانتظار واليأس حدانى حب الاستطلاع الى النظر فى تلك الأوراق فرحت افتش فيها واقلبها بتروٍ ودقة حتى عثرت على اوراق مطبوعة من كتاب فارسى يبحث فى الهيئة الحديثة ويوفق بينها وبين ماورد من هذا العلم فى الآيات القرآنية وأحاديث النبى الكريم وأهل بيته المعصومين - عليهم الصلاة والسلام .

استلفتت نظرى هذه الأوراق وصرت لا اتمكن من اهمالها كما اهملت كثيراً من الأوراق التى اطلعت عليها هناك ، بل استغرقت فى القراءة ولم ألتفت الى المواعيد المسبوقة بينى وبين آخرين للبحث والدرس والتدريس ولم ينبهنى شىء إلا آذان الظهر واقامة الجماعة فى ذلك المسجد ، فاستصحبت معى تلك الأوراق الى البيت ولم أقم بعمل فى ذلك اليـــوم حتى استوعبت قراءتها عن آخرها ، وعند ذلك صرت افتش عن اسم الكتاب ومؤلفه ونسخة كاملة منه ، فساقنى القدر الى صديق عزيز قال لى : إن هذا الكتاب هو ترجمة كتاب (الهيئة والاسلام) ومؤلف الأصل العربى سماحة الحجة العلامة الأكبر السيد هبة الدين الحسينى الشهرستانى ، ويوجد لدى نسخة من الأصل العربى يمكننى اعارتها اياك لمدة اسبوع واحد فقط .

* * *

هكذا تعرفت بهذا الكتاب وكنت أترقب الفرص للتعرف بمؤلفه حتى ساعدنى التوفيق على المثول بين يديه ولثم أنامله الكريمة فى مكتبته العامة العامرة (مكتبة الجوادين) فى الكاظمية، فوجدت سماحته أعظم بكثير مما كنت قد سمعته من معاريفه وما قرأت عنه فى الكتب والمجلات والجرائد، رأيته بحراً زاخراً يفيض علماً وثقافة ومعرفة. لمست منه شخصية علمية كبيرة عارفة بحاجيات العصر وما يتطلبه الزمن من رجال العلم والدين، وكيف لا وهو ربيب مهد العلوم الدينية (جامعة النجف الأشرف) تلك المدينة المقدسة التى رفعت منار العلم منذ ألف سنة وضمت بين جوانحها باب مدينة علم الرسول الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع).

سررت كثيراً بهذا التعارف المبارك وجعلت أزوره يومياً وأتروى من منهله العذب كلما سنحت لى الفرصة أيام إقامتى فى الكاظمية المشرفة ولم أقطع رسائلى عنه أيام بقائى فى النجف الأشرف، كما ان السيد شملنى بألطافه ولم يتوان عن الاجابة على رسائلى التى أرسلتها اليه بين حين وحين، وأحتفظ الى الآن - بكل فخر واعتزاز - ما كتبه الى من الكتب والرسائل.

وفى إحدى مقابلاتى طلبت من سماحته أن يأذن لى فى طبع بعض كتبه وذكرت فى جملة تلك الكتب (الهيئة والاسلام) وقلت له: انى قد شغفت كثيراً بهذا الكتاب وأود أن يعاد طبعه حتى يفتح لشبابنا باب جديد من العلم ويتهيأ لهم جو ثقافى اسلامى لكى يفهموا الاسلام كما هو عليه لا كما عرفه المهرجون وأعداء الدين.

فأجابنى: ان هذا الكتاب قد طبع قبل نصف قرن وأنا تتبعت بعد طبعه الكشفيات المستحدثة وما استجد فى الهيئة وكتبتها على هوامش نسخة مطبوعة بصورة غير منظمة حتى أحفظ مايتجدد فى مجموعة أستعين بها عندما

يوفقنى الله تعالى لاعادة طبع الكتاب ، ولكن هذا عمل شاق لم أوفق للقيام بعبئه حتى الآن لكثرة أشغالى وانحراف صحتى وشيخوختى ، وانى لا أعلم انه هل يقوم شخص بهذا العمل الذى يحتاج الى مثابرة طويلة وتضحية وقت كثير حتى أعطيك نسخة معدة للطبع أم لا ؟

فقلت : اننى مستعد لانجاز هذه المهمة إذا كنت عند ثقتكم .

* * *

كان لهذا الكلام وقع حسن فى نفس سماحته فأمر خادمه أن يحضر الكتاب ، فلما رأيت النسخة فى يدى كدت أطير من الفرح ، إذ رأيت أمنية من أماني تتحقق بعد طول الانتظار .. قلبت النسخة وجعلت أتصفحها فاذا الهوامش مملوءة بالكتابة وربما الهامش لم يسع الموضوع المطلوب بحثه فزيد بين الكتاب ورقة بيضاء أو أوراق متعددة للكتابة فيها .

فى هذا الوقت شعرت ان المسؤولية التى ألقيت على عاتقى عظيمة جداً والقيام بها يحتاج الى عمل جدى متواصل ، لأن الكتاب قد شوه تماماً وأصبح شيئاً آخر فى الوضع والترتيب ، بالاضافة الى أن الطبعة الأولى ليست بصورة تناسب والطباعة الحديثة ، ولكنى استصغرت كل هذه المتاعب والصعوبات فشرعت فى العمل فيه .

* * *

قسمنا ما كان مكتوباً على الهوامش الى ثلاثة أقسام :

١ - أشياء تنسجم مع موضوع الكتاب تماماً فأدرجناها فى الكتاب نفسه .

٢ - أشياء تناسب موضوع الكتاب ولكنها ليست من صلب الموضوع فجعلناها فى الهامش .

٣ - ما لم يناسب الموضوع أصلا بل هى مذكرات متفرقة كتبها المؤلف فى حينه فرأينا حذفها أنسب فحذفناها .

ولم ننس الاستفادة من الترجمة الفارسية للكتاب حيث كان المترجم والناشر قد استدركا بعض الكشفيات والآراء الحديثة على الكتاب فترجمناها الى العربية ووضعناها فى الهامش ، ورمزنا لها بحرف (ف) .

وحاولنا جهدنا أن يكون التنسيق علمياً فكابدنا المتاعب والمشاق لتحقيق هذا الغرض واضطررنا الى كتابة الكتاب من أوله الى آخره باليد ومراجعته مراراً وتكراراً حتى لا يذهب عنا شيء من الكتاب أو مما كتبه سماحة المؤلف فيما بعد ، ونحن نعلم ان هناك أغلاطاً وهفوات وقعت من دون اختيارنا نرجو من الناظر المحترم الغض عنها فان الانسان لا يخلو من الغلط والاشتباه ، وسبحان من لا ينسى .

* * *

وبعد :

فانني إذ أقدم هذا المجهود المتواضع الى أرباب العلم وعشاق الفضيلة أنتهز الفرصة فأقدم شكرى المتواصل الى سماحة المؤلف - أطال الله أيام حياته - إذ جعلنى موضع ثقته وهيأ لى العمل على أحسن وجه حينما قدم لى نسخته الثمينة الفريدة وزودنى بمعلومات قيمة ذللت أمامى المصاعب ، كما انني أقدم ثنائى العاطر الى الأخ النبيل محمد الكتبى صاحب (مكتبة الثقافة الدينية) حيث ساعدنى على إكمال هذا المشروع العلمى الجليل وطبعه بهذه الحلة القشيبة .

النجف الأشرف ١٦ ج ١ ١٣٨١ هـ السيد احمد الحسينى

مقدمة المؤلف للطبعة الثانية

لقد وفقت - والشكر لله - قبل خمسين عاماً لتأليف كتابي الموسوم بـ (الهيئة والاسلام) في استنباط مسائل الهيئة الحاضرة وكشفيات الغربيين الفاخرة من ظواهر آي الذكر الحكيم وأحاديث رسوله الكريم وعترته الطاهرة - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - ذلك الكتاب القيم الذي كان الأول من نوعه، وتحملت الجهود الجبارة في تأليف منقولاته من مختلف المصادر وتصنيف مسائله الفنية من كتب الأوائل والأواخر، فما انتشر إلا واشتهر تلك الشهرة الواسعة وتواردت علينا تقاريظ كثيرة من القريب والغريب، ونهض لترجمته إلى اللغات المختلفة لفيف من أهل العلم والفضل حتى ترجمه الى اللغة الهندية ثلة من الفضلاء وترجمه إلى الفارسية جماعة من العلماء والأدباء وذاع صيت أولئك المترجمين في الآفاق كما ذاع صيت الأصل العربي وحسنت شهرته في المجتمع الاسلامي وقرظه أصحاب مجلة المقتطف المصرية بقولهم : « إن هذا الكتاب لو يترجم إلى لغة غربية يوقع دوياً في الأندية العالمية ... » .

أجل، أثار هذا الكتاب في كل وسط وبلد شعوراً حسناً نحو دين الاسلام ومذهب أهل البيت النبوي (ع) كما أثار شوقاً عظيماً في النفوس نحو اقتباس العلوم الحديثة وكشفياتها الجديدة وروحا قوية للتمدن الشرقي، كما جدد شعوراً طيباً نحو التمسك بالدين والتوفيق بينه وبين افكار المتجددين حتى قال لي رئيس الشيعة وشيخ الشريعة سماحة المغفور له المولى فتح الله

الاصفهانى : « إن هذا الكتاب صار همزة وصل بين القديم والجديد .. » . فنال هذا السفر النفيس - ولله الحمد - حسن اقبال من العامة عامة ومن الخاصة خاصة .

وفى خلال هذه المدة وردتنى اقتراحات عدة فى تلخيص هذا الكتاب واختصاره ، كما وردتنى اقتراحات فى توسيع نطاقه وتفصيل أبحاثه وتأييد مكتشفاته ، فضاق صدرى وابتهلت الى ربى فى توفير الأسباب والوسائل لاعادة طبعه وتقديمه الى المتشوقين إلى العلم معتقداً بأن لله سبحانه عناية عامة ورعاية تامة لدينه القويم وتقويته فى كل عصر بوسائل القوة المناسبة له ، فلا بد وأن يهيىء لذلك نفوساً صالحة لنشر اريجه ومؤيدات تعزيزه وترويجه كما ولا شك انه سيقيض رجالا لمساعدتى فى تعظيم شعائر الدين ومعاضدة كل من ينوى خيراً وخدمة للمسلمين .

بينما احدث نفسى وأمنيها واسليها إذ طلب منى الشاب النابه فضيلة الاستاذ الأديب السيد احمد الحسينى اجازة تجديد طبع الكتاب ، فوجدت ضالتى المنشودة فيه فشكرته و « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق » .

وإنى إذ لبيت طلبه وأجزت له اعادة طبعـــه انتهز الفرصة لادخال اضافات قيمة وكشفيـات جديدة وتصاوير فنية مفيدة ، فوق ما هنالك من تصحيح وتنقيح وتكملة وتوضيح ، مؤملا من وجه الله الكريم أن يتقبلها منى ومنه بقبول حسن انه سميع الدعاء .

هبة الدين الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أظهر بكتاب الاسلام أسرار العوالم وهيئة الاجرام ، ووفقنا لتفصيل المجمل مما تبين من ظواهر الكتاب والسنة ومظاهر علوم الوحى والالهام ، والصلاة والسلام على المبعوث بأعظم المعجزات محمد وآله الهداة ما دامت الأرضون والسماوات .

أما بعد :

فيقول خادم العلم والدين هبة الدين محمد على بن حسين الحسينى الشهير بالشهرستانى أحسن الله حاله ومآله وبلغه آماله : إن الدواعى التى دعتنى الى تأليف كتابى (الهيئة والاسلام) هى أغراض أربعة ألخصها فيما يلى .

١ - صيانة عقائد المشتغلين بالفنون الفلسفية لا سيما الهيئة العصرية ، سواء الاساتذة والتلامذة فى المدارس والمستمعون للمحاضرات والخطابات وقراء الصحف والمجلات والمتطلعون على المكتشفات الغربية . ففى الناس أناس غرتهم الشبهات والنظريات فزعموا سلوك أولياء الشريعة مسلك الحكماء فى مباحث الفلك والطبيعة ، وفيهم من ظن ان الهيئة القديمة هى الموافقة للشريعة الاسلاميه القويمة ، فتراهم اذا اعتقدوا بطلان تلك الفلسفة الغابرة ضعف إيمانهم بنواميس الشريعة الطاهرة . فقصدت من تصنيف هذا الكتاب إيضاح كون الاسلام بمعزل عن طرق الفلاسفة بل تهدم مقالاته معظم المبانى من الهيئة السالفة وتخالف مذاهب الأوائل أشد المخالفة .

فعلى هذا ينبغى أن يكون تصديق الناس للعلوم سبب قوة إيمانهم بالمعارف الاسلامية ومزيد يقينهم بصدق البقية من مقالات النبى الأمين والأئمة من آله الميامين - صلى الله عليهم أجمعين .

٢ - إتمام الحجة على من خالفنا فى المذهب والدين ، وأنكر على المسلمين تصديقهم بما جاء به محمد خاتم المرسلين ﷺ - ذلك الرجل المتخرج من بادية العرب أمياً بين أميين لا يعرفون الكتب والكتابة ولا درسوا على علماء الشرق والغرب - فان ما شرحته فى هذا الكتاب من كلماته وكلمات صحابته وقرابته وحفاظ شرعه أخبار غيبية وأنباء سرية وخفية ، لا تستند الى أدوات فنية دقيقة ولا على الآلات المستحدثة الرقيقة .

إذن ، فهى موحات من عوالم الغيب بلا ريب ، فالذى يخبر بصورة جدية عن حقائق خفية لا يقتضى وجودها عقل ولا يدركها حس هو ولى الله المحيط بأسرار هذه العوالم . فدراسة أبحاث هذا الكتاب خير وسيلة لافحام المخالفين كما هو خير وسيلة لتنوير أفهام المنصفين وخير طريقة لتصديق أمناء الاسلام من أقصر الطرق وأقصد السبل .

ألا ترى أن الامام المرشد المخبر بوجود أقمار وشموس وراء المحسوس قبل وجود النظامات ووسائل الاكتشافات بألف سنة يذعن له القلب السليم والعقل المستقيم بأنه هو الولى الربانى والمربى الروحانى المتصل بالعالم النورانى إذ لا يشك أحد فى أن الاصول العلمية الحديثة والمكتشفات الجديدة أمور لا يرشد اليها دليل عقلى قبل إحساسها ولا تحس إلا بواسطة الآلات الدقيقة والأدوات المستحدثة ، ومعلوم أيضاً حدوث اختراع هـذه الوسائط والأدوات بأسرها وتأخر زمان ظهورها بعد الالف الهجرى نعرف مخترعيها وتواريخ صنعها واختراعها ولم يكن منها فى صدر الاسلام أثر ولا خبر ،

بل كانت فى أيدى العرب بعض التجارب والخرافات عن السماوات والفلكيات والنجوم والطب (غير ماجاء الاسلام به كتاباً وسنة) حتى ترجمت الى العربية بعد المائة الاولى كتب الفرس والهند وعلوم اليونان والاغريق .

فما شرحته فى هذا الكتاب خير برهان وآية لصحة الاسلام واتصال علومه بالوحى والالهام ، ولا يجدن المنصف المتحرى مثله فى سائر الشرائع والمذاهب ، وان كشف الدين عن الخفايا والمغيبات آية صدقه عند الجميع فى كل ملة ونحلة .

٣ - تنزيه ساحة النبى الأمى ﷺ ودفع ما يتوهمه بعض الزنادقة والمشككين الزاعمين فيه ﷺ انه كان ترجماناً لآراء غيره من فلاسفة البشر وقراء كتب السلف ولساناً معرباً عن أفكارهم . ومن المعلوم أن الميزة بين الانبياء العظام وبين الفلاسفة هى من أهم أبحاث الأديان ولا أظن كفيلا لفصل هذه المعضلة أصح وأوضح من علم الغيب وبيان الشريعة لأسرار الاجتماع وخفايا الطبيعة ، فقصدت بهذا التأليف إثبات أن النبى ﷺ لم يوافق فلاسفة عصره ومن قبلهم حتى يظن فيه الاكتساب منهم والانتساب اليهم ، بل عارضهم فى كثير وناقضهم فى اكثر . بل أظهر - وهو أمى - رموزاً من عوالم الاجتماع وأسرار الطبيعة والفلك وكامنات الكائنات هى بالضد مما كان عليه حكماء عهده والأقدمون .

نعم ، كشف ﷺ - وهو ابن الصحراء - للمتمدنين من خفايا الأرض والسماء ما مصره اليوم فى الغرب والشرق فى المجالس والمدارس والمراصد والمختبرات بالعقول والأقلام والألسن . حتى ظن البعض فى مكتشفات الافرنج أنها مقتبسة من مصابيح ظواهر القرآن والحديث .

وان مؤلفات استاذ الحكماء جابر بن حيان الكوفى الصوفى المتوفى سنة

١٦١ هـ - التى طبعت فى باسل وسائر مدن الافرنج فى عصر (كوبر نيكوس) الالمانى وغيره - هى التى أوجدت نهضتهم العلمية ونبهت أساتذة الهيئة والطب الى أصولها الحديثة .

اللهم اننا خسرنا افتخار هاتيك الكشفيات من قبل ، أى حينما كثر المتفلسفون فى صدر الاسلام وأخذوا بتأويل الآيات والروايات وتحريف ظواهرها نحو نظرياتهم ، حيث استغربوا حقائقها من قصور فى معارفهم ، إذ كانت أدواتهم العلمية ناقصة يومئذ كأدواتهم الحربية فستروا بأغشية تأويلاتهم محاسن الحقيقة ، والتبس الأمر على القاصرين فزعموا أن ظواهر الشريعة ترجمة للآراء الفلسفية - وهذا الظن إثم - فكم لزعيم شرعنا ﷺ معنى لم يحم حوله فهم مدرك قبله !.

٤ - هدفنا الأخير أن نجعل كتابنا هذا مفسراً جديداً لمأثورات الدين ومهد طريقة جديدة لمسلك إصلاحى يحل مشكلات الكتاب والسنة ويتكفل تفسير الآيات المشكلة وتوضيح الروايات المعضلة - تلك اللواتى حسبهن الجمهور من المتشابهات ، إذ وجدوا ظواهرها لا تنقاد لعلومهم فخاضوا فى تفسيرها وتكلفوا فى تناسبها بتأويلات رديئة ومعان خفية ، وصيروا ظواهر الحديث والقرآن أساساً لاختلاف الرأى وباباً لتثبيت الكلمة ومفتاحا لتفرق الأمة وعقبة تمنع سير الافكار فى مضمار الارتقاء وقصب السبق . كل ذلك من أجل أنهم لم يشموا نفحة من العلوم والمكتشفات العصرية ولم يتفطنوا بعرضها على المأثورات الاسلامية .

ولقد جاء - والحمد لله - كتابى هذا شارحا لأكثر هاتيك المشكلات والمتشابهات ، رافعاً عن محيا أسرارها أستارها كالمجهر المتين فى ايضاح جوهر الدين ، وسيلوح لك أفقه المبين واضحاً فى طيات الكتاب .

وانى أظن ان منشأ الاختلافات الحادثة فى صدر الاسلام - التى أوجبت انشعاب الدين القويم الى هذه المذاهب الوافرة والمشارب المتنافرة - إنما هى أمور أقواها انتشار آراء الفلاسفة الماضين بين المسلمين ، وثقتهم بفلسفتهم من غير اجتهاد وإعمال للفكر فى الأقوال الصادرة عن الفلاسفة ، ثم وجدوا أصول الاسلام وظواهره مخالفة لما أيقنوا بصحته من الآراء الفلسفية فتفرقوا من ذلك أيادى سبا ، فأنكر بعضهم أصول الشريعة الاسلامية جهراً وأخذ الآخر يؤل ظواهرها كيف ما يجود عليه فكره ورأيه ، وأنكر بعضهم انكار الشريعة خفية - كذئب بزى شاة - يحدث فى الدين أنواع المفاسد والبدع .

ولعمرى ان الفلسفة المستحدثة والمبادىء العصرية ستفعل بالناس مافعلته القديمة لنقص فيهم وفيها ، إلا اذا تصدى المحققون اصلاح فاسدها ونهضوا لدفع مفاسدها ، وبذلوا الجهد البليغ فى ترويج العقائد الحقة وتنقيحها عن الأباطيل والزوائد .

وما ذكرته من التأثير إنما هو فى النفوس الناقصة والعقول القاصرة والقلوب المتزلزلة ، وأما المعتصم بحبل الله ورسوله والمستمسك بظاهر السنة والفرقان الذى لا يأتيه الباطل - لا سيما الذى أكمل تحريه فى العلوم - فهو فى عز الأمان ، لا تزيده الفلسفة الحديثة إلا بصيرة فى الدين وتفكراً فيما جاء به نبى الاسلام وما قاله ذريته - عليهم السلام - .

وأسأل الله تعالى أن يجعل الانتفاع بهذا الكتاب عاماً وأن يغفر لى يوم الدين ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .

ولا بد قبل الشروع فى أصل الموضوع من تقديم مقدمات وهى :

«المقدمة الاولى»

(طريق الاطمئنان الى الأقوال المنقولة ومصادر الكتاب)

حدثنى بعض الأبرار قال : ان شخصاً سمع حديثاً ناطقاً ببعض الخفايا المكتشفة فى هذه العصور فاستغرب وقال : لو كنت على يقين من صدور هذا المقال عن نبى الاسلام أو أحد أوصيائه لآمنت بشريعته وصدقته .

أقول : لا ريب فى أن الاطلاع على قول أى شخص كان إنما يحصل بطرق أتقنها سماعه عن لسان قائله ، وهذا مختص بمن أدرك حضرته دون من تأخر عنه زمانه أو تقاصى عنه مكانه .

الطريق الثانى ـ أن ترى خط المتكلم المعلوم نسبته اليه بالتواتر أو بقرائن قطعية .

الطريق الثالث ـ أن ينقل اليك قوله بنحو التواتر ، وهو إخبار جمع لا يجوز تواطؤهم أو تقاولهم على الكذب .

الطريق الرابع ـ أن ينقل قوله اليك من تثق بصدق سماعه من قائله ، ولا فرق فى المنقول بواسطة بين قلة الوسائط وكثرتها . نعم يجب أن يكون كل واحد منهم ثقة فى الصدق والامانة .

وهذه الطرق الأربعة تورث الاطمئنان والاعتقاد بصدور ذلك القول عن قائله ، وعليها تدور رحى الاعمال والمحاكمات والمعاملات عند العرف والعقلاء من غير نكير ، وليس الاعتماد عليها أمراً مختصاً بالمسلمين . وقد يجمع أقوال شخص أو أشخاص فى كتاب ونحوه ليخلد ذكرهم أو علومهم فى الدهر ، مثل كتب الحكماء والكتب المقدسة ونحوها لتحدث فى المقام نسبتان :

(الأولى) ـ نسبة مؤلف الكتاب تلك الاقوال الى أصحابها باحدى الطرق الاربعة المذكورة ، فان ثبتت بأحدها كان الكتاب معتبراً من هذه الجهة فارغا من هذه الحيثية .

(الثانية) ـ اسناده هذا الكتاب الى ذلك المؤلف ، ويثبت ذلك بأحد الوجوه الخمسة الآتية المعمولة بين المؤرخين والعقلاء من كل صنف وملة ، ولا يسلك المسلمون فى هذه الامور العامة وغيرها غير مسالك العقلاء ، بل نجد محافظتهم على أمثال ذلك أشد .

فاسأل أصحاب الأديان والملل المتمدنة والمؤرخين قاطبة فان كان لهم فى معرفة أقوال العلماء والحكماء وأحوالهم غير الطرق المعمولة بين المسلمين مما ذكرته أو سأذكره فانى ضامن لاتيان مثله أو الاكمل منه لنقل أقوال علمائنا وكلمات أولياء شرعنا ، فلو لم تثق مع هذا بما نقوله وننقله فيلزمك أن لا تثق بكتب العلماء والتواريخ الغابرة بالطريق الاولى إلا أن يحملك التعصب ـ والعياذ بالله .

تنبيـــه

ان المقالات التى نعتمد عليها فى الشريعة الاسلامية المنقولة فى هذا الكتاب إنما هى على أربعة أصناف :

(١) ـ كلمات الله سبحانه المنقولة الى نبينا محمد ﷺ بطريق الوحى ، وهى مجموعة فى الكتاب المقدس المعروف بالقرآن ، وهو مقدس عند المسلمين بأشد من تقدس التوراة عند اليهود والانجيل عند النصارى ، وتواتره عن النبى محمد ﷺ أظهر من الشمس فى وسط السماء .

(٢) ـ مقالات النبى محمد ﷺ وكثير منها مضبوط فى كتب الحفاظ والعلماء . وقد وصلت تلك اليهم بأحد الطرق الاربعة الماضية فدونوها فى كتبهم ووصلت الينا بأحد الوجوه التى سنذكرها .

(٣) ـ مقالات خلفاء النبى محمد والأوصياء الأئمة من أهل بيته الذين نص على خلافتهم وتقدسهم نبينا محمد ﷺ ، وهم عندنا معشر المسلمين الاماميين اثنى عشر اماماً ، وهم :

١ ـ اخو النبى وابن عمه أمير المؤمنين على بن ابى طالب .

٢ ـ الحسن بن على المجتبى .

٣ ـ الحسين بن على الشهيد .

٤ ـ على بن الحسين السجاد .

٥ ـ محمد بن على الباقر .

٦ ـ جعفر بن محمد الصادق .

٧ ـ موسى بن جعفر الكاظم .

٨ ـ على بن موسى الرضا .

٩ ـ محمد بن على الجواد .

١٠ ـ على بن محمد الهادى .

١١ ـ الحسن بن على العسكرى .

١٢ ـ محمد بن الحسن المهدى القائم (١) .

(٤) ـ مقالات الصحابة الفائزين بصحبة النبى محمد ﷺ المقتبسين من حضرته وحضرة أوصيائه أصول العلوم والمبانى وأسرار حقائق الاعيان

---

(١) لم ينقل فى المسائل الهيوية عن كل الأئمه بل المنقول فيها عن الامام على عليه السلام الى الرضا ، وأما بقيه الأئمة فلم ينقل عنهم شىء يخص الهيئة .

والمعانى كابن عباس وسلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى ومقداد بن الاسود الكندى وجابر الجعفى وغيرهم ، إذ مقالات هؤلاء فى أمثال هذه المغيبات تشعر بكونها مأخوذة من معدن الوحى ومهبط جبرائيل الامين .

وهذه الأصناف الأربع من المقالات المتبوعة مضبوط اكثرها فى كتب حفاظ المسلمين بالطرق المعمولة بين العقلاء ، وكتبهم أيضاً معتمدة بينهم ثابت نسبتها بأحد وجوه خمسة :

(الوجه الأول) - التواتر ، أعنى به إخبار الجمهور من أهل عصر وطبقة بأنهم سمعوا نسبة الكتاب الفلانى الى صاحبه المعلوم من جمهور طبقة ثانية سابقة عليها ، والطبقة الثانية سمعت تلك النسبة بعينها من جمهور طبقة ثالثة سابقة وهكذا يسمع جمهور كل طبقة عن جمهور مثلهم من طبقة سابقة حتى يتصلوا بعصر صاحب الكتاب . وهؤلاء الجمهور فى كل عصر قد يكونون من طائفة العلماء والحفاظ خاصة وقد يكونون من سائر طوائف الناس ، كتواتر الصحاح الست الحديثية الى اصحابها وتواتر صحاحنا الأربع الحديثية الى أصحابها ، وهى الكافى والاستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه .

(الوجه الثانى) - تصريحات المؤرخين والمترجمين لأحوال المؤلفين من عصر ذلك المؤلف وبعده بأن الكتاب الفلانى إنما هو لفلان بن فلان . وجميع العلماء والعقلاء والمنصفين من كل أمة يطمئنون بهذا الوجه فى نسبة الكتاب الى صاحبه .

(الوجه الثالث) - سلسلة الرواية ، وهى ان تأخذ نسبة الكتاب الى صاحبه عن ثقة ضابط أخذها عن مثله حتى تنتهى سلسلة هذه الرواية والأخذ الى صاحب الكتاب ، سواء كانت هذه الرواية فى الخطاب أو فى الكتاب .

(الوجه الرابع) - طبع الكتاب فى حياة مؤلفه أو فى مطبعة رسمية

يطمئن الانسان بصحة نسبته الى مؤلفه من استبعاد كذب هذا النحو من الطبع .

(الوجه الخامس) - شهادة القرائن المعتبرة عند العقلاء المقوية لصحة نسبة الكتاب الى صاحبه ، كنقل عبارات ذلك الكتاب فى الكتب المعتبرة عند الرد على مؤلفه أو جرحه أو مدحه أو قدحه أو غير ذلك ، ومثل ان تجد الكتاب بخط مؤلفه أو يكون خطه عليه أو تكون النسخة عتيقة عليها آثار إعتبار المعلوم أو الشهرة أو نحوها .

* * *

إن الطرق المتداولة بين الناس موجودة بأجمعها بين المسلمين لمعرفة آثار أسلافهم واخبارهم ، بل هى لديهم اكمل ، بل ندعى امتياز المسلمين عن غيرهم بحفظ كثير من هذه الطرق مع فوتها عن غيرهم ، فان العلم والدراسة والتحفظ على الآثار والأخبار كانت معهودة متداولة بين المسلمين من صدر الاسلام الى هذه الايام ، وأما سائر الملل فقد اعتراها من عظائم الغير والتفرق والتمزق ما تفصح عنه صحائف التواريخ والصحف ، حتى اشتهر ان اليهود ونحوهم لا تصح دعوى التواتر منهم لوقوع القتل والفتن الممزقة بينهم بحيث خلى بعض اعصارهم عمن يقوم به التواتر ، وغلب الجهل على الافرنج وغيرهم عصوراً طوالا حتى أشرقت عليهم أنوار العلوم من افق المسلمين .

والافرنج هم انفسهم يعترفون بذلك ، فقد قال المستر « وزويرس سميث » الانكليزى ما معناه : بينما كانت اوربا غارقة فى ظلمات الجهل والعرب مدة خمسة قرون ينيرون العالم والانسانية بمصابيح العلوم ، فهم الذين أعادوا شباب الآداب وعلوم الكلام بعد هرمها وترجموا أقوال اليونان ورقوا علم الزراعة والفلك وأوجدوا علمى الجبر والمقابلة والكيماء وزينوا مدائنهم

بالمكاتب والمدارس كما ملؤها بالمساجد وعلموا أوربا مذاهب الفلسفة من قرطبة - يعنى فلسفة ابن رشد ...

أقول : وهذه العلوم قد انتشرت بين المسلمين بعد اسلام الفرس ولكنهم كانوا يؤلفون الكتب باللغة العربية لانضباطها واتساعها فنسب الافرنج هذه العلوم الى العرب . وقيل : نسب الأفرنج هذه العلوم الى العرب لأن علماء الأندلس هم الذين نشروها فى أوربا .

وقال المؤرخ « دروى » (١) : بينما أهل اوربا تائهون فى دجى الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط إذ سطع نور قوى من جانب الملة الاسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد ، حيث كانت بلادهم مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت فى الأمم واغتنم منها اوربا فى القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنوناً عظيمة .

وجاء فى هامش مشهد الكائنات: ان مكتبة القاهرة سنه ٣٢٥هـ تضمنت من كتب العرب فى فن النجوم ستة آلاف وخمسمائة كتاب .

أقول: لاريب ان اهتمام المسلمين من بدء البعثة الى تلك السنين إنما كان فى طلب العلوم الدينية ونشرها دون العلوم الرياضية ، لا سيما النجوم المعروف عندهم بجلب الفقر والهموم ، فاذا كان لهم فى مكتبة واحدة من بلد واحد ستة آلاف كتاب فى خصوص علم النجوم فما ظنك بكتبهم الدينية فى مكاتب البلاد ومدارسها الحاوية لمقالات نبيهم والأئمة من بعده التى أضحى الجمهور عاكفين عليها يتقربون الى الخلق والخالق بحفظها ونشرها ، فطرق الاطلاع على أقوال نبى الاسلام وأوليائه - عليهم السلام - أوضح وأصح من الجميع عند الانصاف .

---

(١) كذا جاء فى بعض اعداد مجلة العرفان لسنتها الأولى ، والذى أظنه انه المؤرخ « دوزى » الهولندى الذى له (تاريخ الفرق الاسلامية) .

وقد وجب علينا الآن أن نسمى الكتب التى وجدت فيها آراء القدماء والمتأخرين ، والتى وجدت فيها مقالات النبى محمد (ص) ومقالات ألسنة وحيه وحفاظ شرعه - عليهم السلام .

أما الكتب المنقولة عنها فى هذا الكتاب مقالات النبى وحفاظ شرعه فالعمدة من بينها تنقسم الى ثلاث طوائف :

(الأولى) - ما ثبت عندنا نسبته الى صاحبه بجميع الأوجه الخمسة المتقدمه ، أو صار تواتر اسنادها فى الوضوح والاشتهار كالشمس فى وسط النهار ، وهى سبعة كتب :

١ - كتاب (الكافى) بجميع مجلداته ، للحافظ الجليل ثقة الاسلام (محمد ابن يعقوب الكلينى) المتوفى ببغداد سنة ٣٢٩ عام تناثر النجوم . وكتابه أصح معتبراتنا الحديثية وعليه مدار أحكام المسلمين الاماميين من عصر تأليفه الى الآن ، ونسخه العتيقة الصحيحة كثيرة جداً .

٢ - كتاب (نهج البلاغة) فى المختار من كلمات الامام أمير المؤمنين على (ع) ومؤلف هذا الكتاب هو الحافظ الفاضل الامامى (محمد الشريف الرضى) المتوفى سنة ٤٠٦ هجـ ، وشروح هذا الكتاب متواترة أيضاً كشرح الفاضل ابن ميثم البحرانى المتوفى سنة ٦٩٧ ، وشرح الحافظ عبدالحميد بن أبى الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ . وعندى نسخة من نهج البلاغة قديمة الخط تاريخ قراءتها على السيد العلامة يوسف الاصبهانى سنة ٧٦٠ هجـ (١) .

٣ - كتاب (مجمع البيان) فى تفسير القرآن . للحافظ الامامى أمين

(١) وقد عثرت بعد ذلك على نسخة من كتاب نهج البلاغة كتبت سنة ٤٣٠ هجـ ، والنسخة توجد فى مكتبة الامام الرضا (ع) بطوس وهى بخط ياقوت المستعصمى المتوفى سنة ٦٩٨ هجـ .

الاسلام (فضل بن الحسن بن فضل الطبرسى) المتوفى سنة ٥٤٨ هجـ . وفى مكتبة شيخنا النورى نسخة منه كتبها عبدالعزيز الترمذى سنة ٧٢٥ .

٤ ـ كتاب (تفسير القمى) للحافظ (على بن ابراهيم القمى) من علمائنا فى القرن الرابع . وقد ادعى تواتر نسبته الى مؤلفه جملة من العلماء وشهرته لا تنكر ، ولقد وجدت نسخة منه كتبت سنة ٨٦٦ .

٥ ـ كتاب (بحار الأنوار) للعلامة الحافظ مولانا (محمد باقر المجلسى) من أعاظم علماء الامامية توفى سنة ١١١١ هجـ . وهذا الكتاب ستة وعشرون مجلداً ضخماً يحوى مقالات شرعنا فى كل علم وباب آية أو رواية أو حكمة أو تحقيق أو تاريخ ، لم يعمل مثله فى الاسلام حتى الآن .

٦ ـ كتاب (الأنوار النعمانية) للحافظ الامامى (السيد نعمة الله الجزائرى) المتوفى سنة ١١١٢ هجـ .

٧ ـ كتاب(الوافى) كتاب كبير جامع لأخبار كتبنا المعتبرة فى كل فن، للحافظ الفاضل (محمد محسن الفيض) الكاشانى المتوفى سنة ١٠٩١ هجـ . وتواتر كتابه عنه مسلم .

(الطائفة الثانية) ـ ماثبت نسبته عندنا الى صاحبه بغير التواتر من اكثر الأوجه الخمسة المتقدمة ، وهى ثمانية كتب : (كتاب التوحيد) و (علل الشرائع) و (الخصال) و (عيون أخبار الرضا) و (معانى الاخبار) و (الأمالى) وجميع هذه الكتب الستة للحافظ الصدوق (محمد بن بابويه) القمى من أجلة علماء الامامية المتوفى سنة ٣٨١ هجـ . ورأيت هذه الكتب بخطوط عتيقة وهى مطبوعة مكرراً .

و (الاحتجاج) للحافظ (أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى) من علمائنا فى القرن الخامس الهجرى . قال تلميذه رشيد الدين محمد بن على بن

شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨ فى كتاب المناقب: وجدت بخط أبى طالب الطبرسى كتابه الاحتجاج .

و (الدر المنثور) للحافظ (عبدالرحمن جلال الدين السيوطى) الشافعى المتوفى سنة ٩١١ هجـ .

(الطائفة الثالثة) ـ ما ثبت اسناده الى صاحبه ببعض الأوجه الخمسة المتقدمة وذلك ستة :

١ ـ (تفسير العياشى) للحافظ (محمد بن مسعود) من علمائنا فى القرن الرابع الهجرى .

٢ ـ (بصائر الدرجات) للحافظ (محمد بن الحسن) القمى الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هجـ من علمائنا الفائزين بصحبة العسكرى (ع) . وجدت نسخة منه كتبت سنة ١٠٦٨ مبوبة على ١٦٣ باب .

٣ ـ (منتخب البصائر) للفاضل صاحب كتاب « المحتضر » (الحسن ابن سليمان) من علمائنا فى القرن الثامن الهجرى . انتخب فيه كتاب بصائر الدرجات للحافظ الامامى سعد بن عبدالله القمى المتوفى سنة ٢٩٩ هجـ .

٤ ـ (كتاب الاختصاص) للمحقق العلامة قطب الشيعة (محمد بن محمد ابن النعمان) المفيد المتوفى ببغداد سنة ٤١٣ هجـ . وله كتب تبلغ المئات منها « الارشاد » و « المقالات » . ولقد وجدت فى مكتبة شيخنا المحدث ميرزا حسين النورى المتوفى سنة ١٣٢٠ نسخة منتخبة من كتاب الاختصاص أولها: « الحمد لله الذى لا تدركه الشواهد ... » انتخبها الشيخ أبو على أحمد بن الحسن ابن أحمد بن عمران الامامى وكتبت سنة ١٠٥٥ هجـ .

٥ ـ (كتاب النجوم) واسمه فرج المهموم للحافظ السيد (على بن طاوس) من أجلة علمائنا المتوفى سنة ٦٦٤ هجـ .

٦ - (نور الثقلين) تفسير للحافظ الشيخ (عبد على بن جمعة العروسى) من علمائنا فى القرن الحادى عشر . وجدت منه نسخة كتبت سنة ١٠٦٥ هجـ .

* * *

وأما كتب الحكماء والفلاسفة التى أنقل منها فى الاكثر ماقاله المتأخرون والقدماء فهى :

(الشفاء) لشيخ الحكماء رئيس فلاسفة المسلمين (أبى على الحسين ابن سينا) المتوفى سنة ٤٢٧ هجـ وكتابه متواتر مشهور عند المسلمين وغيرهم .

(اصول الهيئة) ، (ارواء الظماء فى القبة الزرقاء) ، (النقش فى الحجر فى فنون الفلسفة العصرية) للفيلسوف الفاضل (كرينليوس فانديك) المسيحى الهولندى أصلا الامريكى مولداً ثم البيروتى المتوفى سنة ١٨٩٥ م .

(مشهد الكائنات فى الخالق والمخلوقات) لمدرس الخطابة (ميخائيل مشاقة) المسيحى المتوفى سنة ١٨٨٨م (١) وله كتاب (أساطير الأولين) .

(هيئة فلامريون الفرنساوى) من مشاهير فلاسفة أواخر القرن التاسع عشر ، بترجمة الفاضل (عبدالرحيم التبريزى) الشهير بطالب اوف المتوفى سنة ١٣٢٠ هجـ .

(هيئة فيلكس ورنه الفونساوى) من مشاهير القرن التاسع عشر ، بترجمة الفاضل (نجم الدولة) الفلكى الطهرانى المتوفى سنة ١٣٢٠ هجـ .

(دائرة المعارف) للعلامة (بطرس البستانى) المسيحى المتوفى سنة ١٨٨٣ م . ويشتمل هذا الكتاب على مجلدات ضخمة معروفة .

---

(١) قال اسكندر معلوف فى مجلته (الآثار) منتقداً : ان ميخائيل غبريل اللبنانى الخورى هو مؤلف هذين الكتابين وليس ميخائيل مشاقة الدمشقى ... وهو أدرى .

(تاريخ علم الفلك) مجموعة محاضرات للسنيور (كرلو نلينو) الايطالى الاستاذ بالجامعة المصرية وبجامعة بلرم بايطاليا ، ألقاها سنة ١٩٠٩-١٩١٠ م وطبعها فى روما بايطاليا سنة ١٩١١ م .

كتاب فى وصف الكون ، أى (السماء والعالم) طبع فى غوتنغن ١٨٤٩ م . ولمؤلفه كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) فى الجغرافية والهيئة التاريخية طبعه (وستنفلد) فى غوتنغن سنة ١٨٤٨ م .

(عجائب المخلوقات) للفاضل القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود الأنصارى) المتوفى سنة ٦٨٢ هجـ ١٢٨٣ م .

(التصريح فى شرح التشريح) المشهور ، لامام الدين بن لطف الله اللاهورى ألفه سنة ١١٠٣ هجـ ١٦٩٢ م .

(حدائق النجوم) مجلدان ضخمان فى الهيئة الجديدة بالفارسية للفاضل دبير الملك (هشيار جنك) الهندى سنة ١٢٥٣ هجـ .

(الآيات البينات فى عجائب الأرضين والسماوات) للفاضل (ابراهيم أفندى) الحورانى المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٣ م (١) .

فاستبان مما سلف ان الطالب لتصحيح نسبة الكتب الاسلاميه وتوثيق مقالات شرعنا الأقدس يجد لمقصده طرقاً واضحة متقنة كالطرق المتعارفة بين سائر الامم بل اكمل منها . فلو لم تثق باصاح بعدئذ بما نقل عن شرع الاسلام لزمك ان لا تثق بما ينقل اليك من غيره حتى مقالات الحكماء وتواريخ الملل .

---

(١) وقد نقلنا أشياء كثيرة من غير هذه المصادر كالأنوار الناصرية ، المقتطف ، الهلال ، تقويم المؤيد ، تقويم الحاج نجم الدولة ، مختصر الهيئة لابزا افرت ، المباحث المصرية ، تحفة النجوم ، سياحة المعارف ، المقتبس .

« المقدمة الثانية »

(طريق ترجيح أحد المتعارضين)

اعلم ان العاقل عبد لما أيقن به فيعمل على وفقه ان كان عملياً ويقنع باعتقاده ان كان علمياً ، ولا يتزلزل يقينه الحاصل إلا بسبب أقوى يورث يقيناً مخالفاً لما حصل قبله . فلو أيقنت بموت زيد مثلا باخبار ألوف من الثقات فهذا اليقين لا يزول عند الشك من إخبار عشرة بحياته إلا أن يقترن خبر العشرة بشواهد قوية يرجحها العقل ، فالعقل تابع دائماً لأقوى الاعتقادين ومخطىء لأضعف الطريقين ويعالج أيضاً بأخف العلاجين .

فلو سمعت رجلا يحدثك عن موسى النبي (ع) انه جوز الجمع بين الضدين وأنت عالم برسالة موسى (ع) وعصمته من الخطأ وعالم باستحالة الجمع بين الضدين فلا شك انك تؤل الخبر أولا الى معنى صحيح فان صعب عليك تأويله تكذب المخبر فى خبره أو تعالج بالأخف مؤنة . ولا تعمد أولا الى تكذيب موسى (ع) ولا الى تصديق الجمع بين الضدين ، إذ اليقين فى هذين الأخيرين أقوى من اليقين بصدور ذلك الخبر من موسى (ع) وأقوى من اليقين بالظاهر من ذلك الخبر ، ولا يطرح الأقوى بغير الاقوى .

فعلى هذه الطريقة العقلية لو كان فى مقالات شرع الاسلام - بعد الايمان به - كلام ينافى ظاهره أمراً يقينياً لوجب علينا العمل بتلك الطريقة العقلائية ، أعنى المعالجة بأخف الأدوية وترجيح أقوى الاعتقادين ، أى نجتهد فى تأويل ذلك الكلام أولا الى معنى مناسب ولو عجزنا عن هذا العلاج كذبنا ناقل هذا الخبر ، مع ان الاسلام قد اختص أقواله بخاصية لا نضطر بعد العلم بها

الى تكذيب الناقل ، وهى انا وجدنا فى هذه العصور وقبلها مقالات فى شرع الاسلام تنافى ما علم فى الفلكيات والفلسفيات والسياسيات وغيرها ، ولاجل تلك المنافيات رأينا علماءنا السلف أوّلوا ظواهر تلك المقالات الى معانى صحيحة عملا بأخف المعالجات ، ثم من بعد اطلاعنا على الكشفيات الجديدة والآراء السديدة علمنا ان ظواهر تلك المقالات كانت ناطقة بهذه الكشفيات وكان تأويلها من فساد معلوماتنا السالفة لا من جهة نقصان ظواهر المقالات ، وسيضحك الخلف ببعض علومنا كما نضحك بعلوم السلف الأقدمين .

فاذا اتضح لديك المقصد قلنا لك : ان العقل بعدئذ لو ظفر فى شرعنا على كلام ينافى ظاهره ما علمه فهو يجوز أولا خطأ علمه ، ويقول : لعل اتساع دوائر العلم وتكميل الادوات يظهر لنا فى المستقبل حقيقة هذا الكلام كما أظهر ألوفا من قبيله ، فانى اتركه على سنبله واضمره لمجىء أهله فكم ترك الاول للآخر ونال الغائب ما فات الحاضر ، ثم اذا جزم العقل بحكم ولم يجوز خلافه أصلا - مع ندرة هذا الجزم من الحكيم - فعلاج العقل عند ذلك تأويل الكلام الى معنى صحيح ، ثم لو عجز عن التأويل بعد الاجتهاد فعلاجه تكذيب ناقل الكلام عن الاولياء عليهم السلام .

«المقدمة الثالثة»

(الشواهد الداخلية على صحة النسبة)

إن اليقين بصدور الكلام عن صاحبه قد يحصل بسماعه عنه أو بثقات ناقليه - كما فى الخبر المتواتر أو خبر من ترى عصمته وتقدسه عن الخطأ - وقد يحصل من امور أخر : مثلما لو أخبروك بمقالة فى غاية البلاغة عن شخص متناه فى البلاغة فانك تجزم بأنها منه حيث تعلم فرضاً انه ابلغ المتكلمين كما تعلم انها ابلغ المقالات ، فلو جوزت كونها من غيره فلا تنقض يقينك بأنه الابلغ - وهذا خلاف المفروض - فلابد من تصديقك بأنها منه ، وهكذا لو اخبروك عن الولى بمقالة غيبية تنطق بما لا يقتضيه العقل ولا تدركه الحواس فانك تجزم بأنها منه حيث تعلم ان الاخبار بما لا تدركه الحواس ولا يقتضيه العقل شأن الولى فقط ، فانه المحيط بحقائق الكون حيطة غيبية مستمدة من المجردات الروحانية ، فلو جوزت ان تكون المقالة من غيره فقد نقضت علمك ويقينك (١) .

ومقصودنا من هذا الكلام ان الاخبار التى نرويها فى هذا الكتاب عن النبى (ص) وأوصيائه (ع) إذا تضمنت كشف المغيب قبل انكشافه بالآلات فلا يهمنا البحث عن نقلة الخبر وانهم ثقات أو ضعفاء وان الكتاب المنقول عنه معتبر عند الأصحاب أو غير معتبر ، فان هذا الباب غير سائر الابواب ، حتى أنه لو وجد مثل هذا الخبر فى أوهن كتاب عن أضعف الناقلين لكان ذلك مقبولا لدينا - إذا تقدم تاريخ الكتاب على تاريخ المغيب المكتشف -

---

(١) علم الغيب مختص بالله تعالى ولا يعلمه غيره إلا باعلام منه، كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول .. ﴾

لأنا نعلم انه اخبار عن المغيب فرضاً ونعلم ان المغيب لا يخبر عنه الاولى الله المرتبط به .

وهاتان المقدمتان المفيدتان تلازمان الخبر نفسه كيفما كان ناقله ولا ينقضهما شيء إلا تأخر تاريخ الكتاب عن وقت كشفت فيه الأدوات برقع الخفاء عن وجه مضمون الخبر ، فمراعاة هذا الأمر أهم من كل شي .

ولذلك ترى حكماء الافرنج إذا تلى عليهم خبر يتضمن كشف مغيب يجتهدون فى تحصيل نسخة عتيقة الخط تتضمن ذلك الخبر ولا ينظرون الى ناقله قط ، ولأجل هذه النكتة تجدنى ساعياً فى تكثير اسامى الكتب الشاملة للخبر مبيناً تواريخ نسخها فى المقدمة الاولى لتطمئن القلوب بتقدم الخبر على زمان ظهور المغيب المخبر عنه ، فأذكر الخبر مثلا عن كتاب الكافى وتفسير القمى والاحتجاج ومجمع البيان والبحار والبصائر وغيرها . فيخال الناظر ان ذلك الخبر مروى فى كل من هذه الكتب بسند غير ما فى الآخر والحالة انه فى الجميع بسند واحد ، فالوجه فى ذلك ان المقصود إنما هو ايجاد العلم بأن مضمون هذا الخبر صادر قبل زمان انكشافه للحكماء المتأخرين ، وهذا المقصد يحصل بذكر الكتب المتعددة الشاملة لهذا الخبر المكتوبة أو المؤلفة قبل زمان اختراع الأدوات الكاشفة عن تلك الحقائق .

ومن علم تاريخ سراية علوم الغربيين إلى أقطار الشرق فقد استغنى عما قدمناه ، فان العلوم العصرية والكشفيات الغربية لم ينتقل شيء منها إلى أبناء الشرق إلى القرن الثانى عشر الهجرى . والمنقول من المؤرخين هو ان القطر المصرى والسورى أول بقعة فى الشرق طلعت عليها شمس العلوم الغربية بواسطة (بونابرت نابليون) الفرنسى المتوفى سنة ١٨٢١ م إذ حسب تسخير الشرق بنشر علومهم فيه ، ثم القطر اليابانى دبت فيه العلوم الافرنجية وهى

ذات ثروة فاضلة وصنائع كاملة وحكومة ذكية ، فاستقبلت العـــلم بترحاب وانتخبت من ملتها رجالا للاغتراب ، ثم القطر الهندى ثم القطر الفارسى سرت فيه فى عصر الخاقان (فتحعلى شاه) فظهرت فى عصر حفيده ناصرالدين شاه وأثمرت فى عصرنا الزاهر الذى نرى فيه ملل الاسلام باقتضاء دينهم يتسابقون الى اعادة مجدهم واضاءة الوطن بنور العلم وفضل الدستور . والى الله ترجع الأمور .

«المقدمة الرابعة»

(الفرق بين التفرس وكشف المغيب)

اعلم أن كشف المغيب الذى هو حجة الأنبياء والاولياء هو اظهار مالا يدركه الحس ولا يقتضيه العقل كقول نبينا (ص) بأن الهواء فيه خلق وقول وصيه على (ع) : « لا تبل فى الماء فان للماء أهلا » (١) ونحو ذلك مما لا تدركه حاسة مجردة ولا كان يقتضيه دليل عقلى كما لم يكن مقتضياً لعدمه. فمثل هذا الامر لا ينطق به إلا المحيط بحقائق الكون المنكشف لديه أسرارها كالله تعالى ومن أوحى اليه منه تعالى ـ فمن ادعى النبوة والولاية وأظهر المغيبات التى يعجز الحس والعقل عن كشفها فهو صادق لدى أبناء كل شريعة ، إذ لا يقدر على ذلك غير الولى الكامل والولى منزه عن الكذب والخيانة على الأصول المقررة فى علم العقائد .

وأما التفرس فهو مغاير لكشف الغيب ، فان التفرس إنما هو اظهار أمر خفى من علاماته ولوازمه الدقيقة ، فان كان الامر من صفات النفس ونحوها سمى التفرس (قيافة) كتفرس الحمق فى عريض القفا وتفرس الفطانة فى القصير ونحو ذلك ، وان كان من الحوادث الآتية خصوصاً أو عموماً سمى (التنبوء) كتفرس السياسيين مستقبل أحوال الأمم وما سيحدث فى العالم .

---

(١) وقال (ع) فى بعض خطبه : « ورب هذه الأرض التى جعلتها قراراً للأنام ومدرجاً للهوام والأنعام ومالا يحصى مما يرى ومالا يرى .. » فما لا يرى هو المكروب المشار اليه فى آية : « ويخلق مالا تعلمون »

والتفرس بجميع أقسامه لا يكون دليلا على شيء مما ذكرناه ، لأن منشاؤه الحدس والتروى فى الاسباب الخفية والعلل المعدة التدريجية والقياس على النظائر والاشباه .

* * *

وفى شرعنا القدسى مقالات فى اظهار ما سيحدث يحتمل فيه الوجهان مع الغض عن شاهد يخصها بأحدهما، كاخبار القرآن بغلبة الروم بعد مغلوبيتهم فان الاجنبى يحتمل فيه انه اخبار عن مغيب لا يدركه حس ولا يقتضيه عقل، ويحتمل فيه أيضاً انه تنبؤ منشأه النظر فى الاسباب الخفية والحدس القوى، لكن الشاهد على كونه كشفاً للغيب هو : ان التفرسات السياسية تفيد الظن ، وبعيد جداً أن يذكر مدعى النبوة بين أعاديه فى كتابه الذى هو معجزه الباقى أمراً ظنياً وحادثة حدسية ويخبر عنها بصور الجزم فيقول : ﴿ آلم . غلبت الروم . فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ (١) .

وكيفما كان فللاسلام مقالات وافرة من قسم كشف الغيب ، كتصريح الرضا (ع) بوجود أرض فوقنا فى السماوات ، وتصريح الباقر (ع) بوجود أقمار عديدة بعد قمرنا المحسوس ، وكذلك التصريح بكثرة العوالم والشموس وتصريح على (ع) بنجمة اروس ، وغير ذلك مما لا محمل له عند الانصاف إلا الوحى والارتباط بخالق العالم والمحيط بأسراره ، إذ لا نرتاب فى أن هذه الامور يعجز الحس المجرد والعقل عن ادراكها ، وإنما توصل المتأخرون الى فهمها بالأدوات القوية المخترعة بعد الالف الهجرى .

* * *

فان قلت : نجد هذه الآيات والروايات بعضها صريحاً واضح الانطباق

---

(١) سورة الروم آية ١-٣ .

على الكشفيات الجديدة وبعضها مجملا يحتاج الى بيان ، فأى وجه للعدول فيه من التوضيح الى الاجمال ؟

قلت : لا ريب ان الكلام قد يخلو مجاله عن كل مانع فنجده واضحاً أكمل توضيح ، وقد يقترن بشواهد مقامية أو عقلية يستغنى المتكلم بسببها من تطويل الكلام فيستوفى الحاضرون مرام المتكلم لاحاطتهم بالشواهد ولا يستوفيه الغائب لفوات الشواهد منه فيحتاج الى بيان ، وقد يحصل الاجمال من اختلاف اللغات وخفاء بعض الصفات ، فيصف المتكلم شيئاً بلغة عصره ومصره ثم يعثر على هذا الكلام أبناء سائر الأعصار والأمصار فلا يأنسون بمساق الكلام أو لا يفهمون الصفات والعلامات المذكورة فيه لاختلاف اللغة أو اختفاء الصفة ، كما فى الروايات الناطقة عن أئمتنا (ع) : « إن لله تعالى مدينتين عظيمتين فى أرضنا أحدهما بالمشرق اسمها جابلقا والاخرى بالمغرب اسمها جابرسا وفيهما خلق لا يعرفون آدم ولا ولده » فانى احتمل ان تكون الأولى اشارة الى جزيرة اوستراليا التى اكتشفها (دويفكن) القبطان سنة ١٦٠٦ م ولذلك تسمى بالهولند الجديدة وهى فى شرق جزيرة العرب التى هى مصدر كلمات الشريعـــة ، وتكون الثانية إشارة الى جزيرة امريكا التى اكتشفها (كولومبس) و (امريك) سنة ١٤٩٢ م وهى فى غرب جزيرة العرب قبل نصف الدور ، فهـــذا التطبيق لا يبعده غير اختلاف اللغات والأسامى وبعض الصفات الخفية (١) .

ثم ان المتكلم قد يرى المانع من توضيح كلامه فيكسو قوله حلة الايجاز كما لو توقف شرح الكلام على مقدمات غير موجودة بحيث لو كانت المقدمات

(١) ويجوز أن تحمل المدينتان على كرتين فى خارج أرضنـا . وانظر مجلة المقتبس ج ٩ المجلد ٤ ص ٥٧٠ فان فيها مقالا هاماً عن جابلص وجابلق .

لأفاد الشرح للمخاطبين . وأما مع فقدها فقد يضر بحالهم أو بشأن المتكلم حيث انهم يكذبونه أو يهينونه من استغراقهم في الضلال والجهالة ومن غرابة أصل المعنى حتى قرب من الاستحالة فكيف يصدق به من لا يحسه ولا يتصوره فيكسو المتكلم عندئذ حلة التشبيه أو الايجاز حتى لا تعطى غرابة كلامه مسكا بيد العدو العالم أو المحب الجاهل - أعاذنا الله منهما - فيتولد من ذلك ما يفوت الأغراض المقدسة التي كانت على عهدة المتكلم .

ومما اكتسى ثوب التشبيه قول النبي (ص) : « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » (١) فان أطباء الافرنج كشفوا عن موضع الجذام وإذا فيه مكروب على صورة الأسد تنتشر في الهواء المجاور للمجذوم فتدخل من مجرى النفس فيمن يقترب منه فتؤثر فيه بعض الاحيان . فتشبيه النبي (ص) فرارنا عن المجذوم بالفرار عن الأسد يعطى المرام بنحو من اللطافة .

نكتة

أكثر الحقائق الخفية نجدها في شرع الاسلام تدرجت لدى ظهورها على ألسنة الشريعة ، فالمطلب الغامض البعيد عن عقول الجمهور نجد القرآن الكريم يومى اليه باجمال ، وكذلك النبي (ص) يشير اليه في ظواهر كلماته ، وأما الأئمة (ع) فيظهرونها للناس بالتصريح تدريجاً . فتحرك الأرض مثلا

(١) وفي من لا يحضره الفقيه : « انه (ص) كره أن يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينهما قدر ذراع » .

يومى اليه القرآن بكسوة التشبيه تارة بأنها مهد أو ذلول وبكسوة الاجمال أخرى فى قوله تعالى : ﴿ وترى الجبـــال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾ (١) وأما الأئمة (ع) فيصرحون بالتحرك كما سيأتى .

وأيضاً تعدد الارضين يشير اليه القرآن بقوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ (٢) ويصرح الأوصياء بأنها سبع أرضين وانها فوقنا وفيهـــا كـذا وكـذا .

وأيضاً كثرة الشموس والأقمار والعوالم يومى اليها القرآن بقوله تعالى : ﴿ رب العالمين ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ (٤) ونحوها ، ويصرح الائمة بأن من وراء هذه الشمس المحسوسة شموس وأقمار عديدة وخلف عالمنا عوالم كثيرة فيها خلق كثير .

وهكذا أكثر الابواب نجد السنة فيها أصرح من الكتاب . ولعل الوجه فيه أمور :

(منها) ان القرآن كتاب عام لا يخص عصراً ولا مصراً ، فينبغى له المشى المتوسط بحيث يرغب اليه الكل فى كل عصر ويتدبرونه برغبة حتى يسلموا بهداه . كما قد جارى رأى أهل عصره فى محل القوة الدراكة ، فانهم كانوا يحسبون ان محلها الصدر والقلب فسايرهم القرآن فى ذلك حكمة وسياسة ، فقال تعالى : ﴿ وشفاء لما فى الصـــدور ﴾ (٥) وقال : ﴿ ونزعنا ما فى

---

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) سورة الطلاق آية ١٢ .

(٣) سورة الفاتحة آية ٢ .

(٤) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٥) سورة يونس آية ٥٧ .

صدورهم من غل ﴾ (١) وقال : ﴿ فانها من تقوى القلوب ﴾ (٢) .

(ومنها) ان هذه الشريعة نشأت فى قوم استغرقتهم الجهالة واستعبدتهم الخرافات ، فلو فاجأتهم بتكذيب جميع خرافاتهم دفعة ونسخت كل عقائدهم بغتة فى العبادات والمعاملات والالهيات وأسرار الكون لما تقدموا اليه شبراً فوجب نشر العلم فيهم شيئاً فشيئاً وابطال عقائدهم تدريجاً مقدار ما تستنير عقولهم وتتحمله أفهامهم القاصرة . قال النبي (ص): « إنا معاشر الأنبياء امرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم ، فالذين يرمونه بالجنون - لأنه جعل الآلهة إلهاً واحداً - كيف يسكتون عنه إذا قال لهم مثلا : ان نجمة المشترى هى أرض مثل أرضنا ألف مرة وفيها بحار وأشجار وعمار وديار ، فهل تقتضى سياسة العقلاء إلا المماشاة معهم وتنوير عقولهم بالتـــدريج ! فالنبى (ص) يحرك العقول نحو هذه الغرائب والأوصياء يبثونها مشروحة .

* * *

فان قلت : سيأتى ان اظهار هذه الامور خارج عن وظيفة النبى (ص) ولا يجب عليه ، فما كان الباعث له فى ابداء هذه الأسرار حتى يقارب الأخطار ولم لم يسكت عنها كباقى الأديان ؟

قلت : إن فى ذلك أسراراً ومصالح وافرة ، ولا ينبغى لنا قياس الاسلام بباقى الشرائع ، فان الاسلام دين يبقى الى الأبد ويتكفل تكميل البشر من كل وجهة ، وينبغى أن يتدبر الناس فى معاجزه وآياته فى كل عصر ومصر ، ومعجزاته الحسية ترشد الحاضرين عند الرسول (ص) ويلزم للغائبين وأبناء القرون الآتية معاجز متجانسة على اختلاف مشارب العقلاء .

---

(١) سورة الاعراف آية ٤٣ .

(٢) سورة الحج آية ٣٢ .

ألا ترى حكماء الافرنج لا يهتدون اليوم بنقل تكلم الضبى والضب وانفلاق الحجر وانشقاق القمر ونحوها من معاجز نبينا ، ولكنهم إذا تدبروا القرآن وشاهدوا مثلا الآيات الناطقة بأن الذكورة والأنوثة وناموس اللقاح لا تختص بالحيوان بل تعمه وتعم النباتات والجمادات كما فى قوله تعالى : ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ (١) وقوله : ﴿ ومن كل شىء خلقنا زوجين ﴾ (٢) تعجبوا من ذلك واتخذوه مصدقاً لرسالة محمد (ص) من دون التفات الى سائر المعجزات أو بلاغة القرآن .

ولعمرى ان مقالات الشريعة الاسلامية بجملها ومفصلها ملكت قلوب العارفين فى كل مكان وزمان وصارت فى النفوس الكاملة أشد تأثيراً من شهود خوارق العادات لغيرهم ، فالالهيون قديماً وحديثاً يستنيرون من حقائقها متعجبين من دقائقها وكذلك فلاسفة الطبيعة والفلك ودواهى البلغاء والمؤرخين من القدماء والمتأخرين ، فلكل قوم أصبح الاسلام هادياً بمعاجز معنوية تناسب مشاربهم .

وأما السياسيون من الافرنج وغيرهم فحسبك اعتراف كثير منهم بأن التمدن الغربى الذى أضحى نخبة لأفكار ملايين الألوف من الحكماء اكثر من ستمائة سنة بتشكيل آلاف الالوف من المجالس والجمعيات الكاملة لم يبلغ بعد ذلك كمال التمدن الاسلامى الذى أظهره رجل واحد ، إذ لا يشذ عنه شىء من محاسن مدنية الغرب أصولها وفروعها بل يفوقها ويزيد عليها ، وليس فيه شىء من مفاسد تلك المدنية التى أعيى الحكماء رفعها .

تدبر آفات المدنية الحديثة فكل كمال فى التمدن الحاضر تجد الاسلام

---

(١) سورة الحج آية ٥ .

(٢) سورة الذاريات آية ٤٩ .

حاوياً له وكل نقص يوجد فيه تجد الاسلام بعيداً عنـــه وناهياً إياه ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾(١) .

قال القس (لوازن) فى خطبة ألقاها فى مصر ٢١ فبراير سنة ١٨٩٦م :

« ... وليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة ولا فى المسائل التى انتهى حلها والتى تحت الحل ما يغاير هذه الحقائق الاسلامية الوضاءة ... ولهـذا فان التوفيق الذى نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين ايجاده بين العقل والاعتقـاد فى ديننا المسيحى هو سابق موجود فى الديانة الاسلامية » .

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .

« المقدمة الخامسة »

(سبب سكوت الأديان الأخرى عن الأسرار الكونية)

ان الغرض من بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء وإنزال الكتب إنما هو إرشاد العباد الى عبادة الرب تعالى ونصحهم للعمل بما يحبه وترك ما يكرهه من الأفعال ليبقى نظام الاجتماع وتحفظ الأشخاص والأنواع وتكمل النفوس وتصفى القلوب ويتهيأون لحضرة الرب عظم شأنه ، فلا يجوز للرسل الاخلال بشيء من هذه الوظائف المقدسة المختصة بهم ، وأما ارشاد الناس الى وسائل المعاش وطرق تكميل الدنيا وتجملاتها أو تعليم العلوم المنعقد تكليف بيانها على ذمة الحس مع العقل كالحساب والهندسة والطب ونحوها فجميع هذه الأمور خارجة عن وظائف الرسل ،فلو بينوا شيئاً منها فاحسان منهم وتفضل بمقدار ما ينبغى لهم أو يقتضى الحال فاقداً للموانع بحيث لا يزرى بشأنهم ولا يخل بمقصدهم الأصلى .

وهذا الذى أقوله يعتقده كل حكيم متبحر . جاء فى المقتطف ص٥٤٧ سنة ١٣١٤ هـ : أما نحن فقد قلنا مراراً أن ليس غرض الكتاب السماوى تعليم العلوم الطبيعية ولا نقضها ، فان وافقها أو خالفها فالموافقة والمخالفة عرضيتان كما اننا فى معاملاتنا اليومية نوافق العلوم الطبيعية مرة وتخالفها أخرى .

ويجيب فى مشهد الكائنات متردداً سأله : لماذا لم يذكر موسى النبى (ع) ما رأيناه بتمامه (يعنى الكشفيات الجديدة) ؟ فقال فى جوابه : ان النبي لم

يتحر إلا تاريخ الانسان ولهذا تراه ذكر بالاجمال عن كيفية السماء والارض.

أقول : وأما نبينا وأوصياؤه - الذينهم ألسنة الشرع الاسلامى - فقد شرحوا لنا مبادىء العلوم المفيدة غالباً ونطقوا بكشفيات الحكماء كثيراً لكن المنقول منها بين الحفاظ قليل والواصل الينا أقل ، وهو مع قلته يغلب المحيط نداه ويفوق الرعود صيته وصداه . وليس قلة المنقول لتقصير من الأولياء (ع) بل لقصور أو تقصير من أصحابهم الراقدين ، فان المصيبة انهم - عليهم السلام - انبعثوا بين اناس جاهلين لا يعرفون قدر المعارف ولا أثمان الكمالات ، تشهد لبعضهم قلوباً كالحجارة أو أشد قسوة .

ولو نبغ هذا الدين فى غير جاهلية العرب لاكتسبوا من أنواره وعلومه ما يغنى الناس ويضىء العالم ، ومن ذلك صار اكثر حملة العلم فى الاسلام الفرس كما صرح به المؤرخ الكامل جرجى زيدان وغيره . وقصدى من هذا الكلام ان الشريعة الدائمة وأولياءها (ع) أتوا الأمة فوق ماتحتاج اليه من العلوم والكمالات ، ولكنها قصرت فى ضبطها ونقلها على ما ينبغى ففاتها الكثير وبقى القليل ، ولكن (قليلك لا يقال له قليل) .

المقدمة السادسة

(فى المتفق عليه والمفترق من الهيئات)

ان المسلم بين الفلكيين بل وعند الناس أجمعين فى أبواب الفلكيات إنما هو وجود الاجرام السماوية المحسوسة وظهور الشمس والقمر والنجوم بعد خفائها وخفاؤها بعد ظهورها فى كل يوم وليلة وتشكلات القمر وسائر أحواله المحسوسة وقرب الشمس وبعدها عن شمال الأرض أو جنوبها فى السنة مرة وتبدل أوضاع الثوابت المجتمعة فى شهور السنة وعودها الى أوضاعها بعد سنة وأمثال ذلك من التغيرات التى لا ينكرها حيوان فضلا عن انسان . وانما الخلاف فى الأسباب الحقيقية لهذه الأمور وتميز الوهمى منها والحسى وتفرقة المجازى من الحقيقى ، فاختلفت الحكماء فى هذا المقام من سالف الأيام واختار كل مسلكا ونظاماً وهيئة وأحكاماً . والمنقول من هاتيك الهيئات ستة :

١ - هيئة ذيمقراطيس

وبجمل هذه الهيئة على ما فى مشهد الكائنات ان الفضاء مملوءة من الهواء والكواكب كلها منثورة فى الهواء غير ثابتة فى جرم وتتحرك بمقتضى طبعها بسبب جذب الهواء ، فكلما كان الكوكب قريباً من مركز الأرض كان أبطأ سيراً وكلما كان أبعد كان أسرع ، كما هو شأن الكرة المتحركة على مركزها فى نفس الأمر دون ظاهر الحس . ومن ذلك صارت الثوابت لديه أسرع سيراً من الجميع دائرة حول الأرض فى يوم وليلة ... الخ .

٢ - هيئة بطلميوس

وبطلميوس (١) هذا هو مصنف المجسطى قبل الميلاد بقرن ونصف قرن وموجز هيئته ان الارض كرة ساكنة فى الوسط يستر الماء أرباعاً من سطحها وتحيط بالمجموع كرة الهواء ثم تحيط بالهواء كرة النار ثم يحيط بالنار فلك القمر وليس فيه شىء غير القمر ثم يحيط به فلك عطارد ثم فلك زهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل يحيط كل فلك منها سابقه ، ولن يوجد فى ثخن الواحد منها غير نجمة واحدة بها يعرف ذلك الفلك ، ثم يحيط بفلك زحل فلك عظيم ثامن قد ارتكزت فى ثخنه الكواكب الثابتة بأجمعها ، ثم يحيط بفلك الثوابت فلك تاسع اسمه أطلس ليس فيه نجم أصلا ولا نهاية لأقطار ثخنه وهو المالىء لفضاء العالم كله ولا يعلم محدبه إلا الله تعالى ، وهو فى سرعة الحركة بمثابة يدور حول الأرض بجميع ما فى جوفه من الأفلاك والاجرام مرة فى كل يوم وليلة . انظر شكل (١)

ولكل نجمة غير الثوابت سير خاص تبعاً لسير فلكه المخصوص على خلاف سير الأطلس ، ولذلك سميت بالسيارات السبعة وتختلف حركاتها جداً ، ويشتمل كل فلك من السبعة على أفلاك جزئية قد أطنب فى شرحها القدماء فى كتبهم ، وسنذكر بعض مبانيهم واعتقاداتهم فى ضمن مسائل هذا الكتاب .

والهيئة البطلميوسية هذه كانت لعمرى على أحسن تلفيق ونظام وأشبه بالحقيقة لو لم تعارضها نتائج الآلات الحديثة والكشفيات الأخيرة ، لذلك تراها نسخت جميع النظامات والأقوال من حين ظهورها وارتضاها جماهير

(١) المشهور بين القدماء فى ضبطه تقديم الميم على الياء المثناة وأما عند العوام فبالعكس والصحيح هو الأول .

الحكماء وصار له فى العالم المتمدن مجالا لأصحابها ، وهى التى نسميها بالهيئة القديمة (١) .

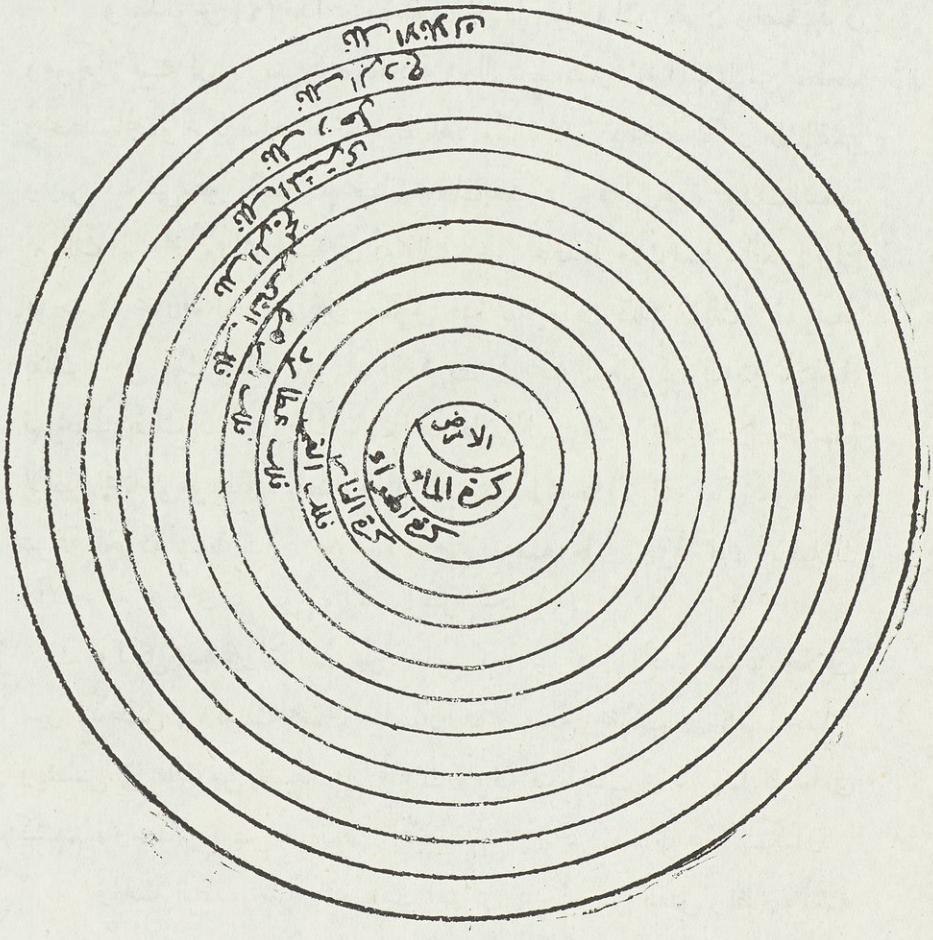

(ش - ١) النظام الشمسى البطلميوسى

(١) ان الهيئة البطلميوسية مع كثرة أنصارها انهدمت بمساعى أربعة من فلاسفة أروبا وهم (١) كوبرنيك بترويجه حركة الأرض (٢) كبلر بترويجه بيضوية الأفلاك (٣) غاليله بترويجه التلسكوب (٤) نيوتن بترويجه قوانين الجاذبية العمومية .

٣ - هيئة المصريين

وتخالف هيئة بطليموس إلا فى جعل عطارد والزهرة قرين للشمس يدوران حولها خاصة والشمس تدور بصحابة باقى الاجرام حول الأرض . نقل ذلك فانديك .

٤ - هيئة تيخو براهه

وتيخو براهه هو العالم الدانيماركى المتوفى سنة ١٦٠١ م (١) وموجزها ان الأرض ساكنة فى مركز الحركات كما مر عن بطليموس ، والقمر دائر حول الارض والسيارات كلها كأقمار دائرة حول الشمس ، والشمس مع هذه السيارات سائرة حول الارض . نقل ذلك فانديك وجاء فى دائرة المعارف أيضاً . وذهب الى هذا النظام (ليكومنطانوس) غير انه قال بحركة الارض .

٥ - هيئة فيثاغورس

وهو الفيلسوف اليونانى المتولد فى ساموس سنة ٥٩٠ ق م . ومجملها على مافى تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ ان أشرف مكان الكون إذ كان لاشرف عنصر وكان المركز والمحيط أشرفا الامكنة كانت النار فيهما ، ففى المركز جرم نارى تدور حوله جماعة الاجرام العشر الآلهية ، وهى الثوابت أولا ثم السيارات السبع ثم الارض من بعد القمر تاسعة ثم الانجم الخيالية التى توهمها

(١) أخذ تيخو براهه علم النجوم فى مدرسة ليبسيك بالمانيا وولع بالزيج الالفنسى والزيج البروسى ، ثم أقام فى مرصد الدنيمرك عشرين سنه وصنع زيجات لانكسار النور حتى الدرجة (٤٥) وزيجات شمسية دقيقة وأصلح الزيجات القمرية ، وأثبت ان أفلاك المذنبات وراء القمر ، وعين مواقع (٧٧٧) نجماً من الثوابت . وأبقى ارصاداً كثيرة للسيارات على الهيئة القديمة استخدمها تلميذه كبلر فى اثبات الهيئة الكوبرنيكية .

الفيثاغورسيون مكملة للنظام الكونى ، فتكون الارض دائرة حول النار المركزية على دائرة مائلة ، ثم تدور هى على نفسها حول خط وهمى بين قطبيها محور دورة توجد الليل والنهار .

وبدل (أرستارك) من أصحابه نار المحيط بالفضاء الفاقد للنهاية كما بدل نار المركز بالشمس ، فأضحت هذه الهيئة أقرب الى الهيئة العصرية من الجميع.

٦ ـ الهيئة الجديدة

وهى من فلاسفة أروبا الناهضين نحو العلوم بعد نهضة المسلمين ، ومن ذلك تسمى (نظاماً حديثاً وهيئة عصرية أو غربية جديدة) وغير ذلك .

ويمكننا القول بأن هذه الهيئة الجديـــدة هى الهيئة الواردة فى أخبار آل محمد ﷺ وذلك لان الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المشهور بذكر المغيبات قد تحقق انه تكلم فى فنون الهيئة والكيمياء ومباحث الطبيعة كما يظهر من كتب تلميذه جابر بن حيان المطبوع كثير منها فى المانيا قبل ظهور نوابغ الهيئة الجديدة (١) .

والمعروف أن (كوبرنيك) كان ذا اطلاع على الكتب الشرقية وانه كان يأخذ منها المطالب ثم يسندها الى نفسه ، فيظهر اذن مما تقدم ان علماء الهيئة والكيمياء من أهالى أروبا وألمانيا عرفوا نظام الهيئة الجديدة والكيمياء

(١) قال ابن خلكان فى كتابه وفيات الاعيان عند ترجمته للامام الصادق عليه السلام : انه أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الامامية ، كان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه فى مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام فى صناعة الكيمياء والزجر والفال ، وكان تلميذه ابو موسى جابر بن حيان الصوفى الطرسوسى قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق ، وهى خمسمائة رسالة .

من كتب علماء الشرق القدماء الذين أخذوا علومهم من آل محمد ﷺ ، ثم

وقال كرنيلوس فانديك فى مقالته (أطباء الشرق) المنشورة ص ١٢٣ من مجلة المقتطف لعام ١٨٧٦ م ما لفظه : أبو عبدالله جعفر بن محمد بن على الصادق السادس من الأئمة المستورين العلويين الف فى الهيئة والكيمياء والرمل وتوفى فى المدينة سنة ١٤٨ هجـ ، ٧٦٥ م ، وأبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطوسى مولداً الكوفى مسكناً من تلامذة جعفر الصادق ، واشتهر فى الكيمياء وجمع خمسمائة رسالة من رسائل جعفر فى ألف صفحة طبع مؤلفه فى ستراسبورج سنة ١٥٣٠ م وطبع أصول الكيمياء لجابر فى باسل سنة ١٥٧٢م وكتاب له فى الهيئة طبع فى نورسبرج .

وفى كشف الظنون بعد تصريحه بكون جابر تلميذ جعفر الصادق قال: وأول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفى من تلامذة خالد .

أقول : لابد وان يراد من تلمذه على خالد استفادته من كتب خالد، كما أن الجلدكى المتأخر كثيراً عن جابر يعد نفسه من تلامذة جابر ، ضرورة تأخر عصر جابر عن عصر خالد المتوفى سنة ٨٥ هجـ أى فى أواخر القرن السابع الميلادى حينما توفى جابر سنة ١٦١ هجـ أى بعد وفاة خالد بنحو ثمانين سنة ، وقد صرح أدوارد بن فانديك بأن جابراً ولد فى أوائل القرن الثامن الميلادى . والصحيح تلمذ جابر على جعفر الصادق عليه السلام كما صرح به هو وغيره ، وجاء فى الشعر المنقول فى كشف الظنون :

حكمة أورثناها جابر عن امام صادق القول وفى

وذكر فى كشف الظنون أيضاً ان جابراً خص بالتقدمة من بين كتبه كتابه المسمى بالخمسمائة . وهذا إشارة الى ما ذكر من أن له خمسمائة رسالة من رسائل جعفر فى ألف ورقة .

من بعد مااهتدوا الى نظام الفنون الطبيعيه صاروا يؤيدون أقوالهم بالأدوات والآلات . ويؤيد ذلك ان ظهور الهيئة الجديدة فى أروبا كانت أولا قبل اكتشاف النظارات وبقية الأدوات .

ولما كان أساس هذه الهيئة الجديدة حركة الأرض والسيارات حول الشمس حركة وضعية وانتقالية ، وكان أول المبرهنين على هـــذه المسائل (كوبرنيك) البروسى المتوفى سنة ١٥٤٤ م اسندت هذه الهيئة اليه ، مع انه لم يكتشف أموراً جديدة فى الهيئة وقد سبقه فى اكثر أقواله أساطين الحكمة من المسلمين واليونان والافرنج ، لـكنه امتاز من بينهم باقامة البراهين والتوضيحات اللازمة فاتبعته الحكماء سراً وجهراً وعد بذلك مؤسساً للهيئة الجديدة وصار لقوله دوى عظيم ، لـكنه أخطأ فى مدارات السيارات إذ فرضها بركارية ، أى دوائر حقيقية تبعاً للمتقدمين .

ومنذ أن نشأ الحـكيم الشهير (كبلر) الألمانى سنة ١٦٥٠م وكشف قواعد الجاذبية وحكم بأن المدارات بيضوية أو اهليلجية صحت المحسوبات والارصاد ومع ذلك كله لم يكن لهذه النظرية رمق باهر ولا رونق ظاهر حتى قام (غاليله) الايطالى واخترع النظارات المـكبرة والمقربة وتفرع منها أدوات كاملة ، فنشطت بهامبانى هذا الفن وظهرت خفاياه وأحسوا بأصولهم الحدسية وتطايرت نفوس الحكماء الى تكميل هذا الفن من كل فج عميق حتى بلغوا هذا المبلغ العظيم المحير للعقول .

ويجب علينا أن نذكر موجزاً من الهيئة العصرية لتكون على بصيرة ، وهو ان الشمس عندهم كرة نورانية بذاتها نارية بنفسها ثابتة فى وسط أفلاك السيارات كالمحة فى البيضة ، وجميع السيارات كرات مستنيرة من الشمس مجذوبة لها دائرة حولها وحول أنفسها كأرضنا فى اكثر الجهات معلقات فى الفضاء لكل

منها جبال وبحار وهواء ، وأقرب هذه السيارات نجمة (فلكان) بعدها عن الشمس ١٣ مليون ميلا ودورها المحورى ١٨ ساعة ودورها حول الشمس عشرون يوماً ولم تزل أحكامها مجهولة لصعوبة رصدها .

ثم نجمة (عطارد) وبعدها عن الشمس ٣٥ مليون ميلا ودورانها المحورى ٢٤ س ٥ ق (١) ودورها حول الشمس ٨٨ يوماً وحجمها أصغر من الارض ٢٤ مرة وفلكها الاستوائى مائل على دائرة البروج قليلا .

ثم نجمة (زهرة) بعدها عن الشمس ٦٦ مليون ميلا ودورها المحورى ٢٣ س ٢٢ ق ودورها حول الشمس ٢٢٥ يوماً وحجمها قريب من الارض على نسبة ١٠٫٩ وميل فلكها خمسون درجة .

ثم أرضنا وبعدها عن الشمس ٩٣ مليون ميـــلا وقطرها ٨٠٠٠ ميل ودورها المحورى ٢٤ ساعة ودورها حول الشمس ٣٦٥ يوماً وميل فلكها ٢٣ درجة ونصف .

ثم نجمة (المريخ) وبعدها عن الشمس ١٤٠ مليون ميلا ودورها المحورى ٢٤ س ٣٨ ق ودورها حول الشمس ٦٨٧ يوماً وحجمها أصغر من الارض ست مرات ولها قمران وميل فلكها ٢٩ درجة .

ثم نجمة (المشترى) وبعدها عن الشمس ٤٧٦ مليون ميلا وحجمها اكبر من الارض ١٤٠٠ مرة ودورها المحورى ١٠ س ودورها حول الشمس ١٢ سنة ولها ثمانية أقمار وميل فلكها أربع درجات .

ثم نجمة (زحل) وبعدها عن الشمس ٨٧٦ مليون ميلا وحجمها اكبر من الأرض ٧٦٠ مرة وميل فلكها ٢٨ درجة ودورها المحورى ١٠ س ١٥ ق

---

(١) قد أثبت (شياپرلى) ان عطارد لا يدور على محوره ٢٤ س ٥ ق بل يتمايل تمايل القمر ويدور مثله على محوره فى المدة التى يدور فيها حول الشمس

ودورها حول الشمس ٢٩ سنة ونصف ولها تسعة أقمار (١) وحلقة نيرة عظيمة مؤلفة من ثلاث حلقات تحيط بها من بعيد كالنطاق .

ثم نجمة (ارانوس) وبعدها عن الشمس ١٧٥٣ مليون ميلا وحجمها اكبر من الارض ٧٢ مرة ودورها المحورى نحو عشر ساعات ودورها حول الشمس ٨٤ سنة واسبوعاً ولها ستة أقمار . وأول من عرف ارانوس هو الحكيم (سر وليم هرشل) وذلك فى سنه ١١٩٥ هجـ - ١٧٨١ م .

ثم نجمة (نبتون) وبعدها عن الشمس ٢٧٤٦ مليون ميلا وحجمها اكبر من الارض ٤٨ مرة ودورها المحورى مجهول ودورها حول الشمس ١٦٤ سنة و ٢٨٥ يوما (٢) .

وليعلم ان اكثر التقادير التى ذكرناها إنما هى تقادير تقريبية لا تحقيقية

ويسمى هذا المجموع نظاما شمسياً خاضعاً لنواميس الجذب ومقتضيات الطبيعة بمشيئة البارى تعالى . وحركة هذه الأجرام مطلقاً من الغرب الى الشرق فى مدارات بيضية مفروضة فى الفضاء . انظر شكل (٢) .

وما بين مدار المريخ الى مدار المشترى نجيمات صغار سيارة سيأتى شرحها وما بعد ذلك نبتون إنما هو فضاء مجهول الحقيقة قد نثر الله تعالى فيه الشموس الثابتة على أبعاد متشاسعة ، ورتب لكل شمس منها نظاماً كنظامنا ، فسبحان الله رب العالمين

وسنشرح ما أوجزنا ذكره فى طى مسائل الكتاب الآتية :

---

(١) قال (سرنور من لوكير) فى كتابه المختصر فى الهيئة بالانكليزية المطبوع سنة ١٩١٢ : ان لزحل عشرة أقمار .

(٢) اكتشف العلامة الفلكى (تومبو) سيارة جديدة سماها (فيلوتوا) سنة ١٩٣٠م وترى هذه النجمة بواسطة التلسكوب الأصغر ، وكان الدكتور (لاويل) قد ظن وجودها سنة ١٩٠٥ ولكنه لم يوفق حينذاك الى كشفها وقطر هذه السيارة ٤٠٠٠ ميل (ف) .

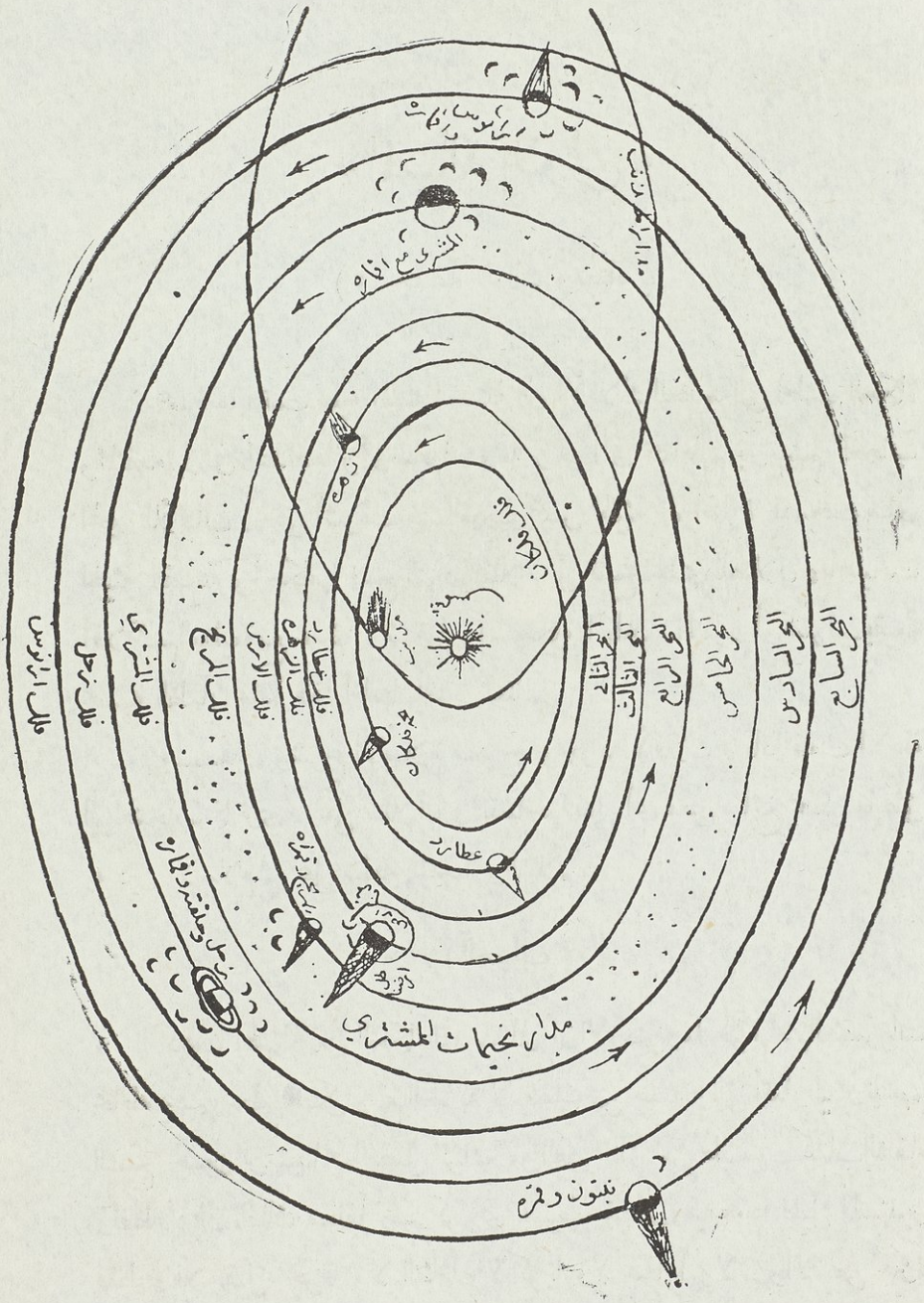

(ش - ٢) النظام الشمسى الكوبرنيكى

«المسألة الاولى»

(فى حقيقة الفلك ومعناه)

عمدة ما ابتنت عليه الهيئة القديمة هى الأفلاك العظيمة التى أطنب الحكماء والمتقدمون فى اعدادها وأوصافها ، وما برحوا فى نشاطهم بترتيبهم العجاب المحير للألباب . حتى أشرقت من الغرب شمس الهيئة الحاضرة فنسخت مبانى الهيئة القديمة وأحكامها نسخ النور للظلام بل نسخ الهدى للضلال ، فأصبحت أفلاكهم العظيمة مع عدتها وشدتها واستحكامها كالهباء المنثور أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً فاذا أتاه لم يجده شيئاً .

هـــذا ، وشرع الاسلام مصرح بوجود الأفلاك ، فاذا قامت الأدلة الواضحة - كما ترى - على بطلانها وانتساخها فعلى أى معنى سائغ يحمل مانطق به دين الاسلام - على مبلغه التحية والسلام ؟

(الجواب)

ذهب الجمهور من الحكماء القدماء الى ان الارض وما حولها من العنصريات محاطة بجسم عظيم فلكى دائم الحركة لا ينفك عن صفاته التى أشار اليها رئيسهم الشيخ حسين بن سينا فى الفصل الرابع من الفن الثانى من طبيعيات كتاب الشفاء ولفظه : ان الفلك مطلقاً جسم كروى بسيط شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط ، فلا يقبل خرقا ولا التئاماً ولا كوناً ولا فساداً ولا زوالا عن حيزه أبداً ولا تضاد فيه ولا مضاد له ولا فيه سكون عن حركته ولا تغيير فى صفته

وكذلك الأجرام المركوزة فيه كالشمس والقمر ، والنجوم أجسام كروية من جنس جوهر الفلك ألذى لا يتكون ولا يفسد ... الخ .

وأسندوا تحرك الافلاك الى أنفسها بالعشق والارادة، وأثبتوا لأجرامها حياة روحية (١) وقالوا : ان الفلك حيوان كامل بلا رأس ولا ذنب ولا اشتهاء ولا غضب ، ثم أفرطوا فى خواص الفلك وتقديسه غاية الافراط .

ونبي الاسلام وأوصياؤه - عليهم السلام - خالفوا الفلاسفة فى هذه الآراء وتجاهروا بتكذيبهم وتخطئتهم ونهوا أتباعهم عن اتباعهم ، كما فى حديث أبى بصير المروى فى آخر فصل من كتاب الارشاد للشيخ المفيد انه قال للامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : ان الناس يقولون إذا تغير الفلك فسد؟ فقال : ذلك قول الزنادقة وأما المسلمون فليس لهم الى ذلك سبيل .

والشرع الاسلامى المقدس كما نراه لم يخالف الحكماء فى أصل الفلك واسمه وانما خالفهم فى حقيقته ولوازمه .

ثم لا تخال صفاء الاحوال فى أفق الهيئة المتقدمة ، فان بلاء الاختلاف الناشىء من قصور العلماء أو تقصيرهم متهاجم عليهم أيضاً ، فتراهم هوّماً فى اعداد الافلاك وأوضاعها ونظاماتها حائرين فى تصفية مسائلها وحل مشاكلها يتداوون بتكثير الافلاك ، كما اعصوصب عليهم علاج الحركات المركبة والتوفيق بينها مع المحافظة على اعتقاد استدارتها ، فآل أمرهم الى تحشية الافلاك

(١) نقل الطوسى فى شرح الاشارات إطباق الطبيعيين على أن للأجرام حياة روحية وان لا ميت فى الكواكب ، وقد جنح الطوسى الى هذا الرأى ، ونقل عن ابن سينا فى النمط الخامس من الاشارات الحكم به ، ونقل عن المرتضى انه لا خلاف بين المسلمين فى ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وذلك معلوم عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة .

الكبار من الافلاك الصغار وتأليف كل فلك كلى من أفلاك خارج المركز وأفلاك جزئية وصغار من ممثل وحامل وتدوير ومائل وغير ذلك، فبلغ من ذلك عدد الأفلاك الجزئية عند الجمهور ٢٤ وعند (أوذكيوس) ٢٣ وعند (كالبوس) ٣٠، وعند (رجومونتانوس) ٣٣، وعند (أرسطو) ٤٧، وعند (فراسكاتور) ٧٠ فلكا. وانافها الفاضل محمد الخفرى على ثمانين.

هكذا وقعوا فى اختلاف عجيب يتبعه اشكالات صعبة قداعترفوا بالعجز عن حلها، وهم مع اختلافهم فى عدد الافلاك وصفاتها لم يختلفوا فى وجودها، غير انى وجدت فى كتاب مشهد الكائنات فى هامش ص ٤١ ان ذيمقراطيس أنكر وجود الجسم الفلكى وقال بتحرك الكواكب فى فراغ الفضاء.

أما الهيئة المتأخرة فقد أنكر أصحابها وجود الجسم الفلكى رأساً ولم يؤمنوا بحقيقته فضلا عن الايمان بصفاته المتقدمة، وما استلزم ذلك الانكار وهناً لمبانيهم ولا خللا فى أرصادهم بل زاد ذلك فى صحة مبناهم واستحكام نظامهم. فهم يطلقون اسم الفلك على المدارات الفرضية للأجرام السماوية، إذكل جرم سماوى فهو متحرك عندهم فى فراغ الفضاء فى مدار معين يباين مدار الجرم المماثل له على نسب متناسقة نظمها ناموس الجاذبية بقدرة آلهية، كما قال على عليه السلام فى وصف السماء وما فيها: «ووشج بينها وبين أزواجها» فالوشيج اشتباك القرابة والازواج استعارة بمعنى الامثال، أى أوجد الله سبحانه روابط متناسبة بين الأجرام وبين أمثالها حفظاً لنظامها الصالح.

وبالجملة فان الجرم السماوى متحرك لديهم على نظام دورى رجعى مستمر كما نراه فى الشكل الثالث وكل جرم متحرك على نهج مستمر فان الوهم يفرض لمسيره مجرى على حسب سيره، وذلك المجرى والمدار يسميه المتأخرون فلكا ولايختص ذلك عندهم بالنيرين والنجوم بل يثبت للأرض والسحب والشهب

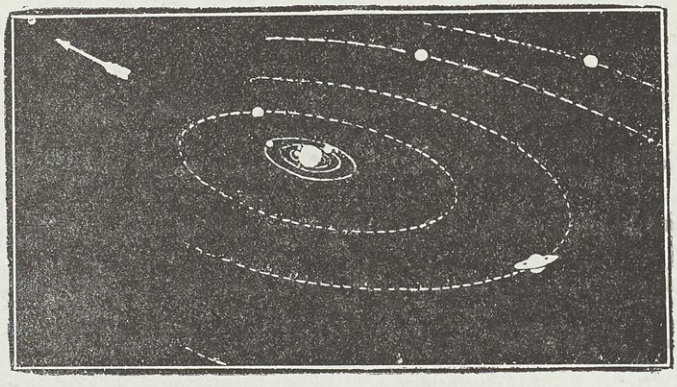

(ش - ٣) مدار السيارات على الرأى الحديث

والرجوم . وسيأتى اثباته للسحب فى الدليل الثالث عشر .

* * *

وقد اعترض على بعض العلماء وقال : لم لا يجوز الاعتراف بمسائل الهيئة الجديدة من كون الشمس مركزاً للحركات وكون الثوابت شموساً غير مرتكزة فى فلك مع الاعتراف بثبوت الافلاك السبعة للسيارات فقط ، وعدم وجدان القوم تلك الافلاك لا يستلزم عدم وجودها .

فأجبته : ان المتأمل فى مبانى الهيئة الحديثة يجد اكثرها مخالفاً لوجود الافلاك على النحو المتقدم ، ألا ترى ان الارض عندهم سيارة من سيارات

شمسنا مع انها غير مركوزة فى جسم فلكى فما وجه استثنائها لديك ؟

وأيضا المذنبات تخرق عندهم مدار السيارات ذهابا وايابا ، فلو كانت السيارات مرتكزة فى ضمن أجسام غلظها ملايين فرسخ لاختل موازين حركاتها وحركات المذنبات فضلا عن لوازم الخرق والالتيام ، الى غير ذلك من الموانع والمفاسد التى لا محل لسردها .

* * *

اذا اقتبست ما يكفيك من آراء القدماء والمتأخرين فى هذا المقام صح ان نلقى عليك ما عرفناه من ظواهر شرعنا وانه لم يقصد من اسم الفلك الامدار الكوكب ومجراه ، ويستدعى اتضاح الحقيقة تقديم أمر ظاهر ، وهو ان لفظ الفلك وما يشتق منه يطلق فى لغة العرب على الشىء المستدير استدارة عرفية . ففى القاموس وغيره : تفلك ثدى المرأة اذا استدار ، والفلك كل شىء مستدير ، ومنه فلكة المغزل (١).

اذا عرفت هذا قلت : كل من أطلق اسم الفلك فانما اعتبر استدارته ولو بالتقريب . ومن أمعن النظر فى كلمات الشرع وراجع أقوال المحدثين واللغويين من صدر هذا الدين وجدها ناظرة - بل وظاهرة - فى المعنى المختار فى هذه العصور ، أعنى كون المقصود من اسم الفلك انما هو مجرى سير السيار ومدار حركته المفروض فى فراغ الفضاء لا المعنى المعروف من المتقدمين .

أما كلمات المحدثين واللغويين فقد قال ابن الاثير فى النهاية : « والفلك مدار النجوم من السماء » . وقال صاحب القاموس : « الفلك محركة مدار النجوم » وقال الضحاك : « انما الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم » ، فما اصرح

(١) الفلك اسم معرب عن لفظة (بلك) الفارسية بمعنى الحركة ، وأما سائر مشتقات الفلك بالعربية كالتفلك ونحوها فمأخوذ عن الفلك .

هذا الكلام ونحوه . وقال الراغب الاصبهانى فى مفرداته : « الفلك مجرى الكواكب » . وقال ابن قتيبة : « الفلك مدار النجوم الذى يضمها » .

هذه الأقوال المسطورة بأسرها تنظر الى المعنى المختار فى هذه العصور، ولم يكن هذا التفسير الصحيح من هؤلاء العلماء لأجل اطلاعهم على الهيئة الجديدة لظهورها فى حدود الالف من الهجرة ، ولم يكن ذلك منهم لاجل اطلاعهم على الواقعيات الخفية والاسرار الغيبية ، إذ لم يكونوا من سلسلة الانبياء وأصحاب الوحى والالهام ، وانما كانوا مطلعين على هذا المعنى الصحيح لاستيناسهم بكلمات نبى الاسلام وأوصيائه (ع) والجرى على ظواهرها بأفكار حرة ، خلافا لغيرهم ممن مزج الشريعة بالاوهام .

وأما ظواهر الشريعة الدالة على ان الفلك هو مدار النجوم الذى تجرى الكواكب فيه فهى كثيرة نقتنع منها بأربعة عشر دليلا :

الدليل الاول

قوله تعالى فى سورة (يس) بعد ذكر الارض وما فيها والشمس والقمر والمنازل السماوية : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ (١) وقد استفدت امورا لطيفة من هذه الآية المباركة :

(منها) ان الأجرام السماوية تسبح وتجرى فى الفلك وفاقا للمتأخرين وخلافا للقدماء القائلين بأن الأجرام السماوية ثابتة كالمسامير فى ثخن الافلاك لا تنتقل من مواضعها قط ، وانما حركاتها بتوسط حركات أفلاكها . وظاهر الآية يعطى عين ما تقرر فى هذه العصور ، واعترف بذلك المحقق فخر الدين

(١) سورة يس آية ٤٠ وتجد هذه الجملة أيضا فى سورة الانبياء آية ٣٣

الرازى فى تفسيره وقال : ان الذى يدل عليه ظاهر القرآن هو أن تكون الافلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة فى الماء .

(ومنها) مشابهة الأجرام السائرة فى أفلاكها للحيتان ، حيث عبر عن سيرها وسياحتها بالسباحة ، وسوف نشرح ذلك فى الدليل الثانى .

(ومنها) وحدة الفلك لكل مسيار كما هو الرأى المختار فى هذه العصور فان تنكير الفلك مشعر بها ، فكأنه تعالى قال : وكل فى فلك واحد يسبحون لا فى أفلاك متعددة ، كما تقدم عن المتقدمين الزاعمين امتلاء الافلاك العظام من الافلاك الصغار .

(ومنها) تحرك الارض . فانه تعالى ذكر قبل هذه الآية أرضنا وما عليها من النبات وغيره ثم قال : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ فأتى بلفظة كل نكرة ولم يذكر المتعلق بها . ومن المعلوم ان اسقاط المتعلق يفيد العموم ، فالتقدير اما ان يكون وكل شىء من الاشياء المذكورة فى فلك يسبحون ، وإما ان يكون وكل شىء مطلقاً ، وعلى الاول يعطى تحرك الارض بما عليها وفيها من الجامد والنامى والماشى فى فلكها ، وعلى الثانى يعطيه أيضا بنحو العموم ويوافق مذهب (هرشل) وأشياعه ان الاجسام الكائنة فى الفضاء ليس شىء منها ثابتاً تحقيقاً ، بل لكل منها حركة دورية وفلك مخصوص حتى الشمس والبروج والاراضى والذرارى والدرارى ، فكل فى فلك يسبحون و بمجد الحق جل وعلا يسبحون .

الدليل الثانى

قال تعالى : ﴿ والسابحات سبحاً ﴾ (١) فان الظاهر كون السابحات كناية

(١) سورة النازعات آية ٣ .

عن النجوم وفاقا لتفسير جماعة من المفسرين كقتادة وغيره ،واستعمال السبح فى السير السريع فى غير الماء شائع كقوله : « سبوح لها منها عليها شواهد» .

واعلم ان ما تتلوه فى الكتاب والسنة - أعنى الظواهر التى أسند فيها الحركة الى نفس الكواكب - جميعه مضاد للنظام التليد وموافق للرأى الجديد والوجه ظاهر .

بقيت نكتة هنا لابد من الاشارة اليها ، وهى سر التعبير عن سير النجوم بالسباحة غالبا كما مضى فى الآيتين وسيأتى ، وذلك ان أجرام السيارات يستعقب كل منها ظلا مخروطيا مستطيلا يحدث من خفاء الشمس خلف النصف النوعى من كل سيارة دائما ، فتصير بذلك السيارة حالة سيرها السريع فى واسع الفضاء ساحبة ظلها المخروطى أشبه الاشياء بالسمكة السابحة فى البحر . (انظر الشكل الرابع) .

ولمراعاة هذه النكتة اللطيفة ربما عبر امناء الشرع عن مجرى السيارات بالبحار وعنها أنفسها بالحيتان وعن سيرها بالسباحة .

وربما كانت الاخبار الناطقة بخلق أرضنا على الحوت ناظرة الى ذلك بحذف المضاف ، أى على شكل الحوت . فراجع مسألة هيئة الارض والمقالة التاسعة من مسألة تعدد الارض وشكل (٤) أيضاً .

الدليل الثالث

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ (١) فعبر عن الافلاك السبعة للسيارات بالطرائق السبع - وهى جمع الطريقة - ليرشدنا حسب الظاهر

(١) سورة المؤمنون آية ١٧ .

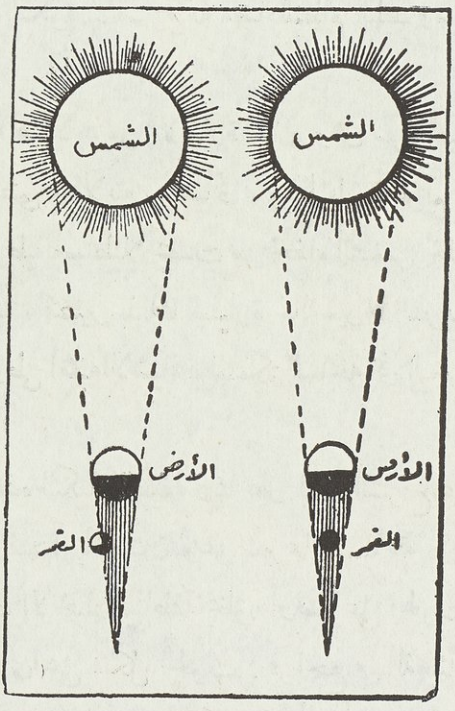

(ش-٤) ظل الارض المخروطى فى الخسوف وهو شبيه بالسمك السابح

الى ان أفلاك الاجرام العالية ليست إلا طرقا ومدارات لها ، ويجرى ويسلك كل جرم فى فلكه وطريقته جريان الطير فى الهواء والحوت فى الماء كما يرى المتأخرون ، وليست الافلاك أجساماً عظيمة تستقر الكواكب مركوزة فيها كما يراه المتقدمون .

الدليل الرابع

قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (١) احتمل فى تفسير هذه الآية حذف المضاف ، أى ان القمر قدرنا سيره منزلا منزلا حتى عاد هلالا كالعرجون ، فشبه الله سبحانه جرم القمر بالمسافر الذى يطوى المراحل ويقطع المنازل فى سيره بنفسه كما يراه المتأخرون .

وأما القدماء فتطبيق الآية على رأيهم محتاج الى تجوز والجرى على خلاف الظاهر وتقدير ان القمر قدرنا سير فلكه فى مواجهة المنازل ، وهو مع ذلك غير حرى للقبول ، فان الفلك لا يقدر سيره فى منازل حيث ان السير الوضعى من الجسم الكروى يناسبه النزول ، فان النزول مختص بالسير الانتقالى ، والقمر منتقل بنفسه فى مواضع عند المتأخرين ، فيساق عليه ظاهر الآية على أبلغ مساق .

الدليل الخامس

قال على عليه السلام فى خطبته المروية فى كتاب نهج البلاغة عند توصيفه نظم السماوات : « ثم علق فى جوها فلكا » ، ومعلوم ان تعليق فلك الكواكب فى جو السماوات وجوف الفضاء يناسب قول من قال : ان الفلك مدار الكواكب المنحاز فى حيز الفضاء كالحلقة المعلقة ، ولا يناسب قول من يجعل الافلاك عين السماوات ويعتقد ان الأفلاك مستوعبة للعالم كله .

---

(١) سورة يس آية ٣٩ .

الدليل السادس

روى فى تفسير القمى وكتاب البحار بسند صحيح عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه وصف خلق السماوات والنجوم وقال فيما قال: «وأجراها فى الفلك» ومعلوم ان اجراء الأجرام وتسييرها فى الفلك انما يناسب الرأى الحديد فى باب الأفلاك، إذ الجريان يحمل على نفس الأجرام بناءاً عليه كما فى الخبر، ولا يناسب رأى القدماء إذ الجريان عندهم لا يكون لنفس الجرم لثباته ولا لفلكه لأن سيره محورى غير انتقالى فلا يتحقق الجريان.

الدليل السابع

روى فى الاحتجاج والبحار ج ١٤ مسنداً الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال فيما قال للزنديق: «ومن تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك» ودلالة لفظه واضحة على ما قصدته من تقوية رأى الأواخر وتوهين آراء الأقدمين، ويزداد الوضوح بمراجعة ما ذكرته فى الدليل الاول والثانى.

الدليل الثامن

روى فى البحار ورسالة الاستخارات للسيد ابن طاوس فى حديث: «وانك قادر على نقلها فى مداراتها فى مسيرها ...» فنسبة النقل والمدار والمسير الى النجوم تنادى بموافقة هؤلاء ومخالفة الأقدمين.

الدليل التاسع

روى فى الكافى والوافى والبحار والأنوار النعمانية وتفسير القمى ومن

لا يحضره الفقيه وغيرها بالاسانيد القوية عن الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال فى خبر الكسوف والخسوف : « أمر الله الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك الذى عليه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب.» والظاهر منه ان الفلك - أعنى الجوهر القدسى - يبدل الدائرة التى عليها مجرى كل من الأجرام السماوية من موضع الى موضع ، وإفراد الفلك يناسب قصد الجنس الكلى من الفلك كما يناسب قصد الفرد الواحد منه .

ولا غرو فى تصور مدار واحد لجميع هذه الاجرام - فانك لو أخرجت دائرة فرضية من منطقة البروج الارضية كانت هى المدار حسب التقريب لكل سيار باختلاف الاطوار والأدوار ، فالارض مثلا تجرى على هذه الدائرة فى السنة مرة مع تمايل ٢٣ درجة تقريباً ، والقمر يجرى عليها ويسير بتمايل يسير وينخسف بهذا التمايل - المعبر عنه فى الخبر بتبديل الملك - والنجوم السيارة أيضاً تجرى عليها بتمايل مختلف لا يزيد فى المجموع على ١٨ درجه .

والخلاصة ان الخبر المذكور ينساق بظاهره نحو الرأى المختار فى هذه العصور حيث اسند الجريان فيه الى نفس النجوم أولا وجعل مجارى النجوم على الفلك كجرى الدابة على جادة ولم يجعل النجوم ثابتة فى ثخن الفلك كالمتقدمين وجوز إزالة الفلك وانتقاله من موضعه وحيزه ثانياً ، مع امتناعه عند الاقدمين .

وألمع هذا الخبر أيضاً الى حصول الكسوف والخسوف لبقية الكواكب والنجوم كما اكتشفه المتأخرون ، وأما القدماء فالمشهور عنهم اثبات الكسوف والخسوف للنيرين فقط - أعنى الشمس والقمر .

الدليل العاشر

قال الطريحى فى كتابه مجمع البحرين : وفى الحديث « ان الفلك دوران

السماء »(١) وظاهره يرشد الى كون ماهية الفلك عند الشرع انما هى نفس دوران السماء المحيطة بالارض مع الارض فى واسع الفضاء ، فالخبر مع مناسبته للنظام الكوبرنيكى يقوى كون السماء كرة (تمسفر) المحيطة بأرضنا السائرة نحو الدوران فى جوف الجو وهى حاضنة لها . وسيأتى شرح هذا القول واثباته فى المسألة السادسة .

الدليل الحادى عشر

روى فى كتاب الشيخ الزاهد أبى الليث السمرقندى عن ابن عباس انه قال : « ان النجوم معلقة فى السماء » ويؤيده مافى خبر عبدالله بن سلام عن النبى (ص) من كون الكواكب والنجوم معلقة فى الهواء ، كما انه يؤيده مافى خبر المفضل بن عمر المشهور عن الامام الصادق عليه السلام انه قال فيه : « ما أجده يستقيم ان أقول ان أحداً يعلم علم هذه النجوم المعلقة فى السماء ... ولا يقع علم الحواس فى علم النجوم وهى معلقة تغيب مرة وتطلع أخرى تجرى تحت الارض كما تجرى فى السماء ... أتعلمه من أهل السماء إذ كانت النجوم معلقة فيها » .

وجميع ماورد بهذا المعنى يناسب الهيئة الحاضرة القاضية بأن الانجم والاجرام السماوية بأسرها معلقة فى فراغ الفضاء بناموس الجاذبية وقدرة الحق تعالى ، وتدور على مدار مخصوص وليست مركوزة فى جسم فلكى كما عن القدماء .

الدليل الثانى عشر

روى فى البحار عن تفسير الفرات عن على أمير المؤمنين عليه السلام فى الشمس والقمر : « ان الله جعلهما يجريان فى الفلك والفلك بحر بين السماء والارض مستطيل

(١) الظاهر انه مصحف قوله : « الفلك دون السماء » .

فى السماء ... » وهذا الحديث مصرح بسير الأجرام وجريانها فى نفس الفلك وفاقاً للرأى الحاضر وخلافا للنظام الغابر ، ثم يشرح لنا المعنى من اسم الفلك بأنه يجرى بين السماء والأرض يعنى جهة العلو من الفضاء . وقوله ﷺ : « مستطيل فى السماء » ظاهر مختار كبلر والمتأخرين ، إذ ليس الفلك عندهم غير الخط المستطيل فى الفضاء العالى المنحنى بشكل دائرة بيضوية أو اهليلجية تجرى النجوم فيه ، فهذا التوصيف الوارد فى هذا الخبر الشريف انما ينطبق على مذهب الأواخر فى صورة الافلاك وهيئتها الاهليلجية والمستطيلة لا على مذهب القدماء القائلين بكروية الافلاك .

وتشبيه الامام (ع) هذا المدار المستطيل بالبحر قد يكون لأوجه سأظهرها فى المقالة التاسعة من مسألة تعدد الارضين .

* * *

فان قلت : اثبت هذا الخبر فلكا لجرى الشمس والقمر ، مع ان الشمس فى الهيئة العصرية مركز الحركات ؟

قلت : سيأتى فى مسألة تحرك الشمس انها تتحرك عند المتأخرين بحركتين محورية فى مستقرها ، وانتقالية فى بيداء الفضاء حاملة معها اتباعها وسياراتها حتى قمر أرضنا فانه يتبع الشمس ويجرى معها فى ذلك الفلك بحركة واحدة ، فيناسبه كثيراً قوله ﷺ : « وجعل الشمس والقمر معاً يجريان فى الفلك » .

ويجوز ان يكون قوله ﷺ : « والفلك بين السماء والارض بحر مستطيل فى السماء » اشارة الى مذهب الاستاذ (كمبل) الامريكى فى سير الشمس ، فانه يعتقد ان الشمس تسير دائماً من الجنوب الى الشمال بخط مستطيل ونظامها يتبعها . وسيأتى شرح هذا المذهب فى مسألة تحرك الشمس .

الدليل الثالث عشر

فى البحار ج ١٤ وخصال الصدوق وغيرهما مسنداً عن الامام الباقر عليه السلام انه قال : « ان الله سبحانه لما خلق السحاب فخرت وذخرت وقالت: أى شىء يغلبنى ؟ فخلق الله الفلك فأدارها بها وذللها ... » وهذا الحديث يحتاج الى شرح وبسط حتى يظهر مزاياه ولكنها نقتصر على موضع الحاجة ونقول: أطلق عليه السلام لفظ الفلك على مجرى السحاب ومداره فى الفضاء حيث لا يرتاب أحد ان الغيوم تتحرك فى الجو على مدار وهمى فرضى وليس لها فلك بنظر الأقدمين، بل لها فلك على رأى المتأخرين ، فتسمية الامام عليه السلام مدار السحاب فلكا يقوى كثيراً استعمال لفظ الفلك فى مدارات سائر الأجرام السائرة بعرف من الشريعة .

ولا يخفى ان الاشتراك المعنوى عند الجميع مقدم على المجاز وعلى الاشتراك اللفظى ، فيظهر تأييد هذا الخبر لمطلبنا . ولما استقر عليه رأى الحكيم (هرشل) وشيعته ان الاجسام الكونية بأسرها متحركة فى الفضاء على أفلاك ومجارى مختلفه

الدليل الرابع عشر

قول أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبته المروية فى نهج البلاغة والبحار وغيرهما: « والجو المكفوف الذى جعلته مغيظاً لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيارة ... » فصرح بجريان الشمس والقمر فى الجو - يعنى الفضاء - وصرح أيضاً باختلاف النجوم السيارة وترددها فى الجو لا فى جوف جسم فلكى، فينطبق هذا على الهيئة الحاضرة دون الغابرة . والمغيظ موضع يمص الماء ويبلعه. فكأنه عليه السلام استعار لفظ الليل والنهار لمعنى النور والظلام، وشبه انعدام ضوء النهار فى الجو ليلا ، وكذا انمحاء ظلام الليل فيه نهاراً بمص الجو

وابتلاعه للظلام والضياء .

ويظهر من هذا التعبير ما استكشفه المتأخرون بآلة (سبكترسكوب) وغيرها ان الهواء أو الجو يشرب ويمص من النور مايقتضيه طبعه ويمج الباقى الينا ، وقد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم ، لكن باب مدينة العلم - أعنى علياً عليه السلام - قد علمه النبى صلى الله عليه وآله حسب الآثار الصحيحة ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب ، وربما كان هذا وأشباهه من فروع تلك الابواب التى يستكشف الحكيم منها ألف باب .

وأيم الله سبحانه ان المتأمل فى كلمات على وأبنائه (ع) بعد اطلاعه على فنون الفلسفة تنفجر عليه ينابيع الحكمة ، ويصدق عندئذ من قال : ان كلام على عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام الخلق . فهل كانت لعلى عليه السلام عين سبكترسكوبية تجهر له كل خفى ؟ نعم كانت له عين أجلى من السبكترسكوب وأنور من كل آلة ، وهى عين العلم الآلهى المستمدة من أنوار النبوة المحمدية صلى الله عليه وآله فتطلعه بالوحى والالهام على خفايا النفوس والأجرام وتجلى عن بصيرته كل غشاء وظلام .

والجو المكفوف يعنى به الممنوع من الهطلان مع سيلان مادته الأثيرية ونشرح - ان وفقنا الله سبحانه - بعض ما اعصوصب فهمه من مصطلحات الاحاديث كالجو المكفوف والبحر المسجور والبيت المعمور وغيرها فى مستقبل عمرنا ، ولا قوة إلا بالله عليه توكلنا واليه المصير .

« المسألة الثانية »

(فى هيئة الارض وما تقوم عليه)

قد كان يقرع سمعنا من تقديم العصر ان الشريعة الاسلامية اكمل الشرائع الفاضلة وأبعدها عن العقائد الباطلة ، ولأجل ذلك صارت العقول تتلقى أحكامها بأحسن قبول ، فما الذى نسمعه الآن من نسبة تسطيح الارض الى هذا الدين ، وقد ملأ الارجاء نداء الحكماء بكروية الارض ؟ فأزيحوا عن أفهامنا الشكوك .

(الجواب)

لاشك ان الناظر الى الأرض من دون تدقيق ولا تحقيق يعتقد استواءها وامتدادها الى كل طرف ، ومعرفه شكلها الحقيقى مشكلة على ذوى العقول البسيطة والأسباب المبنية لذلك لم تكن فى سالف الزمان ، ومن ذلك اختلف مذاهب الحكماء فى هيئة الارض ، والواصل الينا من الآراء ثلاثة عشر رأياً :

(١) - عن انكسيمايس انها مسطحة ومحمولة فى الهواء كالورقة من رصاص فتعوم على الماء ما دامت مسطحة وترسب فيه متى جمعت .

(٢) - عن رؤساء دين المسيح عليه السلام وباباواتهم انها ممتدة الى السفل مستقرة على أعمدة واسطوانات ، بل نقل عنهم ما هو أشنع من هذا .

(٣) - عن بعض القدماء انها مخروطية الشكل كالجبل رأسه الى فوق وقاعدته الى السفل ولا نهاية لأسفلها .

(٤) - عن انكسيمندر أنها كالاسطوانة المستديرة .

(٥) - انها مكعبة - أى مسدسة السطوح .

(٦) - انها كالدف .

(٧) - انها كالطبل .

(٨) - انها كطبل منصف .

(٩) - عن هركلى تس انها كسفينة مجوفة .

(١٠) - انها على شكل ترس .

(١١) - عن قدماء اليوناء انها كدائرة مسطحة مركزها بلاد اليونان ومحيطها سواحل المحيط .

(١٢) - عن جمهور الفرس واليونان والعرب انها كرة تامة محيطها الاستوائى مساو لمحيطها القطبى ، ولاتخرجها الجبال عن الكروية الحسية . إذ نسبة أعظم جبل عليها كشعرة على سطح كرة قطرها ذراع . وهـذا الرأى لم يكن بين الافرنج الى القرن التاسع الهجرى عصر اكتشاف أمريكا (١) .

(١٣) - مختار نيوتون المتوفى سنة ١٧٢٧ م والمتأخرين عنه، وهو انها شبه الكرة وليست كرة تامة لوجود تسطيح فى جانبى قطبيها ، أى يقصر محيطها القطبى عن محيطها الاستوائى نحو ثلاثة عشر فرسخاً ، ويقصر أحد القطرين الاستوائيين عن الآخر بميلين .

وهذا الرأى قد فاز اليوم بالشهرة وتصديق الحكماء وقيـام البراهين والشواهد عليه .

وأما الشريعة الاسلامية ففيها اشارات ودلائل على كروية الارض بل وعلى تسطيح قطبيها وفاقاً للرأى الأخير . أما الاشارات فانها تعرف من

(١) كان هذا رأى علماء الاسلام فى صدر الاسلام (ف) .

تشبيهات الأئمة عليهم السلام لجرم الارض بالاجسام المستديرة استدارة غير تامة غالباً كالربوة والدرة والمهات والجبل من زبد وفلقة الجوز والقبة ونحوها.

وأما الدلالات (فاحداها) قوله تعالى: ﴿برب المشارق والمغارب﴾ (١) فان كروية الارض تستلزم ان تكون كل نقطة فرضت عليها مشرقا لقوم ومغربا لقوم - كما سيأتي - فيصح تكثر المشارق والمغارب بناء على الكروية من غير ان نتكلف فى تفسير الآية.

(الثانية) - ما وجدته فى كتاب التهذيب والوافى والوسائل مسنداً عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال لبعض أصحابه: «مسوا بالمغرب قليلا فان الشمس تغيب من عندكم قبل أن تغيب من عندنا»، وقال عليه السلام فى خبر آخر: «فانما عليك مشرقك ومغربك».

أقول: وفى هذين الخبرين دلالة على ان المشرق والمغرب يختلفان باختلاف بقاع الارض وان الشمس تغيب عن قوم قبل مغيبها عن آخرين، وهذا المعنى من لوازم كروية الارض واستدارتها من طرف الخط الاستوائى بل كل نقطة تفرضها على سطحها وهى مشرق لمن فى مغربها ومغرب لمن فى مشرقها.

(الثالثة) - ما وجدته فى البحار والوسائل والمجالس للصدوق مسنداً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال: صحبنى رجل يمسى بالمغرب ويغلس بالفجر فكنت أنا اصلى المغرب اذا وجبت الشمس واصلى الفجر اذا استبان لى، فقال لى الرجل: ما يمنعك ان تصنع مثلما اصنع فان الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنا وهى طالعة على آخرين بعدنا؟ قال عليه السلام: فقلت: انما علينا ان نصلى اذا وجبت الشمس عنا واذا طلع الفجر عندنا، ليس علينا إلا ذلك

(١) سورة المعارج آية ٤٠.

وعلى أولئك أن يصلوا إذا غربت عنهم » .

ويظهر من استدلال الرجل على مطلبه باختلاف المشرق والمغرب الناشىء عن استدارة الارض ومن تقرير الامام عليه السلام لكلامه والموافقة معه فيه انه كان أمراً واضحاً مسلماً بين المسلمين ، ويظهر ذلك أيضاً من فتاواهم فى أبواب الصلاة والمواريث وغيرهما .

(الرابعة) ـ ما وجدته فى باب الحج من الكافى وفى الوافى والبحار بسند قوى عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان الله عز وجل دحى الارض من تحت الكعبة الى منى ثم دحاها من منى الى عرفات ثم دحاها من عرفات الى منى ... » .

تفطن الى دلالته على استدارة الارض العلامة المجلسى (ره) بناء على تفسير الدحو بالبسط ، أى بسط الله تعالى الأرض من موضع الكعبة الى موضع منى ثم بسطها من منى الى موضع عرفات ، فانها وراء منى بالنسبة الى الكعبة المعظمة ، ثم بسطها ومدها وطواها من تحت مركز الارض الى ان اوصلها الى الجهة التى ابتدأ منها وهى جهة منى ـ أعنى موضع الكعبة

ولو فسرنا (الدحو) بمعنى الدفع والتحريك ـ كما سيأتى ـ كانت دلالته على استدارة الارض بالزام من العقل ، كما ان الادلة الناطقة بتحرك الارض يستخرج منها الكروية أيضاً من جهة التلازم بينها وبين الحركة الوضعية .

(الخامسة) ـ ما وجدته فى الكافى والبحار والانوار النعمانية ومجمع البحرين للشيخ الطريحى فخر الدين وغيرها عن الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام انه ذكر مبدأ الخلقة فى خبر له فقال : « فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ثم طواها فوضعها فوق الماء » .

ولا يخفى أن تطوية الارض كتطوية السماء ظاهرة فى ادارتها ، كما

يطوى العود والكتاب . وفيها أيضاً اشارة الى تسطيحها من طرف القطبين - كما هو الحالة فى السجل المطوى - فيكون هذا التعبير أقرب التماثيل والصور الرمز والايماء الى هذا السر الدقيق ، ولو تصفحت اخبار الشريعة الطاهرة لما ظفرت على خبر ظاهر فى أن الأرض كرة تامة . نعم انما تنطق باستدارتها من الطرف الاستوائى فقط ، أو يومى الى تسطيح القطبين بحسب مقتضى المقام .

(السادسة) - ما وجدته فى البحار وبصائر الدرجات واختصاص المفيد مسنداً عن الامام السادس جعفر الصادق عليه السلام انه قال : « ان منا أهل البيت من الدنيا عنده بمثل هذه » وعقد بيده عشرة (١) .

قال العلامة المجلسى : عقد العشرة بحساب العقود هو أن تضع رأس ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام ليصير الاصبعان كالحلقة المدورة .

أقول : كان المتقدمون يفهمون من ظاهر هذا التمثيل احاطة الامام وتسلط ولى الله على ما فى الكون ، وظنى انه عليه السلام قصد بذلك تمثيل شكل الدنيا - أى الأرض - بشكل كرة غير تامة مثل شكل الكف المقبوضة ، فقال عليه السلام : « إن منا أهل البيت » ويعنى بذلك نفسه أو الوصى بعده والامام لمن تبعه « من الدنيا عنده » أى شكل الارض « بمثل هذه » يعنى الارض عنده كرة غير تامة مسطحة عند القطبين ومستديرة عند المشرق والمغرب مع وجود الوهاد والجبال . فما أشبه هذه الصورة بالكف المقبوضة ، ولا سيما تسطيح جانبيها .

وقد صدق الامام عليه السلام فى تخصيصه هذا العلم بوصى النبى (ص) ، إذ لم يكن فى زمانه من يعتقد هذا الشكل لجرم الارض لا من عوام الناس ولا من خواصهم وإنما اكتشفه المتأخرون بعد الألف من الهجرة .

---

(١) وفى حديثه الآخر : ان الدنيا تمثل للامام كفلقة الجوزة ، وبسنده الآخر : ان الدنيا ممثلة للامام كفلقة الجوزة .

وبالجملة فظواهر الشرع الاسلامى قوية من جهة الصدور والظهور فى الرأى الحادث لشكل الأرض ، وليس فيه ظواهر تنافى ذلك تنافياً ظاهراً ، فان قوله تعالى : ﴿ والى الأرض كيف سطحت ﴾ (١) عام الدلالة على السطح المحدب والمقعر والمستوى ولا يثبت به السطح المستوى فقط لجرم الارض حتى ينافى السطح الكروى ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ جعل لكم الارض بساطا ﴾ (٢) أو قوله : ﴿ فراشاً ﴾ (٣) فان البسط كثيراً ما يؤتى به لبيان قابلية الارض لتوطن الحيوان عليها والسكنى والحرث وسهولة السلوك فى مناكبها، كما انه تعالى علل بسطها بقوله بعد ذلك ﴿ لتسلكوا منها سبلا ﴾ والامر متضح لمن أنصف وتدبر .

تتمة مهمة

(فيما تقوم الارض عليه)

قد تكرر فى آثار شريعتنا من خطبها وأخبارها وأدعيتها - كما لا يخفى - ان الارض قائمة بنفسها فى الفضاء غير معتمدة ولا محمولة على جرم غير جرمها وفاقا للمحققين من الحكماء . قال الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ﴾ (٤) قال ابن شهر اشوب هبة الله بن سلامة فى الناسخ والمنسوخ : ﴿ بأمره ﴾ يعنى بلا دعامة تدعمها ولا علاقة تتعلق بها . وقال غيره : يعنى ان اقامتهما بلا مقوم محسوس هى من قدرته ، ولو كان غير ذلك لم يتحقق كونه آية ربانية .

وقال تعالى : ﴿ ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ﴾ (٥) أى بناموس الجاذبية العامة .

---

(١) سورة الغاشية آية ٢٠ .
(٢) سورة نوح آية ١٩ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٢ .
(٤) سورة الروم آية ٢٥ .
(٥) سورة فاطر آية ٤١ .

وقال علي عليه السلام في خطبة مروية عنه في نهج البلاغة والاحتجاج والبحار وغيرها عند توصيفه خلق الارض : « وأرساها على غير قرار وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم » وقال عليه السلام في خطبة أخرى مروية في البحار وغيره « خلق السماوات والارض بلا عمد قائمات بلا سند » .

وقال النبي (ص) في دعاء رواه السيد ابن طاوس في مهج الدعوات والعلامة المجلسي في البحار : « نور السماوات والارضين وفاطرهما ومبتدعهما بغير عمد خلقهما فاستقرت الارضون بأوتادها فوق الماء » (١) .

وقال (ص) في دعاء وداع شهر رمضان المبارك كما في البحار وغيره : « وبسط الارض على الماء بلا أركان »

وفي دعاء يوم الاحد كما في مصباح المتهجد والبحار وغيرهما « فاستقرت الارضون على الرواسي الشامخات » .

ويعضد كل هذا ما سأتلوه عليك من الأدلة الشرعية على تحرك الارض يومية أو سنوية ، بل ويعضده أيضاً ماتلوته من الأخبار الدالة على استدارة الارض وان الشمس تطلع على قوم قبل قوم وتغرب عن قوم بعد قوم من الامم القاطنة على صفاحها ، فان ذلك كله مناف لاستقرار الارض على جرم .

نعم ، انما يستشكل المعترض فيما ورد في الشريعة من أن الأرض خلقت على الحوت أو على قرن الثور ونحو ذلك . وفي خبر مأثور في الدر المنثور انها بين قرني الثور ، مع الجزم بأن الارض كرة معلقة في جوف الفضاء يحيط بها من أطرافها كرة الهواء . ولذا لم يؤمن بهذه الاخبار كثير من الفضلاء وأولها جماعة الى المعاني الباطنية .

---

(١) في هذا الحديث اشارة الى ان أوتاد الارض - أي الجبال - هي الموجبة لاستقرارها عالية على الماء ، ولولا أصول الجبال والمواد الحجرية لذابت الارض كالرمل ولعبت المياه والامواج فيها واستولى البحر على البر .

وقد منّ الله تعالى على بفتح مقفلها وحل مشكلها بتقدير المضاف ، وهو أمر شائع عند البلغاء ، والمعنى أن الأرض خلقت على شكل قرن الثور - بناءاً على القول المختار فى هذه العصور - فيكون التناسب بين هيئة الأرض وهيئة قرنى الثور من جهات :

(الأولى) - أن وضع القرون فى الثيران على الاستدارة من طرفى اليمين والشمال ، وكذلك الأرض مستديرة من طرفيها المشرق والمغرب ، فيناسب ذلك ما فى بعض الاخبار من أن قرناً من قرنى ذلك الثور فى المشرق والقرن الآخر فى المغرب . ومن الغريب ان استدارة القرن بهذه الكيفية مخصوص بنوع الثيران ليس لباقى الانعام وذوات القرون مثله على ما استقريناه

(الثانية) - إن شكل القرنين فى الثور مسطح من طرفيه الأعلى والأسفل ومحدب مستدير من جانبيه اليمين واليسار ، وقد عرفت استكشاف (نيوتون) واصرار من تأخر عنه على أن الأرض مستديرة الجانبين مسطحة القطبين ، وذكرنا أن هذا المعنى المستخرج بالآلات الدقيقة والأفكار الحادة مستفاد من أخبار وافرة عن النبى وعترته الطاهرة (ع) .

(الثالثة) - ان جرم الأرض على الدوام واقع فى طرف مدار بيضوى وكذلك قرنا الثور واقعان فى موضع من رأسه ، لو فرض خط وهمى من موضعهما الى ذقنه بحيث يحيط بتمام رأسه ذلك الخط ظهر شكل المدار البيضوى ولو اعتبرت المدار بدون الثور أيضاً كان قرناه واقعين فى موضع من البدن لو فرض خط وهمى من موضعهما الى موضع الذنب بحيث يحيط بجثته ذلك الخط ظهر أيضاً شكل المدار البيضوى .

فالحدس يطمئن بأن الحجج - عليهم السلام - لم يجدوا مساغا لتوضيح هذه العلوم والأسرار لجهال عصرهم فأدرجوها فى طى كلماتهم ورمزوها فى

ضمن اشاراتهم لأجل ذلك ، وضربوا للاشارة الى مطلوبهم تمثالا جامعاً لأكثر الجهات بأخصر العبارات ، حتى إذا تلى بعدهم على أهل العلم والتحقيق استخرجوا من طيه السر الدقيق .

وهكذا العلاج فى خلق الأرض على الحوت - أى على شكل الحوت كما سأشرحه فى المقالة التاسعة من مسألة تعدد الأرضين عند شرح البحار السماوية ، وسيتضح هنالك شرعا أن الأرضين السبع كل منهـا مخلوق على صورة الحوت والسمكة وفاقا للهيئة الحاضرة .

وكأن السائلين من الحجج (ع) عما تقوم عليه أرضنا كانوا على أصناف :

(فمنهم) من قرأ الصحف الآلهية وحفظ العهود القديمة المذكور فيها خلق الارض على الحوت أو قرن الثور أو الصخرة ونحوها ، فكان يقصد من سؤاله امتحان علم النبي الأمى وخلفائه المعصومين ، وعندئذ كان الواجب عليهم أن يجيبوه كما حفظه وفهمه من الصحف لئلا يسىء الظن بعلمهم (ع) .

(ومنهم) من استغرق فى جهله بحيث لو أجابوه بأن الأرض مـع عظمتها متوسطة فى الفضاء بين الهواء لكذبهم البتة ونسبهم الى ما لا يليق بحضرتهم ، فكان الحجج (ع) من حسن تدبيرهم يظهرون الحق على صورة يقنع العامى بها أيضاً ، فيقولون : هى على قرن الثور أي على شكل قرن الثور ، فاذا سألهم عن الثور قالوا : هو على حوت أى على شكل حوت ، وإذا سألهم عن الحوت قالوا : على المـاء ، فاذا سألهم عن الماء قالوا : على الظلمة أى ظل الارض أو على قدرة الله تعالى . وربما قالوا عنـد ذلك : هيهات هيهات ههنا ضل علم العلماء ، وجميع هذه الاجوبة حق وصدق حاو على أسرار جليلة .

« المسألة الثالثة »

(فى تحرك كرة الأرض)

قد شاع فى هذه العصور أن أرضنا متحركة بجميع ما فيها وما عليها ، وان الأجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم لا تدور حقيقة حول الأرض يومياً ، بل الأرض تدور على نفسها مرة فى كل ٢٤ ساعة ، وبسبب ذلك تطلع عليها الأجرام ثم تغيب . وهذا الرأى العجيب ان صح فلماذا سكت عنه شرع الاسلام عندما كشف لنا خفايا الأجرام ؟

(الجواب)

لاريب ان الناظرين إلى أرضنا نظرة بدوية يعتقدون انها ساكنة فى موضعها وأجرام السماء هى الطائفة حولها فى كل يوم وعام ، وقد استحكمت هذه العقيدة من قرون بعيدة فى عقول البشر حتى عدت من أبده الواضحات ، ولذلك كان اختيار دوران الأرض من الوهن والغرابة بمثابة صعب حتى على الحكماء تجويزه . وأول من كشف الستر عن هذا السر (فيثاغورس) النابغ قبل الميلاد بقرون بخمسة وتبعه (فلو طرخوس) و (ارخميدس) ثم قوى رأيه (ارسترخوس) الساموسى بعده بقرنين ، وعلم دوران الأرض السنوى حول الشمس أيضاً فشكى عليه بالكفر ، ثم نبغ بعده بنصف قرن (كليانثوس) من اسوس واختار الحركتين للأرض فشكى عليه أيضاً بالكفر امام الحكام . ثم ظهر (بطلميوس) بعيده بقليل فأوضح

سكون الأرض الذى كان الناس يزعمونه فطرياً ويحسبونه بديهياً ورتب الأجرام السماوية والحركات الفلكية على مافصله فى المجسطى وأوجزناه فى المقدمه السادسة ، فنال نظامه الصوت والصيت فى العالم المتمدن حتى أصبح المتفلسفون من المسلمين وغيرهم ينقحون هيئته ويدافعون عنها ، وكان فى مهرتنا من يدفع الموانع عن تحرك الارض أيضاً كالعلامة الطوسى نصير الدين والفاضل العاملى بهاء الدين .

وكان الأفرنج يومئذ غارقين فى الضلالة عريقين فى الجهالة ينظرون الى المسلمين أشد من نظرنا اليوم اليهم كما قال الله تعالى : ﴿ تلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ وكان استبداد الباباويين قد منع الأفواه والأفهام منهم عن التحرك فى سبيل العلوم العقلية واظهار مالا تقبله الكنيسة ، وقد أحرقت ألوفاً من المستنيرين بعلوم الاسلام وفلسفة ابن رشد القرطبي .

وحسبك أن الحكيم (برونو) نطق بسير الأرض قبل الألف الهجرى فهجروه عن أوطانه ثم سجنوه ست سنين ثم أحرقوه وأحرقوا كتبه، واجترى الحكيم (غاليله) بعد الألف الهجرى فأثبت الحركتين للأرض فأهانوه واضطهدوه حتى قارب الهلكة ، ثم سجن طويلا مع جلالته وحقوقه العلمية (١) .

من جراء هذه الحوادث وأشباهها صار حكماء الأفرنج يكتمون كشفياتهم الأنيقة المخالفة للخرافات العتيقة خوفاً من الكنيسة الرومية . ولكن

(١) يقال انه اوقفوا غاليله مرة امام مجلس التحكيم وأجبروه ليرجع عن قوله والاقتل فقال : انى غاليله بعد عمر ٨٠ سنة أشهد بأن الشمس تدور حول الأرض ساكنة .. فلما خرج قال لأصحابه : ان الرأى الذى ينبت فى القلب فى هذا العمر لا يخرج منه بهذه الاضطهادات .

الثقافات الحديثة التى محت عنهم تلك التوحشات وحررت رقابهم وافهامهم وألسنتهم وأقلامهم أراحت عالماً من العلماء فى اظهار الآراء والعلميات المربية للبشر ونظامه ، فجالت بذلك الحكماء فى ميادين العلوم وجادت بما استفادت حتى أضحت الغرائب العلمية ينطق بها الشيخ والصبى ويتلقاها من كثرة التوضيحات كل ذكى وغبى .

وأول من نطق بتحرك الأرض من الافرنج هو (الكردينال ديكورا) ثم (الكردينال الينا كوس) ثم (جون مولار) لكنهم لم يتجاهروا بالقول ولا أتوا بأدلة مقنعة على هذا الأمر المستغرب فى ذلك الوقت ، حتى قام (كوبرنيك) فى حدود الألف الهجرى وأقام أدلة قوية وكتب الرسائل والكتب فى هذه المسألة ، فصار بذلك محييا ومؤسسا للهيئة الجديدة وسلك الحكماء مسلكه . فأصبح اليوم هذا النظام هو الشائع بين الأنام وأضحى تحرك الارض من جملة المسلمات الواضحة لو فور الشواهد العلمية عليه واشارة البراهين اليه ، مثل تجارب (فوكلت) بالرقاص القطبى ، وميل الأجسام الساقطة من مرتفع الى شرقى مسقطها الحقيقى ، وآلة (جيرسكوب) وانحراف النور ، ومبادرة الاعتدالين ، وتأخر القطار الغربى عن الشرقى نحو ميلين فى الساعة وغيرها .

وخلاصة القول : إن اختيار تحرك الأرض فى العصور الماضية إذ كان بمكان من الغرابة والوهن لم يكن للأنبياء ودعاة الآخرة اعلان دعوته ، حيث تصدهم مخالفة الجمهور عن انفاذ وظائفهم المقدسة - كما مر فى المقدمة الخامسة وغيرها - مع أن خطأ الناس فى مثل ذلك غير مفسد لأمر معاشهم أو معادهم ، فلو سكت شرع عن إثبات مثل ذلك أو نفيه أو سلك فيه مسلك العرف عاشاتاً ومداراتاً من باب السياسة لم يقع موقع لوم العقلاء

أو ذمهم .

وأما الاسلام فاذكان ظهوره فى ابناء جاهلية وهمجية لايؤمنون بما أوضحته الادلة فضلا عن الحقائق النظرية المخالفة لمعتقداتهم سلك طريقة العقلاء معهم فأوما الى هذه الدقائق فى بدو البعثة بطريق الايجاز والاجمال ، ثم على حسب تنورهم بالمعارف شرح لخاصتهم تلك الاقوال . واذكر الآن ما ظفرت عليه فى الكتاب والسنة من الظواهر المشعرة أو المصرحة بتحرك الارض .

أما القرآن العظيم ففيه آيات بينات تفيد ذلك :

(احداها) - قوله تعالى : ﴿ والارض بعد ذلك دحاها . أخرج منها مائها ومرعيها . والجبال أرساها ﴾ (١) . تفطن بدلالة هذه الآية والثانية والثالثة سيدنا العلامة السيد محمد حسين الشهرستانى المرعشى الكربلائى المتوفى سنة ١٣١٥ فى رسالة نشرها فى حركة الارض سنة ١٣١٣ ، ويلزمنا شرح ما أشار اليه فنقول : دحو الارض أمر متواتر فى مقالات شرعنا بألفاظه وبمعانيه - كما لا يخفى - وكان المسلمون جميعاً حتى اليوم يفهمون من لفظ الدحو معنى البسط ، ويفسرون به كل ما ورد فى الشرع ، لكننا بعد الرجوع الى كتب اللغة ومواضع استعمال العرب لهذا اللفظ وما اشتق منه نجد جلها أو كلها تشير الى معنى آخر للدحو - أعنى به الدفع والدحرجة - ونرى معنى البسط لم يذكره بعض اللغويين للفظ الدحو وذكره الآخرون من جملة المعانى المستعملة نادراً كما ستعرف ، فينقدح من ملاحظة ذلك فى الفهم مظنة ان المراد من الدحو الوارد فى الكتاب إنما هو معناه الشائع الظاهر لدى عرف العرب - أعنى به الدفع والدحرجة - لكن المفسرين ونحوهم أساؤا التفسير حيث استحال فى عقولهم تحرك الارض عن مقرها فوجهوا اللفظ

(١) سورة النازعات آية ٣٠-٣٢ .

الى معنى آخر يناسب مبلغ علمهم ، وهو معنى البسط .

ولعمرى ان الاستبداد العلمى من المفسرين ونحوهم غرس اصول الخلاف فى المسلمين وفعل ما فعل وسيفعل ، ولا يزيل الداء الاضد ما اوجده

* * *

ويجب الآن ذكر الشواهد على ان الدحو لغة معناه الدفع والدحرجة:

(فمنها) ما فى القاموس : « دحيت الابل أى سقتها ، والمدحاة خشبة يدحى بها الصبى فتمر على الأرض لا تأتى على شىء إلا اجتحفته » . يعنى لا تمر على شىء إلا جلبته معها ، والحركة فى هذه العربة الخشبية أيضاً مركبة من الوضعية والانتقالية كسير الأرض ، وعلى هذا يكون التعبير عن حركة الأرض بالدحو فى غاية المناسبة ، إذ الأرض عند المتأخرين فى حركتها الانتقالية لا تمر بكرة صغيرة فى الفضاء إلا جذبتها الى نفسها .

(ومنها) ما فى مفردات الراغب قال : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ أى أزالها عن مقرها ، وهو من قولهم : دحا المطر الحصا عن وجه الارض فيدحو ترابها ، ومنه ادحى النعام ، فدحو الحصا بالمطر وكذلك دحوا جزاء التراب بحافر الفرس إنما يكونان بالحركة المركبة من الوضعية والانتقالية على مثال حركة الأرض المركبة من سير وضعى حول نفسها وسير انتقالى حول شمسها .

(ومنها) ما اشتهر فى نعت على أمير المؤمنين (ع) انه داحى باب خيبر أى رامیها (١) ، ورمى الشىء بالحركة الانتقالية لا ينفك غالباً عن دوران

---

(١) ورد فى ذلك آثار لا تحصى واشعار لا تستقصى ، ولا يناسب دحو باب خيبر معنى البسط ، قال ابن أبى الحديد فى السبع العلويات :

ياداحى الباب التى عن هزها عجزت اكف أربعون وأربع -

على نفسه .

(ومنها) ما فى صحاح الجوهرى : « الأدحوة مبيض النعام فى الرمل لأنها تدحوه عند حفرها برجلها ثم تبيض فيه » ودحو النعامة للرمل أيضاً تحريك منها له بنحو الدحرجة كحركة الارض فى الفضاء وكذلك دحوها للبيض

(ومنها) ما فى كتاب أقرب الموارد : « دحى المطر الحصى على وجه الارض دفعها ، ويقال للاعب بالجوز : أبعد المدى وادحه ، أى ارمه . ومر الفرس يدحو دحواً رمى بيديه رمياً » فلغة الدحو تفيد معنى التحريك بنحو الدحرجة فى الجميع فى الحصى والجوز والتراب كتدحرج الأرض فى الفضاء .

(ومنها) ما فى البحار وغيره عن أمير المؤمنين (ع) انه قال فى خبر طويل : « فلما خلق الله الارض دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فأحاطت بكل شىء » فان الدحو لو كان بمعنى البسط لاستغنى عن قوله : « ثم بسطها » فعطف البسط على الدحو دليل المغايرة ، خصوصاً إذا كان العطف بحرف (ثم) الدال على الترتيب مع تراخى زمان الثانى عن الاول . ويشير هذا الخبر الى كروية الارض أيضاً لقوله (ع) : « فأحاطت بكل شىء » فان احاطة الجسم كناية عن استدارته ، والمراد من الشىء هو الشىء الارضى قطعاً وترتيب تكوين الارض المذكور فى هذا الخبر موافق لآراء المتأخرين ، أعنى خلق الارض أولا ثم تحريكها ودحراجها ثم كرويتها الناشئة عندهم من

- وفى ارشاد المفيد فى صفة صخرة قلعها على (ع) عن فهم القليب قال : فحركها على (ع) ثم قلعها بيده ودحى بها أذرعاً كثيرة . كما قال السيد اسماعيل ابن محمد الحميرى فى قصيدته البائية المذهبة :

فكأنها كرة بكف حزّور عيل الذراع دحى بها فى ملعب

دورانها على نفسها ، فافهم .

(ومنها) ما فى النهاية لابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦ قال : « وفى حديث ابن عمر : فدحى السيل فيه بالبطحاء ، أى رمى وألقى ، ومنه حديث أبى رافع : قد كنت ألاعب الحسن والحسين عليهما السلام - أى فى حالة الطفولة - بالمداحى ، وهى أحجار أمثال القرصة - أى مستديرة - كانوا يحفرون حفيرة ويدحون فيها تلك الاحجار ، فان وقع الحجر فيها فقد غلب صاحبها ، والدحو رمى اللاعب بالحجر والجوز وغيره . وسئل ابن المسيب عن الدحو بالحجارة فقال : لا بأس به ، أى المراماة بها » . فلفظة الدحو وفروعها مستعملة جميعاً فى تحريك يشبه الدحرجة كدحو السيل للرمل ودحو اللاعب للجوز والاحجار المدورة وكذلك الموارد السابقة ، وهو دليل على أن هذا المعنى حقيقى لهذا اللفظ لكونه المتبادر منه الى الأفهام والظاهر فيه والأكثر استعمالا بخلاف المعانى الاخرى ، فيكون تفسير اللفظ به أولى فيتم مطلوبنا من الآية المقدسة ، أعنى تدحرج درة الارض فى الفضاء بحركة مركبة من وضعية وانتقالية كالجوز الذى يرميه اللاعب وغيره مما ذكر .

ويعتضد فهم هذا المعنى انه تعالى عقب قوله : ﴿ دحاها ﴾ بقوله : ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ فان نبوع المياه ونبوغ الاشجار وتغيراتها متفرعة على حركة الارض يومياً وسنوياً الموجبة لانقلاب طبائع الكون واختلاف الفصول والاحوال ، فيناسب وضع اخراج الماء والمرعى بعد وضع تحرك الارض ليوافق الوضع الطبع .

(الآية الثانية) - قوله تعالى : ﴿ الذى جعل لكم الارض مهداً ﴾ (١) فان المهد فى العرف واللغة للمضجع المعمول للرضيع ونحوه من خشب أو غيره

(١) سورة طه آية ٥٣ وسورة الزخرف آية ١٠ .

حتى يهتز الطفل بنعومة فينام فيه مستريحاً ، فيجوز تشبيه القرآن أرضنا بمهد الطفل وأن الله تعالى جعل الارض مهداً لعباده ينمون فيها وينامون ، وكما ان المهد ناعم فى حركته مع سرعته لا ميلان فيه ولا اضطراب كذلك الارض تتحرك فى الفضاء بنعومة وسهولة لا تميل ولا تميد ، حتى تنافى استراحة أطفالها الرابين فيها بعناية الله تبارك وتعالى . وكما أن تحرك المهد مطلوب لتربية المولود وتنميته كذلك الارض تتحرك يومياً وسنوياً وميلياً لتربية ما عليها من المواليد وتنميتهم ، لا سيما وأن هذه الآية فى مقام الاستدلال على جواز البعث والمعاد فيكون رجوع الارض فى حركتها الدورية أو الخطرانية الميلية شاهد رجوع الانسان ومعاده بعد وجوده الاول وايابه بعد ذهابه . فشارع الاسلام قد نبه الانام بتحرك الارض على أحسن أوجه التشبيه قبل أن يتفطنوا به بعشرة قرون لكنهم من استبعادهم لذلك كانوا يفسرون المهد بالفراش .

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

(الآية الثالثة) قوله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ... ﴾ (١) فان الذلول لغة وعرفا يطلق على صنف من الابل يمتاز عن غيره بنعومة الحركة وسرعة السير وسهولة الركوب على مناكبه ، وحيثما كانت هذه الصفات كاملة فى الارض بناءاً على تحركها وأطلق الشارع اسم الذلول المعروف بهذه الصفات على الارض جاز لنا استظهار تحرك الارض من هذه الآية الشريفة لولا مانع قطعى خارجى .

ولا يذهب عنك أن الآية تعطى بظاهرها معنى آخر ، وهو جعل

(١) سورة الملك آية ١٥ .

الأرض ذلولا لاستفادة أبنائها ، أى ذليلة ومنقادة للزرع فيها والمشى عليها لكنهامع ذلك مناسبة مع الرأى الجديد أيضاً ودالة عليه بنحو التشبيه والتجوز القريب - على ما مضى من التقريب - بحيث لو فرضنا الشارع يدعى ارادة هذا المعنى الجديد من الآية لما جاز الانكار عليه بقصور الآية عن إظهار هذا المرام ، لمساعدة الآية مع المعنى الحادث .

(الآية الرابعة) - قوله تعالى : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شى ﴾ (١) لم أجد أحداً أسبق من الفاضل اعتضاد السلطنة على قلى ابن الخاقان فتحعلى شاه قاجار من حيث التفطن بدلالة هذه الآية المباركة على المطلوب ، وقد أشار الى ذلك قبل اليوم بأكثر من خمسين سنة ، ولا محيص من الشرح فنقول : إن الآيات السابقة على هذه الآية مسوقة لبيان أهوال القيامة وأحوالها ، وبمناسبة ذلك كان القدماء يقيسون هذه الآية أيضاً عليها ، ولكن تحرك الأرض إذا صح وتم جاز لنا استظهاره من هذه الآية وصرفها عن سياق ما سبق عليها (٢) .

ورجح فى النخبة الأزهرية هذا التفسير على تفسير المتقدمين بأن البلاغة تقتضى عند الاخبار عن الفناء والتدمير وأهوال المصير أن يقول : « قهر الله الذى يفنى كل شىء » ونحوه ، ولا يناسب قوله تعالى : ﴿ صنع

---

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) الخبير بأحوال القرآن الكريم يعترف بأنه قد نزل تدريجاً ثم جمع ودوّن ، فكانت تنزل آية فى أحوال القيامة ثم تنزل آية أخرى فى شأن شخص أو حكم ثم تنزل آية فى شأن القيامة أيضاً أو غيرها حسب مناسبة المقامات واقتضاء الحالات ، فلا يتم التمسك بدلالة السياق فى آيات القرآن .

الله الذى أتقن كل شىء) إلا عند التعمير وبدو التكوين وتحسين الخلقة(١) والجمل الواقعة فى الآية أيضاً تشعر بأن الحكم فعلى والصفة ثابتة وليس مما سيحدث فى المستقبل ، مثل (وهى تمر) و (اتقن كل شى) .

* * *

وقد استفدت من هذه الاية لطائف ، منها :

١ - جعل الجبال مرآتاً لتحرك الأرض دون نفس الأرض ، فان الأرض كرة متحركة على نفسها . وكل كرة متحركة على نفسها لاتظهر الحركة فيها إلا إذا كان عليها تضاريس أو تلونات ونقوش ، فتظهر الحركة حالة تذبواسطة ظهور حركات تلك التضاريس أو الالوان وانتقالها من مكان الى مكان ، فرعاية لهذه اللطيفة قد يكون الله تعالى جعل الجبال مرايا لتحرك الأرض ومظهراً له .

٢ - توصيف الجبال بالجمود دون السكون أو الركود ، إذ الجمود قد

---

(١) ولدى قرائن أخرى تدل على ذلك :

(منها) قوله تعالى : (تحسبها جامدة) فانها تعطى بظاهرها أن الانسان يوم القيامة يبصر الجبال جامدة والحالة انها فى الواقع تمر مر السحاب ولاريب أن ذلك لا يحدث فيه هولا حتى تكون من أهوال القيامة . نعم إنما تحدث هولا إذا كانت تمر مر السحاب فى نظره وحسبانه ، فلا يجوز أن تكون الاية لبيان أهوال القيامة وإنما يجب حملها على الحالة الحاضرة الدنيوية .

(ومنها) قوله تعالى فى آخر الاية : (انه خبير بما تفعلون) فان الاية لو كانت لبيان أهوال القيامة لناسب أن يقول : « خبير بما فعلتم » لا بالجملة الحالية المفيدة للتجدد .

يكون أبلغ فى المقام وأبعد من احتمال الحركة ، فتشعر الآية بامتناع سير الجبال فى زعم العرف كالجامد فى محل ، مع انها تمر فى الحقيقة مر السحاب .

٣ - التعبير عن هذه الحركة بالمرور ، إذ المفهوم منه نعومة الحركة كما هو شأن حركة الأرض .

٤ - تشبيه الجبال بالسحب فى مسيرها لمناسبة بينهما من جهة السرعة مع النعومة ، ومن جهة اختلاف الحركات فى السحب شرقا وغربا وشمالا وجنوباً كالأرض فى حركاتها التى يأتى تفصيلها فى آخر هذه المسألة ، ومن جهة تشابه الحركة فى كل سحابة واستوائها إذ لا تسير مضطربة ولا بنحو القفز .

(الآية الخامسة) - قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين ﴾ (١) وهذه من الآيات التى تفطنت باشعارها بتحرك الارض وذكرتها مع غيرها فى غير هذا الكتاب والبيان الموجز هو : ان الاتيان ظاهر لغة وعرفا فى الحركة الحسية الانتقالية ، والقدماء إذ لم يجوزوا تحرك الارض طفقوا يؤولون هذه الظواهر الى غير حقائقها ، ولو صح تحرك الارض لم نحتج الى تأويلاتهم وكان موافقة ظاهر اللفظ أولى ، لاسيما بعد البناء على ان السماء الدنيا هى الآتو مسفر المحيط بأرضنا كما يثبته قوله تعالى : ﴿ وهى دخان ﴾ وسأثبته فى مسألة حقيقة السماوات وفى مسألة الرجوم ، فان السماء الدنيا مع أرضنا تتحركان معاً فى جوف الفضاء بحركات مختلفة وضعية وانتقالية حول الشمس وحول أنجم (هركول) كالكرة المتدحرجة .

فيكون معنى ظاهر الآية ان الله تعالى توجه الى السماء بنظرة عنائية ﴿ وهى دخان ﴾ أى بخار ماء ﴿ فقال لها وللأرض ﴾ بأمر واحد تكوينى ﴿ ائتيا ﴾

(١) سورة فصلت آية ١١ .

أى انتقلا وتحركا من حيزكما معاً ﴿ طوعاً ﴾ لنظام هذه الشمس ﴿ أو كرهاً ﴾ عنها وطوعا لنظام آخر واتباعا لجاذبية عالم آخر ﴿قالتا﴾ بلسان الحال الذى هو أفصح من المقال ﴿ أتينا طائعين ﴾ لهذا النظام خاضعين لنواميس هـــذه الجاذبية التى سنها الله تعالى فى هذا العالم .

ولو تأمل الحكيم فى أسرار هذه الاية المقدسة لاطلع على أسرار الأرض فى مبدأ خلقها وأصل تكوين عالم الشمس .

وخلاصة الكلام ان القرآن العظيم مشحون بالايات الناطقة بالاراء الجديدة لا سيما تحرك الارض ، ولم نجد فيه آية واحدة تدل على سكون الارض فى حيز مخصوص بها دلالة تامة .

وما دل على ان الله تعالى جعل الارض سكناً وقراراً لا يدل إلا على انها مسكن لما عليها ومقر لما فيها .

* * *

وأما ما دل على جعل الجبال أوتاداً فى الارض فلا يدل على سكون الارض فى مقر بلا سير ولا دوران ، فان الوتد على قسمين : خارجى وداخلى

(أما الاول) فهو ما يضرب بغرض أن لا يزول الشىء عن مقره، مثل وتد الدابة الذى يربطها بمعلفها لئلا تزول عن موضعها ، وهذا القسم من الوتد يجب أن يكون مركزه ومضربه فى شىء آخر ثابت مستقر غير ما قصد ان لا يزول ، ولا يجوز أن يضرب هذا الوتد فى نفس الشىء قطعاً . ألا ترى ان الدابة لو ربط وتدها بنفسها لهربت من دون مانع .

(وأما الثانى) مايضرب بغرض ارتباط أجزاء بعضها ببعض كالاوتاد فى الابواب لبقاء اتصال الاخشاب ومثل الدسر والمسامير فى السفينة لئلا تنفسخ الاجزاء وتتفرق عن وضعها . وهذا القسم من الوتد يجب أن يكون فى نفس

الشيء لا فى الخارج عكس الأول كما هو واضح .

وبعدما عرفت تقسيمى هذا فانظر الى الجبال التى خلقت أوتاداً للأرض هل ركزت فى نفس كرة الارض لتكون من الثانى أو ركزت فى الخارج لتكون من الأول ؟ لا يرتاب عاقل فى كون الجبال أوتاداً داخلية فى الأرض خلقت فيها لتربط الأجزاء بعضها ببعض وتحفظ صورة اتصالها عن التفرق والانفصال ولم تخلق فيها لتمنعها عن السير والحركة . فلو خلقت لتسكينها فى مقر - كما يزعمه القدماء - لركزت فى جرم آخر ثابت غير الارض .

وبالتأمل يتضح لك أن الجبال وأصولها والمواد الصخرية إنما خلقت فى الأرض لتمنع سلطان المياه والارياح عنها ، فانها لو كانت رمالا محضاً لنسفتها الزوابع وجرفتها الأمواج على الدوام واستولى البحر على البر وانسابت رمال الأرض كلها الى البحر ، فأمسك الله تعالى الأرض بمواد الجبال من أن تمور فى البحور أو تميد وتنقاد لسلطان الأمواج ، ووتدها بالجلاميد لتصان من التفرق والانفراج والأود والاعوجاج إذا عبثت بها الزوابع فلا تذهب عجاجا ويختل نظام العيش والسكنى للنبات والحيوان البرى .

فما جاء فى شرعنا بكون الجبال أوتاداً للأرض لا يشعر بسكون الارض بل يشعر بأنها متحركة خلافا للقدماء ، وبيانه الموجز : ان الأرض مركز المراكز عند القدماء يستحيل ميلها الى شيء ، فلو كانت ساكنة فى الوسط - كما يزعمون - لاستغنت عن الاوتاد مائعة كانت الارض أو جامدة ، إذ لا يميل حينئذ جزء منها الى غير مقره فيكون ضرب هذه الأوتاد العظام عبثاً ، ولذلك ترى القدماء كالعلامتين الرازى والمجلسى فى اضطراب عظيم هاهنا ، وأما على تحرك الارض فلا بد فيها من صخور وجبال ، إذ لو كانت تراباً محضاً أو طيناً أو نحوه خالية عن المواد الصلبة وعن الجبال الراسية الراسخة فى أعماق الارض

المستمسكة بأصولها وأوصالها لخيف على الارض من التفسخ فى الفضاء بالحركات المختلفة على أسرع سير ، إذهى تسير بسيرها اليومى اكثر من أربعة فراسخ فى الدقيقة الواحدة وتسير بسيرها السنوى بأسرع من ذلك فى الثانية الواحدة . وعلى هذا إذا استمسك أبعاضها بأصول الصخور وعروق الجبال حفظت من حادث التفرق ولو بنفس تبدل الحيز لتلك الاجزاء .

وقد ظهرت فائدة الجبال التى صارت أوتاداً للأرض حال تحركها، وهى حفظ أجزائها من الميلان والميدان(١) كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم ﴾ (٢) أى مخافة أن تضطرب أجزاؤها بكم وأنتم عليها . وفى أول خطبة من نهج البلاغة : « ووتد بالصخور ميدان أرضه » وفى الخطبة الاخرى : « وعدل حركاتها » أى الارض « بالراسيات من جلاميدها » وفى الدر المنثور قال النبى (ص) : « فدحى الله الارض » أى حركها « من موضع البيت » الكعبة « فمادت ثم مادت فأوتدها الله بالجبال » .

ولو تصفحت أقوال القدماء واضطرابهم فى شرح هذه الآيات والروايات لما برحت عن هذا التحقيق .

* * *

(١) قال ابن الاثير فى النهاية فى مادة (ميد) : وفى الحديث : « لما خلق الله الارض جعلت تميد فأرساها بالجبال » ماد يميد إذا مال وتحرك ، ومنه حديث ابن عباس : « فدحا الله الارض من تحتها فمادت » ومنه حديث على عليه السلام « فسكنت من الميدان برسوب الجبال » الى ان قال ابن الاثير : ومنه حديث أم حرام : « المائد فى البحر له أجر الشهيد » وهو الذى يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج .

(٢) سورة النحل آية ١٥ .

وأما الأخبار المأثورة عن النبي والائمة من أهل بيته عليهم السلام فهى كثيرة أيضاً نقتصر منها على خمسة :

(الخبر الأول) - ما روى فى الاحتجاج والبحار مرسلا عن هشام بن الحكم عن الامام الصادق عليه السلام انه قال فى أجوبته للزنديق : « ان الاشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه وهى سبعة أفلاك وتحرك الارض ومن عليها وانقلاب الازمنة واختلاف الوقت ... » فقوله عليه السلام : « وتحرك الارض ومن عليها » يعنى البشر وغيره ، وهو تصريح فى إثبات حركة مستمرة للأرض كحركة من عليها وكحركة مافى الفلك من حيث الحسية والانتقال بمقتضى قياس السياق ، ولا محمل لهذا البيان إلا رأى المتأخرين فى تحرك الارض .

وقوله عليه السلام « وتحرك الارض » يصلح للحمل على حركتها اليومية وعلى حركتها السنوية أيضاً ، ولكن التأمل فى ألفاظ الخبر يرجح الحمل على الحركة اليومية ، فان السنوية مفهومة بالاجمال من قوله عليه السلام : « من دوران الفلك بما فيه » فان الارض أيضاً من جملة مافى الفلك .

وشرح ذلك : ان الفلك عند المتأخرين موافق لظواهر شرعنا المبين كما مر ، أى ليس فى الحقيقة إلا مدار مفروض لجرم علوى ، فوجوده ودورانه إنما يكون باعتبار الجرم الدائر فيه ، ويكون قوله عليه السلام : « من دوران الفلك بما فيه » أى باعتبار ما فيه وبواسطة أجرام تدور فيه ، كقولنا : « جرى النهر » باعتبار جريان الماء فى النهر و « تحركت الباخرة » بواسطة تحرك البخار أو الكهرباء فيها ، و « تحرك المنطاد » والمتحرك الحقيقى هو غاز فيه وأمثاله وافرة ظاهرة .

ولما كانت السيارات مع الارض سبعة فى اعتبار الشرع - كما سأذكره - فى مسألة حصر الارضين فى سبعة - لذلك قال عليه السلام : « وهى سبعة أفلاك »

يعنى المدارات المفروضة للأرضين السبع السيارة حولنا ومنها أرضنا .

وهذا الخبر المقدس مخالف لهيئة القدماء حيث يقول : « وهى سبعة » مع ان الأفلاك العظام كانت عند القدماء تسعة لا سبعة وصغارها اكثر بكثير فلا تستقيم ظواهر هذا البناء العظيم مع البناء القديم إلا على القول بتحرك الارض وانها من جملة السيارات المعتبرة فى خطاب الشرع سبعة - كما سيأتى فى المسألة الخامسة وان الافلاك مدارات لتلك السيارات وتدور باعتبارها .

* * *

(نكتة) قال عليه السلام : « وتحرك الارض ومن عليها وانقلاب الازمنة واختلاف الوقت ... » فذكر عقيب تحرك الارض انقلاب الازمنة واختلاف الوقت لانها من فروع تحرك الارض يومياً وسنوياً ، فان انقلاب طبيعة الزمان من الربيع الى الصيف ثم الى الخريف ثم الى الشتاء فرع الحركة السنوية للأرض ، وكذا اختلاف ظواهر الاوقات على قياس الفصول من الصبح الى الظهر ثم الى العصر ثم الى السحر فرع الحركة اليومية للأرض ، فتوافق الترتيب الذكرى مع الترتيب الكونى فى مقالة هذا الامام العظيم عليه الصلاة والسلام .

(الخبر الثانى) - ما جاء فى كتاب الكافى باب الحج والوافى والبحار ج ١٤، ٢١ وغيرها مسنداً الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان الله عز وجل دحى الارض من تحت الكعبة الى منى ثم دحاها من منى الى عرفات ثم دحاها من عرفات الى منى ... » فانى استظهر من هذا الخبر القدسى ان الله تعالى وجه مقتضى الحركة - كما سأذكره فى غير هذا الكتاب أيضاً - وأوجد سببها أولا فى موضع الكعبة من الارض فدحاها من تحت الكعبة الى جهة شرقها - أعنى منى - ثم الى شرق منى - أعنى عرفات - وهكذا

من عرفات الى أن عادت بنحو الدوران الى موضع الكعبة ومنى فتمت الدورة اليومية .

وقد ثبت فى الآية الأولى من هذه المسألة ان أظهر معانى دحى أو أشهرها هو الدفع والتحريك بنحو الدحراج . وفى مضمون هذا الخبر الشريف شاهد على هذا المعنى أيضاً ، وهو ان الدحو فيه لو كان بمعنى البسط لكان تخصيص جهة منى دون سائر الجهات عبثاً بلا وجه ، فان بسط الأرض على شكل الكرة لا يختص بجهة . وأما إذا كانت بمعنى التحريك صحبت وجهاً وجيهاً وهو كون منى فى شرقى جهة الكعبة المعظمة وكون العرفات فى شرقى جهة منى ، فيكون الوجه فى تحريك الأرض الى خصوص جهة منى هو الاشعار بحركتها اليومية مع بيان جهة الحركة ، فان هذه الحركة من الغرب الى الشرق فى الأرض ، فتنطبق أحسن انطباق على دحو الارض من موضع الكعبة الى شرقيها - أى موضع منى - ثم دحوها منه الى عرفات ثم دحوها منها راجعة من تحت الكعبة الى جهة منى أيضاً لتكمل الحركة اليومية .

* * *

فان قلت : لو كان الامام عليه السلام فى صدد بيان دوران الارض على نفسها لاقتضى ان يقول : « ثم دحاها من عرفات الى الكعبة » ليتم الدوران بالعود الى ما ابتدىء منه وهو الكعبة ، لا أن يذكر منى فى موضع الكعبة حتى يزيد على قدر الدورة المحورية .

قلت : ان التعبير بجهة منى أخيراً لا ينافى انطباقه على الكعبة ، ومع ذلك فان السبب لقوله عليه السلام : « ثم من عرفات الى منى » دون أن يقول الى الكعبة هو إظهار نكتة مهمة خفية ، وهى على ما أظن اشارة الامام عليه السلام الى فضل الحركة اليومية على الحركة المحورية ، إذ الأرض تتم الدورة اليومية فى ٢٤ ساعة تماماً

وتتم الحركة حول نفسها المحورية فى ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة و ٤٩ ثانية ،فبين الامام (ع) فى هذا الخبر حركة الارض اليومية المحصلة للنهار والليل ببيان يفهم منه الحركة المحورية أيضا .

وشرحه مختصراً هو : أن الحركة اليومية مركبة من الحركة المحورية وجزء يسير من الحركة السنوية ، ولما كانت بقاع الارض تتحرك فى كل ثانية بالحركة المحورية ٤٥٠ متراً وبالحركة السنوية ثلاثين الف وخمسمائة متر فى الثانيـــة وفى الساعة باكثر من ١٠٠٠٠٠ كيلو متراً (١) لزم اضافة مسافة من الارض على ما اختص منها بالحركة المحورية ، بحيث يوافق سير ذلك الفضل من المسافة ما يفضل من السير المحورى ، واضافة ما بين الكعبة وبين منى واف بالنظر التقريبى لتسوية ذلك ، وأما بالنظر التحقيقى فيقتضى من سعة المقال والمجال ما يخالف مقتضى الحال .

(الخبر الثالث) ـ ما جاء فى العيون وعلل الشرائع ومواضع متعددة من بحار الانوار وارشاد القلوب للديلمى ، وروى أيضا عن كتاب الواحدة والمحتضر ومناقب البرسى ونور الثقلين وتفسير البرهان للبحرانى وكتب أخرى بالاسناد الى أمير المؤمنين على (ع) ان شامياً سأله عن مكة المكرمة لم سميت مكة ؟ فقال (ع) : « لأن الله مك الارض من تحتها ـ أى دحاها » وسياق الخبر الشريف كسياق أخبار دحو الارض من تحت الكعبة .

و (المك) يأتى فى اللغة لمعان ، منها التحريك بنحو الدحرجـــة ، ففى القاموس : مك بسلحه أى رمى والمكمكة التدحرج فى المشى ـ انتهى .

---

(١) قال الخورى مورو فى كتابه : الارض فى سيرها السنوى حول الشمس تقطع تسعمائة وثلاثين مليون كيلو متراً فى مدة ٣٦٥ يوما وخمسة ساعات و ٤٨ دقيقة و ٢٦ ثانية .

ويناسب ذلك تدحرج الارض فى الفضاء ، وليس فى المعانى المذكورة فى الملك ما يناسب سياق اخبار دحو الارض غير هذا المعنى .

وهذا الخبر من شواهد كون الدحو لغة بمعنى التحريك على طريق الدحراج ، لأن الملك لم يأت فى اللغة بمعنى البسط ، وقد فسر الامام (ع) فى آخر هذا الخبر لفظ الملك بالدحو ، فيكون ظاهر معنى الدحو والملك التحريك لا البسط .

ولو تصفحت ما ورد فى شرعنا فى سياق دحو الارض لوجدته ظاهراً فى التحريك أو قابلا للحمل عليه كقوله تعالى : ﴿ ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة ﴾ (١) فان البك والملك والدحو والدح ونحوها مستعملات فى التحريك الخاص . وبمناسبة ذلك أطلق على موضع البيت هذه الالفاظ ، ففى القاموس أيضا : البك من يسعى فى امور أهله ، والبكباك القصير جداً إذا مشى تدحرج

وهذا يناسب تحريك الارض من موضع البيت متدحرجة فى الفضاء كالأترنجة المرمية .

وفى النهاية للحافظ ابن الاثير عن عطاء من تابعى النبى (ص) انه قال : « بلغنى ان الارض دحت من تحت الكعبة دحاً » قال ابن الاثير : وهو (أى دحت) مثل دحيت (أى فى المعنى) ثم قال : والدح الدفع . وفى القاموس الدح الدفع فى القفا ، والدح الدفع العنيف ، والدحدحة القصير المتمشى ، والدحيدح من يخطىء فى لعب المداحى فيقوم على رجل فيحجل سبع مرات .

والمقصود أن المعنى المحفوظ مع المشتقات فى لغة الدح والدحو والبك والملك يعطى الدفع والتحريك بحركة مناسبة لحركة الارض ، فيلتئم بذلك ما روى فى أبواب دحو الارض من تحت الكعبة .

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٦ .

(الخبر الرابع) - قال على (ع) بعد توصيفه خلق الارض وجعل الجبال فيها أوتاداً لها - كما فى نهج البلاغة وغيره - : « فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها » أشار الى هذا الخبر القدسى سيدنا العلامة الربانى محمد حسين الشهرستانى ، ويلزمنا شرحه بأن الضمير فى سكنت راجع الى الأرض، وعلى ههنا بمعنى مع ، ومن متعلقة بسكنت ، والأصل فسكنت الارض من الميدان مع حركتها ، فيعطى سكون الأرض عن الاضطراب مع تحركها فى الفضاء ، كما يقال : « ثبت زيد على خوفه فى محاربة عمرو » أى مع شدة خوفه . فالامام أثبت فى كلامه سكون الارض بالجبال عن الاضطراب والتمايل ، كما صرح به فى خطبة أخرى فقال : « فسكنت من الميدان لرسوب الجبال فى قطع أديمها » .

وهذه المعانى قد حققناها آنفاً ، فلا يريد سكونها عن أصل الحركة ، ولذلك قيد تحركها وقال : « فسكنت على حركتها » أى مع حركتها ، كما قال (ع) فى خطبة أخرى : « وسكنت الارض مدحوة فى لجة تياره » أى وسكنت الارض حال كونها مدحوة أى متحركة .

وهذا سبك من يوشح التعبير بفنون البلاغة ، ولو تأملت فى أطراف هذا الكلام لاشتد إذعانك بالذى سمعت ، فانه (ع) ذكر خلق الأرض أولا ثم نصب الجبال فيها لتحفظها عن الاعوجاج وتسكن عن الميدان بأهلها مع كونها سيارة فى الفضاء لاستمساك أجزاء الارض بأصولها وصخورها ، وأيضاً يصان ما عليها من الغوص فيها وابتلاعها إياه بسبب ثقله ومرونتها ، واليه ينظر قوله (ع) : « أو تسيخ بحملها » ، وأيضاً تحفظ أجزاء الارض عن التفرق فى الفضاء بسبب سرعة تبدل الحيز فى سيرها السنوى فتنتثر الى أراض صغار كانتثار الفليق الى نجيمات المشترى - كما سيأتى - أو تولى هائمة

فى الفضاء فاقدة لمدار يختص بها ، واليه ينظر قوله (ع) : « أو تزول عن مواضعها » .

* * *

ولقد توهم البعض فى ميد الارض المتكرر فى مقالات الشريعة فقال : انه اشارة الى اضطراب فى مبدأ تكوينها حال كونها مائعة مائرة .

والظاهر لى من هذا الكلام هو ميدها فى كل آن لولا الصخور والجبال ألا ترى قوله (ع) : « من أن تميد بأهلها » فعندما كان لها أهل وسكان سكنت بالجبال عن الميدان ، والارض فى مبدأ خلقها لم يكن لها أهل قطعا وما كانت غير عناصر مائعة ، وهلا سمعت القرآن الكريم يتلو عليك : ﴿ وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم ﴾ ، والضمير فى بكم يشير إلى من فى عصر النبي (ص) وإلى من بعدهم ، فيكون هذا التحرك غير تحركها فى بدء التكوين حين كانت مائعة مائرة .

* * *

(نكتة) يظهر لى من قوله (ع) : « أو تزول عن مواضعها » تأكيد المطلوب ، أعنى تحرك الارض فى مدار مخصوص ، فان الأرض عند المتأخرين لها مواضع لا تحصى لكنها جميعا فى مدار معين بأزاء البروج الاثنى عشر ، فيتم على هذا تفسير قوله (ع) : « على حركتها » بحركة الارض السنوية وان الجبال وعروقها هى الحافظة لهيئة أجزاء الارض المانعة من تفرقها واضطرابها وزوالها عن مواضعها المخصوصة فى فلكها المخصوص ، وأما على القول بالسكون - كما عليه المتقدمون - فلا يتم هذا الكلام الكامل ، إذ الجسم لا يكون ذا مواضع إلا بتحركه الانتقالى والساكن ذو موضع واحد وعلى هذا لا يكون غرس الجبال فى الارض مانعا من زوالها عن

مواضعها التى رتبها الله تعالى فيها - كما هو مرمى الكلام - بل يكون غرس الجبال مانعاً عند هؤلاء من أصل تحركها وكونها ذات مواضع لا من زوالها عن مواضعها الممهدة كما يعطيه ظاهر القول - فتدبر .

(الخبر الخامس) - قال على (ع) أيضا فى خطبة مروية فى نهج البلاغة وغيره بعد توصيف الارض: «وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها» فانه يجوز أن يفسر بأن الجبال الراسية والصخور الجلاميد هى التى منعت اضطراب أجزاء الارض عند عروض الحركات المختلفة عليها واقتضت تعديل تلك الحركات المتخالفة المسببة عن اختلاف جهات الجذب والدفع .

(تتمة)

(فى عدد حركات الارض)

ان حركات الارض عند حكماء عصرنا خمس حركات مختلفة وهى المشهورة ، وحكى (فيلكس ورنه) عنهم أحد عشر حركة ، وجاء فى المقتطف عدد سبتمبر سنة ١٩٠١ ص ٨٦٣ انها اثنتى عشرة حركة ، وذكر الفلكى الفرنساوى (كامبل فلامريون) أربعة عشر حركة ، ونحن نتخب من كتبهم حركات ثمانية ونذكرها تفصيلا هنا :

(الاولى) - الحركة المحورية على منطقة الاستواء وهى فى حيزها وموضعها ، ولذلك تسمى بـ (الحركة الوضعية) أو (الحركة الاستوائية) ويتم دورها فى ٢٣ ساعة و ٥٨ دقيقة و ٤٩ ثانية ، ويحصل من هذه الحركة الليل والنهار ، وتتولد من تركب هذه الحركة مع جزء من الحركة السنوية الحركة اليومية كما تقدم ، فيتم الدور فى ٢٤ ساعة .

(الثانية) ـ الحركة السنوية حول مركز الشمس على منطقة البروج فى دائرة بيضوية ، ويتم دورها فى ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعات و ٨ دقائق و ٣٨ ثانية وبها تحصل الأشهر الفرسية والرومية والنجومية ونحوها ، وتتولد الحركة الميلية من هذه بسبب انحراف محور الأرض عن سطح دائرة البروج ٢٣ درجة ونصف تقريباً . وهذه الحركة غير مستقلة وبها نرى للشمس فى كل سنة كرّاً من الشمال الى نقطة الجنوب ثم رجوعها منها الى نقطة الشمال ، وسنذكرها فى مسألة مركزية الشمس .

(الثالثة) ـ الحركة الاقبالية ، أى اقبال دائرة البروج الى دائرة الاستواء فى كل ٦٧٠ عام درجة واحدة ، وهذه الحركة محصورة فى زاوية ثلاث درجات حسب استكشاف المتأخرين ، كالحركة الارتعاشية بين كرة وفرة مثل الحركة الميلية ولا تكمل دورة مستديرة ، ولا نرتقب زماناً تنطبق فيه احدى الدائرتين على الأخرى كما كان القدماء يتوقعون ذلك ، وبه فسر بعضهم قيامة الدنيا .

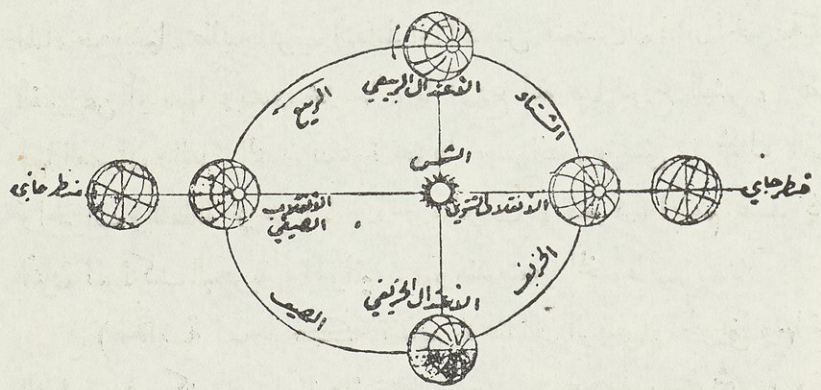

(ش ٥) الأرض فى الحركة السنوية حول مركز الشمس

(الرابعة) - حركة نقطتى الأوج والحضيض حول المحيط من دائرة البروج فى كل ٢٠٩٣١ سنة دورة كاملة بسبب تجاذب المشترى وزهرة مع الأرض ، وبذلك تتغير أزمنة الفصول ففى سنة ٦٤٨ كانت نقطة الحضيض على نقطة الانقلاب الصيفى فكانت أيام الصيف مساوية لأيام الربيع . وبهذه الحركة تقرب الأرض من الشمس فى نقطة الحضيض ثلاثمائة الف فرسخ بالنسبة الى أوجها ، فتزداد قوة جاذبية الشمس فى الأرض قدر الخمس مما كان لها قبل اذ .

ومن آثار اشتداد هذه القوة سرعة تحرك الأرض فى فلكها كل يوم واحد وستين دقيقة ، مع انها تتحرك فى أوجها كل يوم سبعة وخمسين دقيقة من فلكها .

ومن آثارها أيضاً ارتفاع السايلات المنبسطة على وجه الارض كمياه البحار المحيطة وتراكمها نحو أقرب نقاط الارض الى الشمس حال اذ ، فنحن الآن نرى المياه متراكمة فى النواحى الجنوبية من عرض اربعين درجة ، بحيث توجد ثمة بقاع تلمع بصفاح متسعة كالأقطار الشمالية ، لكن الأمر منعكس بعد اليوم بخمسة آلاف سنة حيث تنتقل نقطة الحضيض الى شمالنا فتتجه المياه نحو الشمال طالبة أقرب النقاط الى الشمس ، فتحسر الاقطار الجنوبية قناع الغمر عن أوجهها وتبدى محاسنها وما أودع الله فيها لنوع البشر ، ويصبح فيها العمران والعلم والتمدن تدعونا نحوها مبشرات ، ويمسى فى شمالنا الغرق والخراب والعطالة تزجرنا بالخروج منذرات ، فتعرف الأمم عند ذلك اثمان المراكب البحرية والهوائية ، ويومئذ ينجو المخفون .

(الخامسة) - حركة تقديم الاعتدالين الربيعى والخريفى وبها ترى الثوابت متحركة على موازاة دائرة البروج فى كل ٢٦ الف سنة شمسية مرة . وكان القدماء يظنون ان الثوابت بأسرها مركوزة فى ثخن فلك يدور دورة فى

تلك المدة (١).

(السادسة) ـ الحركة الرقصية أو الارتعاش القمرى وهى التى تعرض على محورى الارض فتميل بذلك الى دائرة البروج فى كل ٢٩ سنة مرة . اكتشفها الفلكى (برادله) سنة ١٨٤٤ م ومنشأها تأثير الجاذبيتين من الشمس والقمر فى أرضنا مع تسطيحها القطبى وتفرطحها الاستوائى . وينتقل محور الارض بهذه الحركة فى دورة عقدتى القمر بمقدار ١٨ درجة وكسر الى الجنوب والشمال .

(السابعة) ـ الارتعاش الشمسى . قال فى حدائق النجوم ما معناه: ان الارض يرتعش محورها (أى يرتعش من طرف قطبيها) بجاذبية الشمس وتتم فى سنة شمسية وغايتها دقيقة من الفلك .

(الثامنة) ـ الحركة التبعية ، وهى سير الأرض كباقى السيارات بتبعية الشمس فى الفضاء المهول حول مركز مجهول . وسأشرحها فى مسألة مركزية الشمس.

ولعمرى ان شرعنا الاقدس مشحون بمقالات ضافية تشعر بتحرك الارض ونشير الى بعضها فى طى هذا الكتاب ونذر الباقى لمن ينحو مسلكنا المقدس ويعرف منزلة هذه الشريعة العظمى ، ويفى معشار حقها بعد عرفان مبانيها ونيل حقايقها ومعانيها .

---

(١) جاء فى الجامع البهادرى ص ٤٧٩ ان القدماء ظنوا ثبوت البروج ثم تحقق تحركها ، وتحولت البروج من مواقعها الاصلية وبقى الأسم على غير مسماه الاصلى ، وحسب قياسنا اليوم قد تحولت البروج من مواقعها الاولية اليونانية الى ٢١ درجة و١٢ ثانية .

أقول : قد أشار الى هذا السر على عليه السلام فى الحديث المشهور عنه: «بنى الهرمان والنسر فى السرطان ، ولو تأملنا فى المسألة لكانت احدى براهين حركة الارض ، لان اسناد مثل هذه الحركة الى الارض أصح منه الى ثوابت لاتحصى

« المسألة الرابعة »

(فى تعدد الارضين و نفى انفرادها)

قد تحقق عند الفلاسفة المتأخرين عن الالف الهجرى ان كرة الارض غير منحصرة بهذه الارض التى نحن عليها ، بل لربنا تعالى أراض وافرة تسبح فى فسحة الفضاء كأرضنا هذه فى رمالها وصخورها وجبالها وبحورها وسائر أمورها ، فهل نطقت الشريعة الاسلامية - على مبلغها الصلاة والسلام - بهذا الرأى ، أو حكمت كالقدماء بانفرادها ، أو سكتت عن كلا المذهبين ؟.

(الجواب)

ان القدماء - على ما وصلنا من أخبارهم - لم يذكروا تعدد الارضين حتى من اختار منهم تحرك الارض ، ولا كثر فلاسفتهم أدلة على استحالة وجود أرض فى الفضاء منفصلة عن هذه الارض . وعمدة ما أغراهم على ذلك فتوى الحواس بانتفاء وجود أرض أخرى ، وكانوا يعتقدون ان النجوم السيارة والثوابت أجرام من جنس جوهر الفلك ليس فيها شىء مما فى أرضنا ولا عليها ما على هذه العنصريات والحوادث - كما هو مشروح فى كتبهم .

نعم نقل الشيخ الرئيس ابن سينا فى الشفا القول بكثرة الارضين عن حكماء الفرس المتقدمين ، ونقل الشاعر الكامل أبو محمد الشهير بالنظامى المتوفى سنة ٥٧٠ عن قدمائهم ما ينطبق تمام الانطباق على الرأى الحديث وترتيبنا المستفاد من ظاهر الاحاديث ، إذ قال بالفارسية :

شنيدستم كه هر كوكب جهانيست جدا گانه زمين واسما نيست

ولكن الغربيين فى حدود الالف الهجرى رفضوا آراء القدماء ، إذ تفننوا فى اختراع النظارات المكبرة (ميكرسكوب) والمقربة (تليسكوب) بتمهيدات الفيلسوف غاليله المتوفى سنة ١٦٤٢ م ومن بعده وكذلك باقى الادوات الفاضلة والآلات الدقيقة الكاملة ببذل الامراء المربين والاغنياء المرغبين أعز الاموال والمهج ، وصرف الاذكياء أفضل الهمم والاعمار فى هذا النهج حتى وصلوا من بعد ذلك كله الى أوج الكمالات والعلوم ، واستخرجوا نفائس الحقائق ، لا سيما فى فن النجوم فكشفوا الغطاء عن أمور قصرت عنها أيدى القدماء لضعف أسبابهم لا لتهاون منهم أو تقصير .. حاشا وكلا .

كيف يكون ذلك ؟ وقد هزموا جيش الجهل بلا سلاح وغلبوا على مدائن العلوم ، ففتحوا أبواب حقائقها بلا مفتاح وكشفوا دقائقها وأسرارها على أحسن ما يرام .

والغرض ان المتأخرين قد اعتقدوا بمقتضى فتاوى حواسهم المسلحة بأكمل النظارات ان النجوم السيارة بأسرها أراض مستقلة كأرضنا هذه ذات وهاد ورواسى وخلق وعمران وماء وهواء وبحار وغير ذلك .

أقول : لو صح ما ذكروه كان اطلاق اسم الارض صحيحاً على كل سيارة كذلك ، وقد قال أهل اللغة : كلما ترضه الاقدام أرض . ونرى عند ذلك كل صفة نعتقد مدخليتها فى تسمية الارض أرضاً ثابتة لتلك السيارات من تضمنها للجبال والقفار والمياه والهواء والبخار والغيوم والامطار والفصول والاقمار والميول والمدار والليل والنهار والسكان والديار وغيرها مما فى أرضنا كما سيأتى ، مثلما لو التصق بأرضنا كرة أرض أخرى مثلها فى كل صفة وفيها خلق يمشون عليها فهل تستعمل فى اطلاق اسم الارض عليها ؟ كلا !.. وهكذا حال السيارات ان

صح ما حكته النظارات .

ولا تنتظر فى تصديقك لذلك أدلة القدماء على وجوب انفراد الارض فان المتأمل فى مداركها يجدها اقتناعية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً فاذا أتاه لم يجده شيئاً .

وأما الشريعة الاسلامية فقد صرحت بتعدد الارضين وذكرت لنا ما فيها وما عليها بلا معونة آلة أو أدوات فى قرون طويلة قبل اختراع النظارات ، حيث لم يكن على وجه الارض من هذه المستحدثات شبح ولا اسم فضلا عن المسمى ، لكن الاسف كله على ان المحدثين القدماء استوحشوا من ظواهر تلك الاخبار - كما قدمنا بيانه - فلم يصل الينا مما أهملوه غير القليل ، وحيث كان هذا القدر القليل غير مشفوع ببرهان لم يركن العلماء الى ظواهره وحسبوه من الظواهر اللازم تأويلها وصرف ظهورها الى معلوماتهم فى ذلك العصر .

وها أنا الآن أتلو عليك جملة من مقالات شرعنا حسبما تفطنت به وظفرت عليه . واسأل الله تعالى العون والتوفيق .

المقالة الاولى

قال الله تعالى: ﴿ الله الذى خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن ﴾(١) أى مثلهن فى العدد وان الارضين سبع ، أجمع على هذا التفسير كل المفسرين والحفاظ قديماً وحديثاً حتى صاروا جميعاً يذكرون أخبار تعدد الارضين وتكثر هذه العوالم فى تفسير هذه الآية المباركة .

ويظهر من كلمة ﴿ مثلهن ﴾ عموم التشبيه فى العدد وفى الترتيب ، فكما ان السماوات السبع بعضها فوق بعض ينبغى أن تكون الارضين السبع أيضاً

(١) سورة الطلاق آية ١٢ .

بعضها فوق بعض ، كما سنذكر الروايات الصريحة فى ذلك فى المسألة السابعة .

قال أبو السعود بن محمد العمارى من فضلاء المائة التاسعة :ان الجمهور على انها سبع أرضين بعضها فوق بعض ، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض ... الخ .

أقول : ولا يخفى حسن انطباق هذا التفسير المنقول من الجمهور على أراضى السيارات السبعة المبصرة المتباعدة واحدتها عن الاخرى كثيراً وسأذكر الاخبار المناسبة لهذا الترتيب فى مسألة ترتيب السماوات ، فراجع أواخر تلك المسألة تجد اخباراً متواترة السند صريحة فيما ذكروا فى أن ما بين أرض وأرض مسافة كمسيرة خمسمائة عام . وأنت لو فرضت دابة تسير فرسخاً اسلامياً فى كل ساعة - كما هو الشائع من صدر الاسلام الى يومنا هذا - لكان مجموع هذا السير يزيد على ستة عشر مليون ميلا ، فيقرب هذا التحديد جداً من تحديدات المتأخرين فى المسافات الفاصلة بين الارضين ، ولا يتجه أبداً هذا التحديد على مبانى القدماء .

المقالة الثانية

روى جماعة عن الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع) انه أجاب من سأله عن ترتيب السماوات السبع والارضين السبع فقال : « هذه الارض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة ، والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة ، والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ... » وسأذكر هذا الخبر بتمامه فى مسألة ترتيب الارضين والسماوات ، واشرحه سنداً ومتناً مع شواهده القوية وأطبقه على النظام الجديد .

ولعمرك انه نبأ عظيم وحجة ساطعة لمن خالفنا فى الدين والمذهب ،

فأرسل اليه النظر السليم ليهديك الى الحق القويم .

المقالة الثالثة

ما تواتر فى كتب الادعية والاخبار عن النبى (ص) وأوصيائه المعصومين (ع) : « اللهم رب السماوات السبع ورب الارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم » ويظهر من قولهم : « وما بينهن » انها منفصلات غير متصلات ، فلا يصح توجيه ذلك الى ارادة الاقاليم السبعة مع ان تقسيم الارض الى سبعة أقاليم اعتبارى وليس بحقيقى ، وتلك السبعة أيضاً غير مختصة بالنصف الشمالى من الارض ، بل يفرض مثلها فى النصف الجنوبى أيضاً ، فيتجاوز المجموع عدد العشرة .

وفى حدائق النجوم أن الحكيم (ركيولوس) قسم الارض سنة ١١٠٠ الى عشرين اقليما جنوبياً وعشرين اقليما شمالياً .

المقالة الرابعة

فى البحار وتفسير القمى وكتاب الخرائج للحافظ الراوندى قطب الدين سعيد من علمائنا فى القرن السادس مسنداً عن النبى (ص) انه قال فى حديث توصيف معراجه : « وكشطت لى عن السماوات السبع والارضين السبع حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها » (١) والكشط فى اللغة

(١) ذكر فى بصائر الدرجات ج ٢ سبعة أحاديث بأسانيد مختلفة كلها بهذا المضمون ، وجاء فى بعضها لفظ (كشفت) بالفاء عوضاً عن (كشطت) بالطاء .

كشف الغطاء ولفه ، فيعطى ظاهره ان الرؤية منه (ص) كانت برفع الحجب والأستار الحاجزة عن الابصار .

المقالة الخامسة

قال على (ع) فى خطبته المروية فى كتاب نهج البلاغة وغيره : « الحمد لله الذى لا يوارى عنه سماء سماءاً ولا أرض أرضاً » فانها كما تدل بظاهرها على تعدد السماوات تدل ايضاً على تعدد الارضين .

قال ابن أبى الحديد فى شرح هـذه الفقرة من شرح نهج البلاغة : هذا الكلام يدل على اثبات ارضين بعضها فوق بعض كما ان السماوات كذلك ولم يأت فى الكتاب العزيز ما يدل على هذا إلا قوله تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾ وهو قول كثير من المسلمين ، وقد تأول ذلك ارباب المذاهب الأخر القائلون بأنها أرض واحدة فقالوا انها سبعة اقانيم ...

وقال بعد هذا بقليل : وهذا الكلام على غير القاعدة الفلسفية بل هو على قاعدة الشريعة الاسلامية التى تقتضى أن السماوات تحجب ما وراءها عن المدركين بالحاسة ، وانها ليست طباقاً متراصة بل بينها خلق الله تعالى لا يعلمهم غيره ، واتباع هذا القول واعتقاده أولى .

أقول : وهذه التصريحات من محققى آثارنا الاسلامية شواهد واضحة على صحة جملة ما أشرنا اليه فيما سبق أو ما سيلحق .

المقالة السادسة

فى البحار وجامع الأخبار والأنوار النعمانية عن النبى (ص) انه

سئل عن قاف وما خلفه ؟ قال (ص) : « سبعون أرضاً من ذهب وسبعون أرضاً من فضة وسبعون أرضاً من مسك وسبعون ارضاً سكانها الملائكة ، لا يكون فيها حر ولا برد وطول كل أرض مسيرة عشرة آلاف سنة » .

أقول : عدد السبعين كالأربعين والألف يؤتى به فى العرف كناية عن كثرة المعدود بطريق المبالغة وليس للتعيين كباقى ألفاظ العدد .

ولنشرح المعضلات من هذا الخبر :

اما (قاف) فقد وردت فيه اخبار غريبة المضامين وتحير فى جمعها الاساطين ، لكنها عندى منطبقة على مخروط ظل الأرض الشبيه بالجبل العظيم لأنه المحيط بالأرض كنطاق دائرة أفقية . وقد استفاض عن الحجج ان جبل قاف محيط بالأرض .

ولأن لون السطح الظاهر من هذا الظل اخضر بسبب اختلاط النور والظلام على سطحه ، وقد استفاض أيضاً عن الحجج (ع) ان جبل قاف كالزمرد او الزبرجد الأخضر وان خضرة السماء منه أى من جنسه ومن قبيله ، فان لون السماء أيضاً أخضر وخضرتها حاصلة أيضاً من اختلاط الضياء المنعكس عن الأرض مع الظلام الحالك فى بطن الجو .

ولأنه أمر غير مختص بأرضنا بل هو ثابت للأراضى السيارة السبعة كلها ، كما سيصرح خبر ابن عباس بذلك .

ولأن بعض الأخبار ناطق بأنه محيط بالخلائق ، وبعضها ناطق بأنه خلف أرضنا ، فعلى ما فسرناه لا يكون تناف بين المعنيين .

ولأن ظل الأرض يحيط بنا ليلا ويكون خلف أرضنا نهاراً وهو محيط بالخلائق دائماً .

ولأن الطول والعرض من هذا الظل يقرب من ثلاثمائة فرسخ ، كما

ورد فى الخبر : « ان طول قاف وعرضه مسيرة الف سنة وان سماء الدنيا كنفاها عليه » أى طرفاها . وقد شرحت أخبار جبل قاف فى رسالة مستقلة وحققت انطباقها على ظـــل الأرض تحقيقاً كاملا حسب الآراء السديدة والكشفيات الجديدة ، فلا داعى للاطناب ههنا .

* * *

وأما قوله (ص) : « سبعون أرضاً » فالأولى فى شرحه ان هذه الأراضى الوافرة إما ان يراد بها السيارات الخارجة عن نظام شمسنا ، كما سيأتى ان من وار شمسنا هذه شموساً عظيمة كثيرة وحولها سيارات كثيرة لاتحصى وهى لسكانها أراضى ذات وهاد ورواسى .. وإما ان يراد بها السيارات الداخلة فى نظام شمسنا ، فيكون قوله ﷺ : « سبعون أرضاً » اشارة إلى النجيمات الصغار التى استكشفت بعد سنة ١٢١٥ ، فانها أيضاً اراضى سيارة حول شمسنا لكنها اصغر من أرضنا بكثير ، ويقرب عددها أيضاً مما فى الخبر اذ المستكشف منها حتى الآن بين الثلاثمائة والأربعمائة ومداراتها متوسطة بين المشترى والمريخ ، فتكون بعد مريخ هى أقرب الاراضى الى أرضنا من سمت خلفها ، إذ الأنسب باسم الوجه من جرم أرضنا هو النصف المواجه لجرم الشمس ، فيكون سمتها خلف المريخ والمشترى ، فيناسب قوله ﷺ « ان خلف قاف » أى خلف ظل الأرض كما تقدم كذا وكذا أراضى .

انظر الشكل الثانى (النظام الشمسى الكوبرنيكى) المطبوع ص ٦٣ يتضح لك جلياً ما قلناه .

* * *

وأما قوله ﷺ : « من ذهب » أو « من فضة » أو نحو ذلك فلا سبيل لنا الى نقضه لجهلنا بحقائق النجيمات ، ولعل الغالب على أجزاء بعضها عنصر

الذهب أو الفضة ، مع انه يحتمل أن يكون معنى قوله : « من ذهب » أى من قبيل الذهب ومن جنسه وهذا الاستعمال شائع فى العرف والشرع كقوله تعالى : ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ (٢) كما انه يقال : « الزنجى من سائر بنى آدم » أى من قبيل باقى البشر ، ويراد بذلك تمام المشابهة فى اللون أو الخاصية أو الطبيعة أو نحوها .

* * *

وأما بيان الاعتدال بقوله ﷺ : « لا يكون فيها حر ولا برد » فهو أيضاً منطبق على حال النجيمات ، لأن سلطان حرارة الشمس عند قرصها ثم تأخذ فى النقص والضعف حتى تنعدم فى محدد النظام الشمسى - أعنى خلف فلك نبتون - والبرودة بالعكس ، أى سلطانها من خلف نبتون ثم تشرع فى النقص حتى تنعدم عند قرص الشمس .

فاذا كان ما بين المريخ والمشترى هو المحل الأوسط فى النظام الشمسى كان الحر والبرد فيه متعادلين تقريباً ، بحيث يصدق عليه انه لا حر ولا برد فيه ، أى لا قوة للحرارة ولا للبرودة هناك ، إذ الظاهر من الحر شدة السخونة ومن البرد شدة ضدها ، وقد علمت انه لا شدة لأحدهما بين المريخ والمشترى ، وهو موضع النجيمات .

* * *

وأما قوله ﷺ : « طول كل أرض عشر الف سنة » فاذا كان بضم العين والشين - كما روى - فاحتمالى ان الطول فيها كناية عن مسافة سطوحها ويكون عشر الألف مائة سنة ، فلا ينافى المقادير المستنبطة للنجيمات ، ولا

---

(١) سورة النحل آية ٧٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٩ .

سيما ان الميزان فى المسير الوارد فى الاخبار مجهول . وان كان بفتح العين والشين فنحتمل أن يراد من طولها طول مداراتها وباعتبار أفلاكها حول الشمس ، وان طول المسافة من كل أرض الينا كعشرة آلاف سنة ، فنستدل بذلك أيضا على تقارب أفلاكها جداً وان بعدت عنا - كما عليه المتأخرون - بحيث لو مدت الاسلاك بدل تلك الأفلاك لخيف عليها من الاشتباك .

المقالة السابعة

فى الدر المنثور عن صاحب النبى (ص) ابن عباس انه قال : « سيد السماوات السماء التى فيها العرش ، وسيد الأرضين الأرض التى أنتم عليها ، وكلمة (فى) ههنا بمعنى على كما فى قوله تعالى : ﴿ لأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾(١) أى على جذوعها ، ودلالتها على تعدد الارضين واضحة .

المقالة الثامنة

فى البحار وثواب الاعمال بالسند القوى الى الامام الباقر محمد بن على عليه السلام انه قال : « ان الله عز وجل فوض الامر الى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء ... »

المقالة التاسعة

روى فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس انه قال : « خلق الله تعالى من وراء هذه الارض بحراً محيطا بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال

(١) سورة طه آية ٧١ .

له (ق) السماء الدنيا مترفرفة عليها ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، وهكذا حتى عدّ سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة اجبل .

أقول : وظاهر هذا الخبر يعطى وجود سبعة ارضين منفصلات وسبعة ابحر وسبعة جبال قواف ، بين كل أرض وأرض أخرى جبل قاف وبحر محيط وهذا مما لا يستقيم إلا على الآراء الجديدة ، ولا أعلم أحداً استنبط العيون الصافية من هذه الرواية وأمثالها غيرى - ولله المنة وله الحمد والشكر .

فالمقصود من الأرضين اجرام السيارات وقد مر تصحيحه ، كما ان المقصود من جبل قاف مخروط ظل الأرض الشبيه بالجبل العظيم وقد سبق تحقيقه .

ويتأيد ذلك التحقيق أيضاً بما فى هذا الخبر من تعدد الجبال القوافى ، وان من وراء كل أرض جبل قاف ، فان لكل من السيارات - كعطارد وغيره - مخروط ظل طويل وهيكل اخضر مهيل يحدث فيها استتار الشمس خلف نصف منها دائماً ، كما هو شأن أرضنا بعينه .

* * *

بقى الكلام فى البحار السبعة الفاصلة بين الأرضين ، وذلك يستدعى تمهيد أمر ، وهو :

ان الفضاء المحيط بمركز الشمس حتى ينتهى الى فلك ثبتون ممتل عند المتأخرين من مادة لطيفة سيالة مرنة تسمى (اتر) بالتاء والراء المهملة ، وهذا الفضاء الممتلىء يتحصص بملاحظة مدارات السيارات ومعابرها الى سبع أو تسع حصص ، فالمتوسط بين فلك عطارد وفلك الزهرة حصة بيضية الشكل وكذا المتوسط بين الزهرة وفلك الارض ، وهكذا الى تسع حصص

اذا اعتبرنا جميع الأراضى السيارة ، أو سبع إذا اعتبرنا خصوص السيارات المبصرة ، وسيأتى تحقيق ذلك فى مسألة حصر الأرضين فى السبع .

وإذا امتازت لديك الحصص السبع ولو بالاعتبار قلت : فأى مانع يمنع اطلاق لفظ البحر على هذه المجارى المتحصصة المتوسطة بين أفلاك السيارات ، وخصوصاً إذا وجدت المناسبة والمشابهة التامة بين البحار وبين هذه المجارى من وجوه متعددة :

(منها) ان الجوهر الممتلىء منه البحر سيال مرن شفاف لطيف - وأعنى به الماء - وكذلك الجوهر الممتلىء منه المجارى المتوسطة كما سبق ، بل نجد هذا الجوهر أشد من الماء سيلاناً ومرونة ولطافة بمراتب كثيرة .

(ومنها) كثرة التموج والحركة فى المائع المالىء للبحر ، وكذلك سيال اتر اذ هو فى غاية الاهتزاز والتموج والحركة الدائمة على المذهبين فى حقيقة النور ، أعنى مذهب الحكيم نيوتون واتباعه بأن النور مادة لطيفة مؤلفة من ذرات دقيقة جداً تنتشر من المنير فى الجهات على خطوط مستقيمة بسرعة عظيمة ، أى فى كل ثانية ١٩٢٠٠٠ ميل على رأى الحكيم دومر الدنيمركى أو ١٢٩٩٩٠٠ متر على حسب تجارب عصرنا . والمذهب الآخر للحكيم (هويجنس) وجمهور من تأخر عنه انه حاسية يوجدها نقر مادة اتر (الأثير) المالئة للفضاء على عصب البصر .

فالمتفق عليه فى المذهبين معا ان الفضاء ممتل من مادة سيالة شفافة نورية مواجة متحركة بسرعة كذا آلاف ميل فى الثانية . وهذا هو عين ما نقصده فانه يحصل منه المشابهة الظاهرة بين البحار وبين المجارى المتوسطة .

(ومنها) ان الكرات السيارة لابد لكل منها من ظل طويل مهيل يحدث خلفه بسبب مواجهة الشمس مع نصف منها ، فيكون كل من السيارات

الكبار والصغار شبيها بسمكة طويلة رأسها جرم الكرة البيضوية والبدن ظلها المخروطى المستطيل المشبك ظواهر سطحه باختلاط الضياء والظلام كما مضى فى شكل (٤) .

ولنا فى هذا المقام شرح فى مسألة الفلك أيضا ، فلا يخال الانسان إذا صادف هذه الاشباح فى الفضاء إلا انها صور حيتان عظيمة تسبح سبحا سريعا ، وربما كان ذلك معنى ما ورد فى الشريعة من خلق الأرض على الحوت ، أى على شكل الحوت من هذه الجهة ، حيث ان جرم الأرض يتبعه ظل مخروطى على شكل الحوت ، فاذا ظهر التشابه بين سيارات الفضاء وبين حيتان البحار قويت المشابهة بين الحصص الفضائية وبين البحار أيضاً .

ولعل اعتبار هذه النكتة دعى إلى التعبير عن سير النجوم بالسباحة فى شرعنا المقدس كما قال تعالى : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ (١) وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « ومن تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك » .

(ومنها) زيادة الطول العظيم فى هذه المجارى المتوسطة على عرضها وعمقها بسبب استدارة مداراتها الاهليلجية ، كما نجد نظير ذلك فى البحار الارضية .

* * *

إذا صح وساغ اطلاق اسم البحار على المجارى المتوسطة بهذه الوجوه وأمثالها فاستمع لما نتلوه عليك من الشواهد الشرعية التى تشير الى ان المراد من البحار السماوية المذكورة فى الشرع الاقدس هو تلك المجارى المتوسطة بين المدارات :

(الشاهد الاول) ـ فى الكافى ومن لا يحضره الفقيه وتفسير القمى

(١) سورة يس آية ٤٠ .

بالاسناد القوى الى الامام الرابع على بن الحسين - عليهما السلام - انه قال : « ان من آيات الله التى قدرها للناس مما يحتاجون اليه البحر الذى خلقه الله بين السماء والارض وان الله قدر فيه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب... »

(الشاهد الثانى) - ما ورد فى روايات متعددة « ان فى السماوات بحاراً من نور يتلألأ أنوارها » وقد ذكرنا امتلاء الفضاء المتوسط بين المدارات من المادة النورية الشمسية ، فأى نور أقوى منها فى النظر ؟ ولا ريب فى ان انطباق هذا المضمون على ما ذكرناه أنسب من غيره .

(الشاهد الثالث) - روى الحكيم الآلهى الشهير المولى صدر الدين الشيرازى المتوفى سنة ١٠٥٠ فى كتاب المبدأ والمعاد عن كعب انه قال : « خلق الله تعالى سبعة أبحر بحر اسمه قيس من ورائه بحر اسمه الاصم » الى أن عد سبعة أبحر وسماها ثم قال : « ومن ورائه بحر اسمه الباكى وهو آخر البحار ومحيط بالكل ، وكل واحد من هذه البحار محيط بالذى تقدمه » .

وفى هذا الخبر وان لم نجد تصريحا بأن هذه البحار فى الأرض أو فى السماء إلا ان العلم بانتفائها فى الارض - بعد تسليم النقل - مرجح كونها فى السماوات ، فينطبق على ما أيدناه من جهة احاطة كل بحر بسابقه حتى ينتهى الى البحر المحيط بالكل ، كما هو ترتيب مجارى السيارات .

(الشاهد الرابع) - تحديد أعماق هذه البحار بمسيرة خمسمائة سنة كما فى رواية التوحيد للصدوق والبحار للمجلسى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : « ان فى السماوات السبعة بحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام » وسيتلى غيرها أيضا . وقد وردت هذه المسافة بعينها فى تحديد ما بين الارضين السبع وكذلك فى تحديد ما بين السماوات السبع كما سيأتى .

فينتج الجمع بين هذه الاخبار ان البحار هى المجارى المتوسطة بين السيارات

والرجوع الى رسالة (جبل قاف) نافع كثيراً لهذا المقام .

* * *

ثم من بعد ماسقته اليك لا يصعب عليك تطبيق هذه المقالة المعنونة على النظام الجديد ، فقوله : « ان الله تعالى خلق من وراء أرضنا بحراً محيطاً بها » يعنى المجرى المتوسط بين أرضنا وأرض زهرة أو أرض مريخ « ثم خلق من وراء ذلك » يعنى من بعده « جبلا » يعنى هيكلا مخروطياً أشبه الأشياء بالجبل العظيم وهو ظل الأرض .

قوله : « يقال له ق » يعنى قد اشتهر وصفه بين أولى الاسرار بأنه قاف لنور سطح الارض ، من قفا يقفو ، ومعناه اتباع الآثار وظل الارض أيضاً تابع فى مسيره لسير نور الشمس الساطع على وجه الارض المتحرك الذائب دائماً

قوله : « السماء الدنيا » وهى عند المتقدمين فلك القمر وعندنا ماسنذكره فى مسألة ترتيب السماوات « مترفرفة عليه » أى منبسطة عليه كانبساط الطير المترفرف على الهواء .

ومعلوم انبساط السماء الدنيا فى كلا القولين على مخروط ظل الارض الملقب بجبل قاف ، وقد ورد فى حديث آخر : « ان قاف جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفا السماء » أى طرفا السماء .

ولا ريب فى أن قوساً نوعياً من فلك القمر طرفاه على مخروط ظل الارض دائما ، وهو القوس الذى ينخسف فيه قرص القمر عند استقراره فيه .

* * *

(تنبيه) جميع قضايا هذه الرواية خاضعة لترتيبنا فى فهم الهيئة الشرعية ومنطبقة عليه كما يظهر لمن تدبر وانصف ، إلا قضية واحدة وهى قوله : « ثم خلق من وراء ذلك الجبل » يعنى مخروط ظل أرضنا « أرضا مثل تلك الارض

سبع مرات ، فان ظاهر الكلام يومى الى كرة زهرة لو جعلنا أرضنا مبدأ لترتيب السيارات ، كما عليه مساغ أغلب الروايات أو الى كرة المريخ .

وكيف كان فالظاهر من الرواية ان إحدى الكرتين أعظم وأكبر من كرة أرضنا سبع مرات والمبرهن فى الهيئة الجديدة خلافه كما مضى فى أواخر المقدمة السادسة ، فلو تمت التحديدات لزم توجيه ظاهر الخبر الى معنى جائز مناسب له بعد تسليم السند ، مثل أن نقول : ان سبع مرات بيان وقيد للخلق لا للمثل ، والأصل انه سبع مرات خلق بعد ظل أرضنا أرضاً ، فيكون ذلك إشارة إجمالية الى خلق سبع أراضى مثل أرضنا بعد مخروط ظل أرضنا. أو نقول : ان وجه الشبه بين أرضنا والتى خلفنا مجمل إذ لم يبين فى الكلام ، فلا تثبت المنافات إذ ليس فى الخبر ان الله تعالى خلق بعد أرضنا أرضاً مثلها سبع مرات فى الحجم أو فى الوزن أو فى النور أو فى الحر أو فى البرد أو فى سرعة الحركة أو فى كثرة المخلوقات أو فى سائر المتعلقات ، فيبقى كل ذلك سائغ الاحتمال

المقالة العاشرة

فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس انه قال : دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن فى المسجد حلق حلق فقال لنا : فيم أنتم ؟ فقلنا : نتفكر فى الشمس الى أن قال : فقال ﷺ : « ان من وراء قاف سبع بحار كل بحر خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين يضىء نورها لأهلها ، ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة » .

أقول : مضامين هذه الرواية منطبقة على تحقيقاتنا السابقة فى جبل قاف والبحار السبعة والأرضين السبع ، كما هى منطبقة على الآراء الجديدة من تعدد الارضين حول شمسنا ، وان فى كل أرض أهل ومخلوقات حية ، ومن وراء

أراضى شمسنا عوالم أخر ونظامات شمسية مشتملة على خلق وأمم من جنس أبناء آدم ، كما قال ﷺ : « سبعين ألف أمة » بل وأكثر من ذلك بكثير .

وقوله (ص) فى شأن الأرضين السبع : « يضىء نورها لأهلها » يعطى بظاهره ان أهاليها يستضيئون من أنوار الأرضين ، وهو خلاف التحقيقات الجديدة(١) ولكن ألفاظ الرواية تقبل التوجيه بأن المراد إضاءة كل أرض لأهل كل أرض وهو التحقيق ، فأرضنا مثلا تضىء لأهل زهرة والبقية ، وأرض زهرة تضىء لأهل أرضنا والبقية ، وأراضى البقية تضىء لأهل أرضنا ولأهل زهرة . أو يكون اسم النور كناية عن الشمس وذلك

(١) لم يختص هذا التحقيق بالهيئة الجديدة وإنما كان موجوداً عند القدماء من علماء الهيئة أيضاً . ويمكن أن يوجه الخبر بتوجيه آخر ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث الشريف ، وهو ان النور على رأى الجمهور يضىء عندما ينعكس على جسم كثيف ، فمثلا نحس بضوء نور الشمس عندما ينعكس على الارض وغيرها من سائر الكواكب ، وعلى هذا لما كانت الكرة الارضية تضىء بواسطة إشراق نور الشمس عليها امكننا القول بأن أهل الارض يستضيئون من نور الارض نفسها ، وهكذا القول فى سائر الكرات . .

هذا إذا لم نقل بأن المراد إنارة كل كرة من نفسها فى نظر ساكنى تلك الكرة بلا كسب نور من الشمس ، فحينئذ لابد وان نوجه الخبر كما وجهه المصنف فقط ، لأن الارض فى نظر ساكنى الارض ليست بمضيئة ، بل المضىء فى نظر أهل كل كرة الكرات الاخرى غير تلك الكرة التى يسكنون عليها ، ولكن ظاهر قوله (ع) : « يضىء نورها » ينطبق على الاضاءة التى اخترناها نحن ، وهو ان الاضاءة الكسبية لكل كرة مختصة بأهل تلك الكرة فقط - (ف) .

أمر شائع ، والمعنى ان شمسها يعني شمس تلك الاراضي وهي شمسنا تضيء لاهلها وفي بعض نسخ البحار « يضيء نورنا لاهلها » كما جاء أيضاً في حديث القباب « ان مخلوقاتها يستضيئون بنورنا » فيتجه ظاهر الخبر بلا كناية ولا عناية بل يفيد معنى مستحدثا ، فان قوله (ص) : « يضيء نورنا لاهلها » يدل بظاهره على ان أرضنا هذه مضيئة لاهل زهرة وأخواتها كما ان زهرة تضيء لاخواتها فتكون أرضنا أيضاً نجمة مضيئة في الفضاء كسائر السيارات .

المقالة الحادية عشر

في بحار الانوار وكامل الزيارة للحافظ جعفر بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٨ هـ مسنداً عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في جملة كلام طويل له يقول فيه : « وما من ليلة تأتي علينا إلا وأخبار كل أرض عندنا وما يحدث فيها ، وما من أرض من ستة أرضين الى سبعة إلا ونحن نؤتى بخبرهم » (١) .

أقول : انظر الى الارتباط الروحاني والاتصال الرباني بحقائق الاشياء وأسرار العوالم كيف يكشف للكامل ماخفي على غيره ، حتى يعلم مافي الارضين السبع قبل اختراع النظارات وباقي الآلات بقرون عديدة ويطلع على حوادثها

(١) وروى هذا الحديث أيضاً في معالم الزلفى في الباب ٢٧ من الجملة الثالثة ، وزاد عليه ، ان عبدالله بن بكير الارجاني الراوي قال : فقلت له عليه السلام : جعلت فداك أين منتهى هذا الجبل ؟ قال : الى الارض السادسة فيها جهنم.

أقول : ان أراد بها طبقات أرضنا فيشير الى حرارة أرضنا ، وإن أراد بها أرض المريخ أو المشترى فالجبل إشارة الى جبل قاف - أعني ظل أرضنا - فانه ينتهي الى نواحي كرة المريخ ، وهي الخامسة من الاراضي الشمسية

وأخبارها اطلاعا كاملا يعجز عن عشير معشارها اكمل الادوات الجديدة التى عملت باتقان .

المقالة الثانية عشر

فى تفسير الفاضل النيسابورى وبحار الانوار والدر المنثور نقلا عن سبعة كتب أو اكثر عن النبى ﷺ : « ان الأرضين السبع ما بين كل أرض منها والارض الاخرى مسيرة خمسمائة عام » وسيأتى هذا الخبر وأسانيده فى ترتيب السماوات ، وانطباق هذه الاراضى على السيارات واضح لا غبار عليه

المقالة الثالثة عشر

ما فى خبر ابن سلام (١) المروى فى البحار وغيره كما سيأتى اسناده انه سأل النبى ﷺ عما تحت الجبل ؟ فقال ﷺ : أرض . قال : وما اسمها ؟ قال : الجارية . قال : وما تحتها ؟ قال : بحر . قال : وما اسمه ؟ قال : سهسك . قال : صدقت يا محمد فما تحت ذلك البحر ؟ قال : أرض . قال : وما اسمها ؟ قال : ناعمة . قال : وما تحتها ؟ قال : بحر قال : وما اسمه ؟ قال : الزاخر . قال : وما تحته ؟ قال : أرض . قال : وما اسمها ؟ قال الفسيحة . قال : فصف لى هذه الارض قال : يابن سلام هى أرض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعفران ..

* * *

وقد استفدت بالهام الله تعالى من ألفاظ هذا الخبر أموراً خفية افشتها

(١) ان مسائل عبدالله بن سلام مشهورة عند المحدثين من صدر الاسلام وأشار اليها البخارى فى صحيحه ، ولكن الغمز يلحق ببعض سؤالاته

لنا كشفيات المتأخرين ، واليك تلك الأمور :

(منها) تعدد الأرضين، كما هو ظاهر من الخبر ، وليس فى الاقتصار على الثلاثة دلالة على الانحصار فيها ، فان السائل لم يسأل بعد الثالثة عما تحتها فلو استزاد لزاده النبى الأمى ﷺ .

(ومنها) تحرك أرضنا ، فان السائل سأل عما تحت الجبل ، أى مطلق الجبل ، فقال (ص) : « أرض اسمها الجارية » وكثيراً ما يراد من الاسم السمة والصفة اللازمة كما قال على (ع) : « ان اسم السماء الدنيا رفيعة » أى سمتها الظاهرة وصفتها اللازمة (١) فأشار النبى (ص) فى هـــذا الخبر الى ان صفة أرضنا وسمتها الجارية ، أي انها تجرى فى الفضاء وتسير الى يوم المصير(٢)

(ومنها) انطباق أوصاف هذه الاراضى الثلاث على أرضنا والمريخ مع المشترى حسب ترتيب مداراتهم إذ جعلها تحتنا ، فان أنسب أحوالنا الى الاعتبار حال مواجهتنا مع الشمس ، مضافا الى صدور الكلام فى النهار ، فيقع مدار المريخ والمشترى تحتنا وتحت أرضنا ، فقوله ﷺ : « ان تحت الجبل أرض » أى تحت طبيعة الجبل وجنسه أو الجبل المعهود بينه وبين السائل ، وقوله ﷺ : « اسمها الجارية » أى صفتها اللازمة وسمتها هى الجريان فى الفضاء وسأذكر فى مسألة عدد السيارات خبراً فيه تسمية أرضنا بالجريان .

---

(١) هذا التفسير مبنى على أن نقرأ (رفيعة) بالفاء وأما على قراءة بعضهم (رقيعة) بالقاف فمعناه القماش الذى عليه النقوش ، وهذا اسم السماء بالعبرانية كما ورد فى التوراة (ف) .

(٢) قال نور الله : ويؤيده أن الجبل والأرض كلما اجتمعا فى اللفظ افترقا فى المعنى وصار أحدهما بمعنى الصخر والآخر بمعنى التراب ، واطلاقه هنا باعتبار غلبة الأجزاء الترابية أو كونها تحت الطبقة الصخرية .

وانما خص النبي ﷺ أرضنا بالجريان مع انه صفة لباقي الأراضي أيضاً ، لاظهار ثبوت هذه الصفة المجهول ثبوتها فى أرضنا المعلوم ثبوتها فى البقية .

وقوله ﷺ : « وتحتها بحر » أى مجرى وسيع مستطيل عميق ممتلىء من جوهر سيال مواج كما حققناه فى المقالة التاسعة .

وقوله ﷺ : « وتحت ذلك البحر أرض » أظنها المريخ ، وقد سبق تصحيح اطلاق اسم الارض على السيارات .

وقوله (ص) : « اسمها الناعمة » أى سمتها وصفتها النعومة ، وفى القاموس وغيره اطلاق الناعمة على الروضة والأرض الكثير عشبها وخضرها وكذلك كرة المريخ بناءاً على الاستكشافات الأخيرة ، فقد قالوا بغلبة الماء على ثلث كرة المريخ فقط لا ثلثى الكرة كما فى أرضنا ، فوجه الأرض من المريخ اكثر ظهوراً ونظارة بالخضرة والاعشاب الناجمة فيه من وجه أرضنا مع اعتدال الحر والبرد هنالك كما ذكرنا . ولون النبات فى كرة المريخ مائل الى الحمرة كما يميل فى أرضنا الى الخضرة ، ولأجل ذلك ترى نجمة المريخ حمراء فى الأنظار والنظارات . وعلى هذا فنعومة أرضها بكثرة الأعشاب والخضرة أمر اكثر اختصاصاً بها من غيرها ، فيكون أليق أوصافها وأسمائها بالذكر اسم (الناعمة) .

وقوله (ص) : « وتحتها بحر » كأنما أجرى كلامه فى البحار السماوية على نحو ما حققناه فى المقالة التاسعة ، بل لو تصفحت الأخبار الناطقة بالبحار السماوية وجدت اكثرها بل جميعها منطبقة على التحقيق المذكور .

وقوله (ص) : « وتحت ذلك البحر أرض » أظنها كرة المشترى ، كما يظهر من تطبيق الأوصاف عليها لقوله (ص) : « اسمها الفسيحة » لأن

فسحة هذه الكرة وسعة سطحها أكثر من سعة جميع الأراضى السيارة ، إذ هى اكبر حجماً من كرة أرضنا بألف وأربعمائة مرة تقريباً كما مر ، فيكون أليق سماتها وصفاتها بالذكر اسم الفسيحة .

وقوله (ص) : « هى أرض بيضاء كالشمس » أظن الوجه فى تشبيهها بالشمس هو دوام الضوء والنور على قرصها ، فان أرضنا وأكثر الأراضى السيارة وجميع الاقمار الدوارة قد يزول من وجه قرصها النور بسبب حيلولة جسم ظلمانى بينها وبين ماتستضيء منه إلا الشمس ، فان وجه قرصها دائم النور ولا يزول عنه الضوء ، لأن قرص الشمس هو منشأ الأنوار ، وكذلك كرة المشترى فانها أيضاً لا يزول النور من صفاح وجوهها أبداً لكونها محفوفة بأقمار تسعة تدور حولها بسرعة دائمة . مضافاً الى قصر لياليها واستضاءة نصف منها بالشمس ، وأن زحل ترى فى المشترى كالقمر فى أرضنا وغير ذلك .

وقوله (ص) : « وضوؤها كالقمر » أظن الوجه فى تشبيهها بالقمر بعد تشبيه بياضها بالشمس هو جهة اكتسابها النور من الشمس ، أى كما ان ضوء القمر مستفاد من الشمس بالاتفاق كذلك ضوء أرض المشترى مستفاد من الشمس أيضاً وفاقاللهيئة الجديدة . وقد أتى بهذه الجملة بعد قوله : « بيضاء كالشمس » لئلا يتوهم انها كالشمس من جهة كونها نورانية بذاتها مضيئة بنفسها فأشار (ص) الى انها كالقمر وباقى السيارات التى نورها مكتسب من الشمس .

وقوله (ص) : « ونباتها كالزعفران » فان إسقاط وجه التشبيه فيه أورث إجمالا فى المقام فلا نعرف المراد منه عيناً وأن نبات أرض المشترى كالزعفران طبعاً أو شكلا أو لوناً أو رائحة ، فكما أن لون النبات فى المريخ يميل إلى الحمرة نوعا ماوفى أرضنا إلى الخضرة كذلك فى أرض المشترى يجوز

ان يميل الى صفرة زعفرانية كما حكى عن فلاسفة العصر ، فيجوز أن يكون قوله (ص) : « ونباتها كالزعفران » إشارة الى ذلك ، أى بحسب اللون (١)

وذكر بعض فلاسفتهم ان النبات والشجر كثير فى المشترى لاعتدال حره ، وان أشجارها اكبر من أشجارنا نوعاً على نسبة عظمة المشترى بالقياس الى أرضنا . فلو صح هذا الكلام جاز أن نحمل عليه الحديث الصحيح الذى رواه القمى فى تفسيره عن النبى ﷺ أنه رأى فى محل سدرة المنتهى ان الورقة منها تظل أمة من الأمم .

* * *

ويناسب المقام ذكر ما قاله الفلاسفة فى اللون والنباتات المتكونة فى أراضى السيارات :

قال فى تقويم المؤيد الأغر لسنة ١٣١٩ هجـ : فى (زحل) لون النبات رصاصى ، وفى (المشترى) البياض المشوب بصفرة وسمرة ، وفى (المريخ) الحمرة ،وفى (زهرة) البياض الناصع ، وفى (عطارد) المركب من لونين ...

ولا يخفى ان هذا موافق لما ذكرته فى شرح هذا الخبر .

وفى هذا الخبر القدسى كشف لأسرار عظيمة نشرت بعضها فى هذا الكتاب ، وسوف انشر البقية فى غيره انشاء الله تعالى .

المقالة الرابعة عشر

فى البحار عن المثنى الحناط قال : سألت الامام السادس جعفر بن محمد

(١) ويؤيد هذا ما ورد فى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام : « ان اسم السماء الخامسة (هيفوف) وهى على لون الذهب ، وأنت تعلم ان ترتيبنا المختار فى السيارات يقتضى أن تكون كرة المشترى سماءاً خامسة .

الصادق عليه السلام عن السماوات ؟ فقال عليه السلام : « سبع سماوات ليس منها سماء إلا وفيها خلق ، وبينها وبين الاخرى خلق حتى ينتهى الى السابعة » قال : قلت : والارض ؟ فقال عليه السلام : « سبع منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب واثنتان هواء ليس فيها شيء » .

يقول المصنف هبة الدين : لقد وجدت هذه الرواية بألفاظها فى أصل المثنى الحناط (صاحب الامام الصادق) فى مكتبة شيخنا المحدث النورى نور الله تربته وسنذكر انشاء الله تعالى ترتيب السماوات وحقيقتها واشتمالها على الخلق .

وقوله عليه السلام : « اثنتان ليس فيهما شيء » يجوز حملها على أرض عطارد وأرانوس ، فان الظن بخلوهما عن الحيوانات أقوى فيما بين القوم ، ولكن الأخبار فى وجود الخلق الحيوى لاسيما من النوع البشرى كثيرة جداً وسوف يأتى ذكرها ، فاما ان يحمل هذا الاختلاف على اختلاف الاوقات وان الاثنين كانت خلية عن الخلق الحيوى فى عصر ثم وجد فيها لاحقاً أو كان موجوداً فيهما سابقاً ، أو يحمل على اختلاف حقائق المخلوقات ، أو ان النفى ناظر الى جنس منها والاثبات ناظر الى جنس آخر - فتدبر .

المقالة الخامسة عشر

فى بصائر الدرجات ج ٨ باب ١٥ بعدة طرق مختلفة واختصاص المفيد واكمال الدين للصدوق ومنتخب الاختصاص بأربعة طرق والبحار بالأسانيد عن الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام فى وصف الامام المنتظر القائم من آل محمد عليهم السلام انه قال فيما قال : « أما انه سيركب السحاب ويرقى فى الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع خمس عوامر واثنتان خرباوان » .

أقول : دلالة هذه الرواية على تعدد الأرضين واشتمالها على النوع البشرى

واضحة ، لحكمه ﷺ بعمران خمس منها ، والعمران لا يكون إلا من أعمال الانسان .

واحتمل أن يكون قوله ﷺ : « واثنتان خرباوان » إشارة الى خلو أرض عطارد وأرانوس كما مر ، أو خلو أرض فلكان ونبتون ، فان افراط الحر فى فلكان من فرط قربه للشمس وكذا افراط البرد فى نبتون من فرط بعده عن الشمس مستوجب لعدم صلاحيتهما ونفى قابليتهما لسكنى الانسان والحيوان كما سيأتى بيانه .

وأما قوله ﷺ : « ويرقى فى الأسباب » فاحتمل أن يكون إشارة الى تكميل الأسباب السماوية الناقصة فى عصرنا ، ومن مثل المناطيد والطيارات وبقية المراكب الهوائية التى ترقى بالانسان وتصعد به بمعونة البخار أو الاجنحة أو غيرها الى السماء ، فلربما تتكامل هذه الاسباب والمراكب الى عصر المهدى القائم الموعود بحيث تنزح بالركاب من كرتنا الى باقى الكرات السامية .

ألا تذكر عجز الانسان عن صعودهم الى الهواء بمقدار باع بل ذراع حتى كانوا يمثلون للأمر المستحيل بالطيران فى الهواء ، ثم اقتدروا من ترقى العلوم وتربية الأفكار الى أن صعدوا فى المراكب الهوائية أعالى الهواء ورفعوا بها المدافع والأثقال سائرة بهم فوق السحب والجبال بمآت الاميال .

وخاصة العصر الحاضر الملىء بالكشفيات والصنائع الجديدة التى تحير العقول من عظمتها ومتانة صنعها ودقة تنظيمها ، هذه الصواريخ تبشرنا بقرب وصولنا الى كرة القمر ، وهذه الصنائع الجديدة الهوائية تضع أمامنا الوسائل للصعود الى الكواكب التى لم نصدق أن يأتى يوم نحلم بالصعود اليها . أليست هذه الاقمار الصناعية مما يقرب الينا ما نقرأه فى هذا الحديث الشريف من الرقى فى السماء وقطع المسافات البعيدة فى هذا الفضاء الواسع الممتلىء بالعجائب والآيات

فلا تستبعد حصول ما نظنه مستحيلا فلربما يأتى يوم تتهيأ لك آلة تعرج بك من كرتنا الهوائية فتجول فى بيداء الفضاء بعد تكميل سائر المقدمات والمبادىء وإزالة جملة الموانع العائقة فى طريقك فتستعد حينذاك للهاجرة الى الكرات السامية والمعاشرة مع أهاليها وساكنيها ، كما يحدثنا به القرآن الكريم : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ (١) .

ولهذا يمكن أن ترتقى العلوم عند سكنة هاتيك الكرات فينزلون الينا بأسبابهم ونتعلم منهم الصعود اليهم والسفر الى كراتهم . فكل هذه الاشياء جائز مظنون وتحظى بها النفوس القابلة .

ولو اشتريت الآن عمرى بيوم من تلك الأيام السعيدة لبعتك العمر كله رابحاً مستبشراً ، ولكن حدث عن الاعمار والهمم واستعداد قومنا وبلادنا ، فانك لا تجد فيهم أو فيها حتى الآن مبادىء من آثار التمدن الذى كاد العالمون أن يبلغوا منتهاه ، وحسبك انا نسمع بالتلسكوب والنظارات التى تريك جبال القمر ولم نرها فى بلادنا قط .

وخلاصة ماقدمته أن ترقى الأسباب السماوية بحيث تحمل المسافرين الى الأراضى السيارة فى الأزمنة الآتية أمر ظاهر مظنون ، فيجوز أن نحمل عليه قوله عليه السلام فى وصف القائم المنتظر - عجل الله تعالى فرجه - : « أما انه سيركب السحاب ويرتقى فى الأسباب أسباب السماوات السبع » .

أما ركوب السحب بمعنى السير فوق ظهورها والعلو عليها ميسور بحمد الله تعالى فى هذا العصر أيضاً بواسطة الطيارات والمراكب الهوائية .

وقد يكون ارتقاء المهدى عليه السلام فى الأسباب إشارة الى دخول العالم فى طور جديد من العمران والمدنية هى أرقى من عصر خطاب الامام الباقر عليه السلام

(١) سورة الحجر آية ١٤ .

بما لا يقاس ولا يحصر ولا يخطر على قلب بشر من التفنن فى وسائل الحياة وتكامل الصنائع والحاجات ، كما أشار الى ذلك أمير المؤمنين على عليه السلام فى إحدى خطب نهج البلاغة التى هى فى صفة القائم من آل محمد (ص) حيث يقول : « فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون» يعنى من ظهور القائم من آل محمد (ص) باتفاق الشارحين .

فبفارغ الصبر نأمل قرب ظهور المصلح المنتظر المهدى الموعود عند تكامل الصنائع وارتقاء أسباب السماوات على ما مر، وارتقاء أسباب الارضين من صنوف نواقل البرق والبخار والذرة وغيرها مما لا نعلم بها الآن، كما كانت الصنائع الحالية غير معلومة لمن قبلنا بل كانت غير معقولة فى صدر الاسلام وعند المسلمين الاولين .

كان الاولون من أسلافنا يتلون فى كتاب ربهم : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ﴾(١) ثم لم يكن فى علمهم وحسبانهم ما نحسه اليوم من الدوارج والبوارج ، فعسى أن يحس أبناؤنا مالا نحسبه اليوم ولا نتفكر فيه أبداً . والمستقبل كشاف والليل حبلى فما يدريك ما تلد .

واستوفيت المقال فى هذا المجال فى تصنيفى (الشريعة والطبيعة) و(مظاهر الطبيعة من ظواهر الشريعة) .

---

(١) سورة النحل آية ٧-٨ .

(المسألة الخامسة)

(ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة ؟)

ان المقالات المتواترة فى الشريعة الاسلامية - على صاحبها التحية والسلام - قد وجدناها تعد الارضين سبعة ، وذلك ترتيب غريب لا يستقيم على النظام الجديد ولا القديم ، إذ السيارات فى الهيئة الجديدة تسعة وفى الهيئة القديمة وان كانت سبعة لكنها ليست عندهم بنحو يصدق على شىء منها الارض ولا يعدون أرضنا منها مع كونها الارض الحقيقية المسلمة ، مضافا الى ادخالهم جرم الشمس فى عداد السيارات مع انها ليست بأرض اتفاقا ، فما وجه حصر الارضين والسماوات فى السبعة والسكوت عن فلكان ونبتون ؟

(الجواب)

لما كانت هذه المسألة المعضلة منحلة الى سؤالين أوردنا الجواب عنها فى مقامين : أحدهما ان الشرع الاسلامى هل حصر الارضين فى السبع أولا ؟ وثانيهما انه هل سكت عن أرض فلكان ونبتون أولا ؟

المقام الاول

ان الغالب فى كلمات شرعنا الاقدس وان كان تعدد الارضين وان السماوات سبعة لكن العدد قد لا يفهم منه نفى الزائد ، وموارده كثيرة فى لغة

العرب . مضافا الى تصريحات الأئمة المعصومين عليهم السلام لبعض الاخصاء من أصحابهم بأن الأرضين أكثر من السبع كما سيأتى فى أخبارهم عن فلكان ونبتون وتقدم فى مسألة تعدد الارضين فى المقالة السادسة انها تقرب من ثلاثمائة، وفى بعض الاخبار انها أربعون ، وستسمع أمثال هذه الاخبار فى مسألة تعدد العوالم

وإنما كان الشائع فى ألفاظهم هو ان الارضين سبعة باسقاط فلكان ونبتون لان السبعة من السيارات كانت مرئية بالابصار المعتدلة حتى عند المتقدمين ، ولكنهم لم يتفطنوا بسير بعض منها . وتلك السبعة هى : أرضنا ، وزهرة ، وعطارد ، والمريخ ، والمشترى ، وزحل ، وأرانوس .

انهم يقولون : ان ارانوس مبصر ولكنه صغير كنجم من القدر الخامس من الانجم المبصرة مثل نجمة سهى بل أنور منها ، فالناظرون الى السماء كانوا يرون نجمة أرانوس قديماً وحديثاً ولكنهم لم يشعروا بكونها سيارة كسائر السيارات ، إما لبطء مسيرها أو لخفاء نورها أو لغير ذلك .

وأما (فلكان) و (نبتون) فمن غاية قرب الاول من الشمس وكثرة بعد الثانى عنها لم يكن أحد وقتاما يتمكن من رؤيتها بالبصر المجرد أبداً ، وإنما يدركان فى عصرنا الحاضر بالابصار المسلحة بأكمل النظارات القوية كما لا يخفى.

فاذا كانت السيارات المرئية أعنى التى يبصرها الناس سبعة وثبت ان فلكان ونبتون لا يراهما أحد بالبصر المجرد فأقول : المظنون لدى هوان شرعنا الاطهر جعل مدار كلامه فى السيارات مع عامة الناس على ما هو المرئى والصالح للرؤية لا على الممتنع إبصاره فى تلك العصور ، فتلك الارضين السبع السيارة لما كانت صالحة للرؤية اعتبرها الشارع فى شائع كلماته ، وأما فلكان ونبتون ونحوهما فاذ كانت غير صالحة لان يراها أحد لم يتوجه الكلام الشائع اليها فى شريعتنا ، بل ألقى ذكرهما الى الخواص بضرب من الاشارة كما سيتلى .

أما ذكر السماوات السبعة فلأنها ملحوظة بالنظر الى الأرضين ، على ما سيأتى ان شرعنا القدسى قد عين لكل أرض سماءاً يختص بها .

هذا ، مع انه احتفل المقام أمراً آخر وهو ان السماوات - على ما سيجىء تحقيقه الشرعى - هى الكرات البخارية المحيطة بالكرة الهوائية من كل أرض والكرة البخارية لا تحدث إلا بشرطين :

(الأول) - ارتفاع الحرارة والأجزاء النارية من الجسم الارضى .

(الثانى) - كثرة الرطوبات والاجزاء المائية .

ووجود هذين الشرطين فى السيارات السبعة المبصرة قريب الاحتمال جداً ، ولذلك ادعى القوم رؤية الكرة البخارية فى السبعة المبصرة فقط ، وسنذكر تصريحاتهم فى المسألة الثانية عشر ، وأما السيارتان المستورتان فلكان ونبتون فبعيد وجود الشرطين السابقين فيهما ، فان فلكان من غاية قربها من حرارة الشمس لا تبقى رطوبة فيها عادة حتى يظهر فيها البخار ، كما ان نبتون من كثرة بعده عن الشمس لا تكون فيه حرارة عادة حتى ينهض البخار فيه ، إذ قدر القوم حرارة شمسنا فى كرة نبتون بأقل مما فى أرضنا بأكثر من تسعمائة مرة .

ولا يذهب عنك ان الظن يستقرب هذه المعانى فلا تحسبها مبادىء يقينية (والحق أدرى بالذى خلق) .

المقام الثاني

هل ان شرعنا الأقدس أخبر عن السيارتين المستورتين فلكان ونبتون أو لم يخبر حيث كانت المصلحة فى سكوته ؟

ومعلوم ان الاخبار عن مثل هذه الاشياء إنما هو بالاخبار عن أوصافها المنطبقة عليها لا بأساميها الاروباوية المستحدثة .

نقول فى هذا المقام : اذا نجد الشريعة الاسلامية تخبر عن أرضين مستورتين وعن أوصاف خاصة بهما منطبقة على أرض نبتون وفلكان :

أما (نبتون) المكتشف وجوده سنة ١٢٦٤هـ - ١٨٤٦ م فينظر اليه - حسبما أظن - الخبر المروى فى البحار ومعانى الاخبار وغيرهما بالاسناد القوى عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (ع) انه حينما سألوه عن معنى الافق المبين ؟ قال (ع) : « قاع بين يدى العرش فيها انهار تطرد » .

أقول : القاع فى اللغة بمعنى الارض ، والطرد بمعنى الجريان ، ومخالفة هذا الحديث مع مبانى النظام القديم واضحة كجواز انطباقه على كرة نبتون ، فان العرش فى اللغة السقف وفى لسان الشرع - على ماسنحققه فى مسألة تعدد العوالم - هو منتهى عوالم الأجرام والاجسام من كل جهة ، كما ان اسم الكرسى فى شرعنا القدسى محمول على المحدد لافلاك سياراتنا والمفروض نهاية لعالم شمسنا ، فيجوز أن تكون الارض الشاخصة بين يدى العرش من دون سائر الاراضى السيارة هى (نبتون) ، فانها بحسب الظاهر كبواب لادارتنا الشمسية وآخر سيار فى نظامنا يتمثل بين يدى عالم الثوابت وربما يكون فى التعبير عنها بالافق نوع اشارة الى حيطة مدارها بسائر اجرامنا ومداراتنا ، مثل احاطة الافق بأجرام الارض .

* * *

وأما (فلكان) المكتشف وجوده سنة ١٢٦٤ هـ ١٨٤٦ م فينظر اليه حسبما أظن الخبر المروى فى البحار والمناقب للحافظ الشيخ رجب البرسى المؤلف سنة ٨٠٠ هـ ومصباح الفاضل الكفعمى بالاسناد عن الامام السابع

موسى بن جعفر الكاظم (ع) عن آبائه المعصومين عن النبي (ص) انه قال له جبرئيل : « والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله » إلى ان قال : « ومسير الشمس فى بلادهم أربعون يوماً..» (١)

ومثل هذا الخبر ما رواه العلامة المجلسى فى بحار الانوار عن بعض المفسرين : « ان لله سبحانه وتعالى من وراء جبل قاف ارضاً بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس » .

وفى كتاب العوالم عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عن النبي (ص) انه قال له جبرئيل : « والذى بعثك بالحق نبياً إن خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله يعبدونه ولا يعصونه » .

وانطباق هذه المضامين على نجمة فلكان من جهة انها من شدة قربها من الشمس وقوة الاشعاع عليها أشد بياضاً من الفضة المجلوة .

وحسبك أن نجمة عطارد ينتهى بعدها عن الشمس إلى تسعة وعشرين درجة ، وقوة نور الشمس وحرها فى عطارد ثمانية أمثال نورها فى أرضنا ،

---

(١) وفى هذا الخبر إشارة الى سكون الشمس وتحرك الارضين حولها لان حركة الشمس فى النظام القديم حول الاراضى منظم لا يختلف حسب اختلافها ، فيكون بناءاً عليه مسير الشمس على سطح الجميع ٢٤ ساعة أو ٣٦٠ يوماً ولا يتجه اختلاف مسير الشمس على سطوح الارضين بحيث يكون فى البعض ٣٠ يوماً وفى البعض ٤٠ يوماً وفى البعض اكثر أو أقل ، إلا على النظام الجديد - أعنى سكون الشمس وحركة الارضين . ذكر ذلك بعض المعاصرين ، فتأمل فيه .

نعم ان الخبر بسبب إثباته أرضاً غير أرضنا ينبىء بفساد النظام البطلميوسى ، وفيه الكفاية .

ونجمة فلكان ينتهى غاية بعدها عن الشمس إلى سبع درجات ، فما ظنك بقوة نور الشمس فيها والحالة هذه !! ولاجل ذلك سماها الافرنج (فلكان) ، وهو عندهم اسم للجبل النارى ومعربه (بركان) .

والحاصل أن نجمة فلكان من غاية قربها من الشمس أشد بياضاً من كل جسم أبيض .

والجهة الاخرى المكملة لهذا التطبيق أن الطول فى كل أرض سيار إنما هو خطها الاستوائى - أعنى به دائرة الاستواء كما فى أرضنا - والشمس تواجه اجزاء دائرة الطول من كرة فلكان فى عشرين يوماً من أيام أرضنا فى السير السنوى لا المحورى ، فان فلكان سيار حول نفسه فى ثمانية عشر ساعة تقريباً وسيار حول الشمس سنوياً فى عشرين يوماً ، وعلى هذا يكون النهار فيه تسع ساعات والليل أيضاً تسع ساعات ، واطلاق اليوم على النهار سائغ بل شائع فى العرف ، فيصدق أن طول كرة فلكان مقدار مسيرة الشمس أربعين يوماً نهارياً بالسير السنوى لنجمة فلكان ، وأن ارضها بيضاء من شدة شعاع الشمس كبياض الفضة المجلوة ، وانها من وراء جبل قاف أى من بعد مخروط ظل الارض - كما تقدم - إن كان صدور الكلام فى الليل ، وانها خلف المغرب من جهة أرضنا حال كون الارض حذاء الطرف الشرقى من قرص الشمس - فتدبر .

* * *

ونظير هذه الاخبار ما رواه الحافظ السيوطى فى الدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة - والظاهر انه الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) - انه قال : قام ناس من اصحاب رسول الله (ص) يعنى احتراماً له ، فقصد النبى (ص) نحوهم فسكتوا ، فقال (ص) : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا الى الشمس فتفكرنا فيها من أين تجيء ومن أين تذهب وتفكرنا فى خلق الله تعالى ؟

فقال (ص) : « كذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله تعالى ، فان لله تعالى من وراء المغرب أرضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلق من خلق الله تعالى » .

وروى الغزالى فى باب التفكر من كتاب إحياء العلوم : أن النبى (ص) خرج على أصحابه وهم يتفكرون فقال : « تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فيه فان لله تعالى وراء المغرب أرضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة أربعين يوماً فيها خلق لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق » .

ورواه عنه تاج الدين ابن تقى الدين السبكى فى الجزء الرابع من طبقات الشافعية .

تتمة مهمة

فى توقع كشف جديد

قد تكرر فى بعض أخبار الأئمة الأطهار اشارات وبشارات بوجود أرض مستور عن الأبصار اكبر من أرضنا بكثير ، وهى :

١ - روى الحافظ فخر الدين الطريحى فى كتاب مجمع البحرين عن فخر الدين الرازى فى جواهر القرآن بسنده عن النبى ﷺ انه قال : « لله تعالى أرض بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً ، هى مثل الدنيا ثلاثون مرة » .

٢ - روى الشيخ الزاهد أبو الليث السمرقندى المتوفى سنة ٣٧٣ هجرية فى كتاب له وعندى نسخة منه عتيقة جداً يلوح من رسوم خطها وأوراقها انها مكتوبة قبل المائة الثامنة الهجرية وفيها ان رسول الله (ص) قال : « ان الله

تعالى خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثون مرة ، ومسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً محشوة خلقاً » .

٣ ـ روى فى كتاب البحار وبصائر الدرجات عن الامام السادس جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام انه قال: « أن من وراء أرضكم هذه أرضاً بيضاء ضوؤها منا ، فيها خلق يعبدون الله تعالى ولا يشركون به شيئاً » .

أقول : هذه الاخبار فى صدد الاعلام بوجود أرض سيارة مجهولة غير معلومة ، لكنها قابلة لأن تحمل على ارادة أرض فلكان كما استبان بشرط معالجة قوله : « هى مثل الدنيا ثلاثون مرة » . فان ظاهره كونها اكبر من أرضنا ثلاثين مرة ، والمعروف فى تحديد نجمة فلكان انها أصغر من أرضنا بكثير ، إلا ان يقال باشتباه الأمر عليهم فى تحديدهم ، كما اعتذر بعضهم بأنا حيثما لم نر لها قمراً ونحوه لم نعرف قدر جثتها ولا بعد مسافتها عنها .

وأيضاً يحتاج عندئذ قوله : « ومسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً » الى تصرف وتوجيه آخر .

وهذه الأخبار قابله أيضاً لان تحمل على ارادة أرض سيارة أخرى من داخل نظام شمسنا غير فلكان وغير نبتون ولو لم يشتهر اكتشافه ، إذ لا يقول أحد بامتناع وجود سيارة أخرى غير هذه التسعة ، وسنذكر فى مسألة اعداد السيارات جملة روايات يظهر منها ان النجوم السيارة إحدى عشر . بل يظهر منها أيضاً ان هذه السيارة الخفية حتى الآن موضعها وراء أفلاك النجيمات بل وراء نبتون ، فينبغى ان نرتجى كشفها إذا تكملت الآلات والنظارات بأكمل مما

هى عليها الآن (١) .

ولعمرى ان هذا السيار لو ظهر وانكشف فالأحرى ان يسموه (النجم المحمدى) ، فانه (ص) بينه وأوضح صفاته وموضعه منذ الف عام وقرون وأيام ، ولكن أين وأنى ذلك فان هذه التوفيقات لا يحظى بمثلها المسلمون من شدة تقاعدهم عن صرف الهمم وبرودة قلوبهم فى تحصيل الكمالات ، والافرنج وان كانوا الآن موفقين غير مقصرين إلا اننا نراهم يرمقون المسلمين بأنظار غير شفيقة يظهرون لنا غير ما يضمرونه علينا ، ونرى دعاتهم فى كل عصر ومصر يبذلون الجهد البليغ فى محو آثار هذه الشريعة السمحاء وتفريق جامعة هذا الدين المبين ، ونحن فى غفلة عنهم معرضين .

كيف نرجو منهم أن يضعوا وسامة نبينا (ص) على ذلك المستكشف المستحدث ؟ ان هذا شىء لم يعملوه إلا ان يتبدل الحال وترتقى همم الرجال .

دع نيران قلوبنا على لهباتها بين الضلوع ، وخل عن الآماق تموع كالشموس من ضعة المسلمين فتذرف بالدموع ، فان هذا هو العصر الذى أخبر عنه فى شرعنا : « ان قلب المؤمن ينماث فيه كما ينماث الملح فى الماء » والأمر بيد الله تعالى .

---

(١) اكتشف بعد تأليف هذا الكتاب سيارة (بلوتو) وصار بهذا الاكتشاف عدد السيارات عشرة ، ويمكن أن تكون هذه هى السيارة التى يتحدث عنها المؤلف فى هذا المقام (ف) .

«المسألة السادسة»

(فى حقيقة السماوات السبع والأرضين وترتيبهما)

يعتقد اكثر المسلمين فى السماوات السبع والأرضين السبع المذكورات فى شريعتهم انها هى افلاك السيارات التى أثبتها قدماء الحكماء والتزموا بأنها أجسام بسيطة شفافة كروية متلاصقة ، وغير ذلك من الصفات السابقة .

ونحن نجد الحكماء المتأخرين قد كشفوا بعد الألف من هجرة النبي (ص) غشاوة الجهل عن وجوه الجواهر العلوية وشرحوا لنا أحوال الكرات من الثوابت والسيارات فلم يجدوا من تلك الافلاك عيناً ولا أثراً ، بل وجدوا ما ينافى وجودها - كما سيتلى فى غير مكان .

فاذا انتفى وجود هذه الأجرام العظيمة وبطلت مبانى الهيئة القديمة فأين تكون السماوات والأرضون التى تواتر ذكرها فى الدين الاسلامى - على مبلغه السلام والتحية ؟

(الجواب)

لا يكاد يخفى على من استقرا كتب المسلمين انهم وان اتفقوا فى عدد السماوات ولكنهم مختلفون فى حقيقتها وتطبيقها على أفلاك الفلاسفة ، حتى ان بنى نوبخت (وهم من قدماء الامامية المشهورون بعلوم النجوم والفلسفة) يرون السماوات السبع فوق الافلاك ، وتبعهم فى ذلك حسب المنقول الشيخ أبو الفتح محمد الكراجكى المتوفى سنة ٤٤٩ هجـ .

نعم ، منذ شاعت الهيئة البطلميوسية فى القرون المتوسطة الهجرية اشتهر بين المسلمين أن السماوات السبع هى الافلاك العظيمة للسيارات السبع ، حتى اعتقد المتفلسفون منهم أن الكرسى هو فلك الثوابت وأن العرش هو فلك الافلاك على ترتيب الهيئة القديمة ، كما صرح بذلك شيخنا الشيخ البهائى فى صدر تشريح الأفلاك وغيره فى غيره .

أما حقيقة السماوات فلا زالت مجهولة عند علماء الاسلام وغيرهم ، لان المنقول بالظن واليقين من مقالات هـــذا الشرع المبين فى ابواب السماوات والارضين غير مناسب لما اثبته الفلاسفة للجواهر السماوية لا ذاتاً ولا صفة بل التنافى بينهما ظاهر وبين جداً .

ان الشرع الاسلامى ناطق بأن السماء تقبل الطى والانخراق والشمس والقمر يقبلان التكوير والانشقاق ، وان السماء قد خلقت من بخار أو دخان ولها سلاك وأبواب وسكان ودواب ، وفيها صخور وجبال وذرات أقل من المثقال ، وهى حادثة غير أزلية وزائلة غير أبدية ، وأن الجنة موجودة الآن فيما بينها بجميع لذاتها الحية ، وغير ذلك مما يناقض مبانى الهيئة البطلميوسية

ولاجل هذا التنافى التزم المحققون من علمائنا بالتفرق فى اكثر ظواهر الشرع ، حتى ذهب بعضهم إلى اتحاد عنوان السماوات وعنوان الافلاك ، كل هذا لكى يوفقوا بزعمهم بين الشريعة المقدسة وبين تلك الفلسفة المندثرة ، حيث كانوا مستأنسين بقواعدها غافلين عن وهن أساسها ، مذهلين عن ان النبى (ص) وامناءه (ع) كانوا يحذرون الناس عن الميل الى آراء الفلاسفة ، فلو كانت آراؤهم هى البواطن لظواهر أقوال الشريعة فما هذا التحذير ؟

وحيثما كان تحقيق حقيقة السماوات فى الشريعة وبيان ترتيبها من أهم مسائل هذا الكتاب وأنفعها ومن أصعب البحوث الاسلامية العصرية لزمنى الاجتهاد

والتدقيق فى الفحص والشرح ، فاستعنت بالله وأفرزت هذه المسألة من ترتيب السماوات حتى تتضح حقيقة السماء شرعاً وان اسم السماء فى شرع الاسلام مستعمل فى أى معنى حقيقى ثابت فى الكون لا نعرفه .

فنقول : لاشك أن العرف واللغة يطلقان السماء على الشيء العلوى ، فانه من السمو بمعنى العلو .

قال الفاضل القزوينى فى عجائب المخلوقات : كل ما فوق الارض فهو سماء .

وفى طريق اللغة : يقولون ما علاك فهو سماؤك .

وقال الثعالبى فى كتابه لباب الادب فى أول أبوابه : ماعلاك فأظلك فهو سماء ، وكل شيء دب على وجه الأرض فهو دابة .

وقال الطبرسى فى مجمع البيان : كل ما علاك وأظلك فهو سماء ، وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض ، وذلك واضح لا ريب فيه .

وعلى هذا يكون اطلاق السماء على المطر والسحاب والفلك والجو وأجرام الكواكب وغيرها على نحو الحقيقة جميعاً ، فانها أفراد ومصاديق للشيء العلوى الذى هومعنى السماءوهو الكلى لهاوصدق الكلى على أفراده حقيقة

ومعلوم أن الشارع وخلفاءه تابعوا العرف فى هذه الالفاظ والاسامى ولم يتفردوا فيها باصطلاح مخصوص ، فكلما أطلقوا لفظ السماء أرادوا به ما يوجد فى جهة العلو مطلقا .

ومن تصفح المقالات الدينية يعرف أن لفظ السماء لم يطلق فى الشريعة إلا على احد معان ثلاث مندرجة فى معنى ما يوجد فى العلو ، وهى (١) :

---

(١) ان هذه المعانى للسماء فى اللغة العربية واضحة معلومة ، مضافا الى اطلاق لفظة (آسمان) على السماء فى الفارسية وهى مركبة من (آس) بمعنى آسيا -

١ - نفس الجو العالى والفضاء الخالى كقوله تعالى : ﴿ وجعل فى السماء بروجاً ﴾ (١) .

٢ - نفس الكرات السامية والاراضى السيارة ، مثل ما ورد : « ان فى السماء آدم كآدمكم ونوح كنوحكم » وغيره مما سيتلى .

٣ - جسم عظيم كروى محيط بأرضنا وبالارضين السبع ، واكثر مايستعمل لفظ السماء فى الشرع ناظر الى هذا المعنى ، ولا سيما إذا اقترن به ذكر الأرضين السبع (٢) .

وعمدة الاضطراب وقصور الاصحاب إنما هو فى فهم حقيقة هذا الجسم المحيط بالأرض ، وانه عنصرى أو فلكى أو غيرهما ، بل وفى انه جسم مادى أو جوهر قدسى ، بل وفى انه جوهر أو عرض ، كالقائل بأن السماء فى عرف الشرع نفس جهة العلو والجو لا غير .

وتحقيق الحق على النحو الأحق يستدعى تمهيد مقدمة مسلمة ، وهى :

- و (مان) بمعنى المثل ، وهذا المعنى يطابق تماماً مع الهيئة الكوبرنيكية ، لأن آسيا عند كوبرنيك تدور على نفسها والكرات السماوية الأخرى أيضاً تدور على نفسها .

ومن جهة أخرى فان أرضنا وبقيه الكرات السماوية لها كرات بخارية حولها تدور مع أراضيها وأجرام هذه الكرات مدورة مثل آسيا ، فاذن هذه الكرات تشبه آسيا تماماً ، فيحق أن نطلق عليها لفظة آسمان (ف) .

(١) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٢) قال نور الله : ويؤيده أن السماء متى اجتمعت مع الأرض فى اللفظ افترقت فى المعنى ، وإذا افترقت فى اللفظ جاز اجتماعهما فى المعنى ، وكثير فى اللغة من هذا القبيل .

ان كرة الارض بالاتفاق والعيان يحيط بها الهواء من كل مكان ، واتفق أيضاً الحكماء قديماً وحديثاً على أن الحرارة المتوجهة الى أرضنا من الشمس بمصاحبة الأشعة تنعكس عن سطوح الارض بانعكاس الاشعة الى كل جهة ، وكلما تعلو تلك الحرارة المنعكسة وتبعد عن الارض تضعف وتقل ناريتها حتى تتلاشى فتنعدم ، واختلفوا فى منتهى مسير تلك الحرارة ومحل تلاشيها : فقدره القدماء سبعة عشر فرسخا وميلا ، وقدره المتأخرون بأقل من ذلك مختلفين فيه .

وفى أوائل انعدام تلك الحرارة تنجمد البخارات والادخنة المرتفعة من الارض وتثبت الرطوبات الصاعدة من البحار والبخار ونحوها ، فتثبت هنالك منطبقة .

ولهم على هذه الدعاوى براهين قوية .

ومن هنا قسموا الهواء المحيط بالارض الى طبقات ، مثل طبقة النسيم وهى المتصلة بالارض المتحرك هواؤها الى الجهات ، وهذه آخر الطبقات وأصلحها للمعيشة ، وينتهى محدبها - على ما فى عجائب المخلوقات - الى ستة عشر ألف ذراع فوق الارض وقيل اكثر . ومثل طبقة الزمهرير الساكن هواؤها الممتلىء من الرطوبات المنجمدة والغازات المتكاثفة ، وفى أوائل هذه الطبقة الباردة تجرى الغيوم وتثور البروق ، وهى غير صالحة للمعيشة ، والواصل اليها يرعد ويرعف ويضعف وينزف الدم من اذنه وعينيه ومنافذ جسمه والحكماء المتأخرون عن الالف الهجرى وافقوا القدماء الى هنا وخالفوهم فى أمور :

(منها) انكارهم لطبقة النار التى زعم القدماء احاطتها بكرة الهواء .

(ومنها) اثبات الوزن للكرة الهوائية والبخارية كما سيأتى .

(ومنها) ان الارض مع كرتها الهوائية والبخارية تجول فى الفضاء الخالى عن الارضيات الممتلىء من سيال جوهر (أثير) كما مر فى البحار السماوية .

واختلف المتأخرون فى منتهى طبقات الهواء المشايعة لارضنا فى الحركة فقال (فلامريون) الفرنسى مامعناه : ان الجسم المحيط بالارض تبلغ فخامته مائة الف متر تقريبا وسمى ذلك بـ (الاتمسفر) والاصل (اتومس اسفر) كلمات يونانية بمعنى البخار المدور .

والمشهور بين حكماء عصرنا ان علو اتمسفر ليس بأقل من خمسة عشر فرسخا وان اختلفوا فيما فوقه .

والعمدة فى ميزان حسابهم معرفة مقدار انكسار النور فى الفجر والشفق عند نفوذه فى الكرة الهوائية ووصوله الينا ، ولذلك قال الفاضل الشذورى فى كتاب العروس البديعة : ان علو الجلد - أى الكرة المحيطة بأرضنا كالغلاف والقشر - وارتفاعها من الحد الذى يتكسر فيه النور فهو نحو خمسة وأربعين ميلا ويعرف بواسطة الشفق ، ولعله يمتد الى علو مائة أو مائتين ميل فوق سطح الارض .

وهذا الاحتمال يصحح تجويز بعض الحكماء كون علو الجلد ثلاثين فرسخا

وفى كتاب الآيات البينات : ان مظاهر الشهب والاشفاق القطبية فيه على أمد سبعين ميلا الى ثلاثمائة ميل ، وذهب بعضهم الى ان علوه نحو خمسمائة ميل .

وحكى عن نيوتن انه قال بارتفاعه خمسين فرسخا .

وقد ذكر مؤلف حقائق النجوم أدلة قوية على ان الكرة البخارية الارضية فوق مائة ميل ، غاية الامر اختلاف طبقاتها فى الكثافة واللطافة حتى يتصل بالملأ الاثيرى الذى لم نسمع بألطف منه .

وأما الفجر والشفق فلما كان حصولهما من كثافة الهواء لا جرم كان ظهورهما من ابتداء خمسة وأربعين ميلا ، فلا يكون هذا التحديد دليلا على نهاية الكرة البخارية ، بل إنما يدل على ان كثافة أبخرة هذه الكرة تنتهي الى خمسة وأربعين ميلا ، فلا ينافي هذا وجود بخار لطيف وهواء شفاف فوق ذلك ، ولا سيما بعد ظهور العلامات الصادقة الناطقة بوجود الهواء والبخار فوق مائة ميل حتى يبلغ الاثير .

وقال فانديك في الجزء الثالث من النقش في الحجر : انا عائشون في قعر اقيانوس سيال معدل عمقه بالأقل مائة مثل عمق أوقيانوس الماء الغامر للكرة الأرضية .

والمحصل مما سبق ان أرضنا هذه يحيط بها كرة بخارية غازية محشوة بالاجزاء الكهربائية ، ويعبر عنها بالزمهرير أو الجلد أو الصفر أو كرة الثلج أو غير ذلك وعلوها ليس بأقل من خمسة عشر فرسخاً ، وان قالوا بأكثر من ذلك وهذه الكرة البخارية مع الكرة الهوائية التي في جوفها تتحركان بمصاحبة الكرة الارضية بجميع حركاتها الوضعية والانتقالية .

* * *

إذا عرفت هذه المقدمة قلت : يخطر ببالي معنى مستغرب في بادىء النظر ولكنه مستحسن عند التفكر في شواهده ، وموجز ذلك : ان السماء إذا ساغ وشاع اطلاق لفظه على كل موجود علوي - كما تقدم - فلم لا يجوز أن تكون سماء أرضنا عبارة عن الكرة البخارية المحيطة بهواء أرضنا ، وكذلك سماوات بقية الاراضي السيارة إنما هي كراتها البخارية المحيطة بها ، فهل ترى مانعاً من ذلك عقلا أو شرعا أو لغة أو عرفا ؟ كلا ! بل تجد على هذا المدعى الشواهد والامارات الكثيرة من الآيات والروايات كما سنتلوها عليك . وسوف نذكر أيضاً ان الأرضين السبع السيارة لكل منها كرة هوائية يحيطها كرة بخارية .

أما المقالات الشرعية التى تشهد بأن السماء شرعاً هى الكرة البخارية لكل أرض بوشك أن تكون طوائف عشرة :

الطائفة الأولى

ما نطق من الاخبار بأن السماء مخلوقة من البخار ، وحيثما كانت بينة المباينة مع مبانى الحكمة القديمة اضطربت كلمات المحققين من علمائنا فى تفسيرها فأولوها الى معان لا يخفى ما فيها على من تأمل فى خوافيها ، وتلك الأخبار الناطقة بما احتملته كثيرة منها :

١ - فى بحار الانوار والانوار النعمانية والعيون والعلل والخصال وتفسير البرهان ونور الثقلين وتفسير الصافى وغيرها مسنداً الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ان الشامى سأله عن أول ما خلقه الله تعالى ؟ فقال : خلق النور قال : فمم خلقت السماوات ؟ قال : من بخار الماء ...

٢ - فى تفسير القمى والبحار والانوار النعمانية وغيرها فى ضمن خبر طويل قال : « فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السماوات » .

٣ - فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس صاحب النبى (ص) : « ان الله أجرى الماء على النار فبخر البحر فصعد فى الهواء فجعل السماوات منه »

٤ - فى شرح الكيدرى قطب الدين على نهج البلاغة قال : ورد فى الخبر « ان الله تعالى لما أراد خلق السماء والارض خلق جوهراً أخضر ثم ذوبه فصار ماءاً مضطرباً ، ثم أخرج منه بخاراً كالدخان فخلق منه السماء كما قال تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان ﴾ .. » .

٥ - فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس قال : « وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السماوات » .

٦ - فى تفسير الفرات والبحار عن أمير المؤمنين على (ع) انه قال فى

خبر طويل : « ان الله بداله ان يخلق الخلق فضرب بأمواج البحور فثار منها مثل الدخان كأعظم مايكون من خلق الله ، فبنا بها سماءاً رتقا » الى أن قال عليه السلام « ثم استوى الى السماء وهى دخان من ذلك الماء الذى انشأ من تلك البحور » .

والظاهر لى وللجمهور من هذا الدخان انه البخار المشابه للدخان ، إذ لا يرتفع من الماء إلا البخار الغليظ الشبيه بالدخان كما سيأتى .

ونظير هذه الاخبار ما وردفى شرح كون السماء بحراً مسجوراً أوماءاً مكفوفا أى ممنوعا من السيلان . قال ابن أبى الحديد فى شرح النهج فى قول على عليه السلام : « والجو المكفوف » مانصه : ويمر فى كلامه عليه السلام نحو هذا وأن السماء هواء أو ماء جامد ، ولا يخفاك أن البخار مناسب لان يعبر عنه بالماء الجامد والهواء الجامد معاً .

أقول : سيأتى ذكر اخبار بذلك تترى ، ولنقتطف من خطبة على عليه السلام فى ذلك إذ يقول بعد ذكر الارض : « ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء وشكائك الهواء فأجرى فيها ماءاً متلاطما تياره ، حمله على متن الريح العاصفة » .

الطائفة الثانية

ما نطق بخلق السماوات من الدخان ، وهو كثير أيضاً نذكر منها :

١ - قال تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان ﴾ (١) خصوصاً على القول باستيناف جملة ﴿ وهى دخان ﴾ كما لا يخفى . وسأذكر أن المراد من الدخان هو البخار المصطلح عند المتأخرين .

٢ - فى الكافى والوافى والبحار وغيرها من كتب الاخبار بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن الامام الخامس محمد الباقر عليه السلام فى خبر خلق السماء انه

(١) سورة فصلت آية ١١ .

قال : « كان كل شيء ماءاً وكان عرشه على الماء فأمر الله تعالى الماء فاضطرم ناراً ثم أمر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السماوات من ذلك الدخان وخلق الارض من الرماد » (١)

٣ - فى تفسير القمى وغيره فى خبر خلق السماء فقال تعالى للدخان : « اجمد » فجمد .

٤ - فى الكافى والوافى والبحار مسنداً عن الامام الباقر محمد بن على عليه السلام فى خبر خلق السماوات والارض قال : « حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماءاً صافية » الى أن قال: « ثم طواها فوضعها فوق الارض .. »

٥ - فى تفسير الثعلبى وغيره : « أن الله سبحانه لما أراد أن يخلق السماوات السبع والارضين السبع خلق جوهرة مثل السماوات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماءاً ثم نظر الى الماء فغلى وارتفع وعلاه زبد ودخان ، فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء ، وذلك قوله تعالى: ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان ﴾ .

أقول : احتمل أن يكون المراد من مثل السماوات والارضين أى فى أصل مادة الخلقة فى الحجم أو نحوها من الصفات .

٦ - روى جماعة : « ان الله تعالى لما خلق الارض ثار منها دخان فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان ﴾ ..

٧ - فى تفسير القمى والكافى كتاب الحج والأنوار النعمانية وبحار الأنوار وتفسير العياشى وغيرها بالاسناد عن الامام جعفر بن محمد الباقر عليه السلام

(١) اشارة الى برودة السديم بعد شدة حرارته كما يعتقده (لابلاس) الفرنسى .

انه قال فى حديث : « فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء » .

٨ ـ فى البحار من جملة حديث : « فأخرج من الماء دخاناً وطيناً وزبداً فأمر الدخان فعلا وسمى ونما فخلق منه السماوات وخلق من الطين الارضين » .

٩ ـ فى البحار والدر المنثور عن حبة العرنى قال : سمعت علياً عليه السلام ذات يوم يحلف : « والذى خلق السماء من دخان وماء » .

١٠ ـ فى البحار وعيون الأخبار وعلل الشرائع والخصال فى مسائل الشامى عن أمير المؤمنين (ع) انه قال فى جملة ما قال : « واسم الدنيا رفيعا وهى من دخان وماء » .

١١ ـ فى تفسير القمى وغيره عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال فى خبر طويل : « فأرسل الله الرياح على الماء فارتفع منه دخان وعلا فوق الزبد فخلق من دخانه السماوات السبع وخلق من زبده الارضين السبع فبسط الارض على الماء » .

١٢ ـ فى البحار عن ابن عباس وابن مسعود صاحبى النبى صلى الله عليه وآله : « ان الله عز وجل كان عرشه على الماء » الى ان قال : « اخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماءاً » . ورواه المسعودى فى كتاب مروج الذهب أيضاً .

أقول : الظاهر لى من مجموع هذه الاخبار ان المراد من هذا الدخان هو البخار ، غايته ان البخار والدخان إذ كانا من منشأ واحد أو متشابهين فى العرف وبدو النظر اطلق اسم الدخان على البخار .

ويؤيدنى فى قولى هذا ماقاله المسعودى فى مروج الذهب والفاضل ابن ميثم فى شرحه على نهج البلاغة : ان المفسرين اتفقوا على ان الدخان الذى تكونت السماء منه كان عن تنفس الماء وتبخيره بسبب تموجه .

وقال ابن ميثم : والدخان فى الحقيقة بخار والمشابهة الحسية فى الصورة موجودة بين الدخان والبخار .

ويؤيدنى أيضاً قول أبى البقاء فى كلياته :ان كل دخان يسطع من ماء حار فهو بخار ، وكذلك من الندى .

وأيضاً ما فى بعض أخبار بحار الأنوار والدر المنثور فى قوله تعالى: ﴿ثم استوى الى السماء وهى دخان﴾ : فكان ذلك الدخان من تنفس الماء .

وأيضاً تصريح بعض الاخبار بخروج بخار من الماء كالدخان فخلقت السماء منه - كالخبر الثانى والرابع والسادس من الطائفة الأولى - فيدل على انه من غلظته كان شبيه الدخان لا الدخان الحقيقى .

وأيضاً نفس خروج الدخان من الماء - كما تكرر ذكره - يدل على كونه فى الحقيقة بخاراً إذ لا يخرج من الماء غير البخار .

الى غير ذلك من الشواهد الواضحة ،فتتضح إرادة البخار من اسم الدخان

وقد نطقت جملة من هذه الاخبار بأن السماوات السبع المحيطة بالارضين السبع بأسرها مخلوقة من البخار ، وسأنقل كلمات الحكماء الذين شاهدوا فى أراضى كرات السيارات كرات بخارية عظيمة ، فيكون المعنى الذى قوينا احتماله فى حقيقة السماوات معنى معقولا مسلماً موافقاً لجميع ظواهر الشريعة الاسلامية .

الطائفة الثالثة

الأخبار الناطقة بأن السماء مخلوقة من البحر أو من الماء المنجمد أو من الموج المكفوف أى الممنوع من السيلان لجموده ، والكل ناظر الى معنى واحد ، وهى :

١ ـ فى كتاب العلل والعيون والخصال والبحار وغيرها مسنداً عن أمير المؤمنين على (ع) حين سألوه عن سماء الدنيا مم خلقت ؟ قال (ع) : «من موج مكفوف» وفى بعض الاخبار : «من بحر مكفوف» والمراد واحد كما لا يخفى .

٢ ـ فى نهج البلاغة وغيره عن الامام على بن أبى طالب (ع) انه قال فى خطبة ذكر فيها تكوين السماء من موج البحار : «فرفعه فى الهواء منفتق وجو منهفق فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعا .. » . أى جعل الطرف الأسفل من كل سماء موجا ممنوعا من الهبوط والسيلان ، والطرف الأعلى مثل السقف محفوظاً أو حافظاً عن وصول الأدخنة والكثافات الارضية والشياطين وغيرها .

٣ ـ فى الدعاء المأثور ـ كما فى الدر المنثور وبحار الانوار وغيرهما ـ : «وأمرت الماء فجمد فى الهواء فجعلت منه سبعاً وسميته السماوات» .

٤ ـ فى مسائل عبدالله بن سلام المروية فى كتاب البحار وغيره انه سأل النبى ﷺ عن سماء الدنيا مم خلقت ؟ قال ﷺ : من موج مكفوف قال : وما الموج المكفوف ؟ قال : يابن سلام ماء قائم لا اضطراب له وكان فى الأصل دخاناً . قال : صدقت يامحمد .

٥ ـ فى الدر المنثور والسماء والعالم من كتاب بحار الانوار عن النبى ﷺ انه سمى سحابة مرت عليه (الغيابة) ثم قال : «وان فوق ذلك موج مكفوف وسقف محفوظ ، وان فوق ذلك سماء أخرى ، وان بينهما مسيرة خمسمائة عام» .

٦ ـ وفيهما أيضاً عن ابن عباس انه قال : قال رجل : يارسول الله ما هذا السماء ؟ قال ﷺ : «هذا موج مكفوف عنكم» .

٧ - وفيها أيضاً عن الربيع بن أنس قال : «السماء الدنيا موج مكفوف» وهكذا غيرها من الاخبار المصرحة بالمعنى المختار المفسرة بالموج المكفوف أو البحر المكفوف ، أى الممنوع من السيلان كما فسرناه .

ولعمرك ان الظواهر الاسلامية لا تجدها تلائم وتتفق إلا مع الترتيب الذى قويناه نحن .

الطائفة الرابعة

ما دل على ان السماء معدن الماء مثل قوله تعالى : ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء ﴾ (٣) وغيرها من الآيات الكثيرة الناطقة بأن المياه والامطار معدنها السماء - أعنى كرة البخار - فهى وان كانت بجمع الرطوبات الصاعدة إلا ان ذلك لا ينافى اجتماع الرطوبات وقتاً ما فى موضع ثم تتقاطر الى السحاب ، كما قد يتقاطر الندى على وجه الارض فيناسب عندئذ ما ورد فى بعض كلمات شرعنا الأقدس : « ان المطر ينزل من السماء الى السحاب والسحاب يغربله » .

فهذه الآيات موافقة لما اخترناه ومطابقة لباقى ظواهر الشريعة ، ومناسبة لما استقر عليه رأى الحكماء المحققين من المتأخرين .

---

(١) سورة القمر آية ١١ .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٥ .

(٣) سورة المؤمنون آية ١٨ .

وأما القدماء فاذ كانوا يفسرون السماوات السبع بأفلاك السيارات وكانت الافلاك عندهم منزهة عن العنصريات لاجرم كانوا يؤولون لفظ السماء المذكور فى مثل هذه الآيات والروايات بالجهة العالية .

ومما يصرح بأن السماء معدن الماء مارواه المجلسى فى كتاب بحار الانوار والصدوق فى كتاب علل الشرائع وغيرهما فى غيرهما انه سأل يهودى أمير المؤمنين علياً عليه السلام : لم سميت السماء سماءاً ؟ فقال : « لأنها وسم الماء - يعنى معدن الماء » وكل من روى هذا الخبر جعل جملة « يعنى معدن الماء » جزءاً من الرواية

ومنه أيضاً ما روى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ كانتا رتقاً ففتقناهما ﴾(١) « ان الله تعالى فتق الارض بالخضر والسماء بالمطر » .

والظواهر الشرعية بأسرها مصرحة بأن المطر من السماء ، ولا كلام لأحد فى ذلك ولكن ترتيب القدماء كان يقتضى تأويل لفظة السماء المذكورة فى تلك الظواهر الى جهة العلو ، وأما ترتيبنا فلا يقتضى إلا حمل اللفظ على معناه الشرعى والعرفى الموافق لنفس الامر .

الطائفة الخامسة

الاخبار الكثيرة فضلا عن الآيات الدالة بأجمعها على تقدم خلق الارضين على السماوات ، وإذ كانت تلك الاخبار من الكثرة بمثابة يصعب علينا سردها فلنكتف ببعض الآيات ، ومن طلب الزيادة والتكميل فشأنه استقراء مواضعها :

قال الله تعالى : ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى الى

(١) سورة الانبياء آية ٣٠ .

السماء فسواهن﴾ (١) وقال تعالى : ﴿قل ءانكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين ﴾(٢) فان لفظة (ثم) تفيد الترتيب مع التراخى .

وقد تقدم النص عن أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك فى جملة خطبة له أوردناها فى الطائفة الاولى ، وقد قال ابن أبى الحديد فى أوائل شرح النهج مفسراً لقول على عليه السلام ما نصه : ظاهر كلامه يقتضى ان خلق السماوات بعد خلق الارض .. الى أن قال : وهذا قول قد ذهب اليه جماعة من أهل الملة واستدلوا عليه بالآيتين ..

ولما كانت الظواهر الاسلامية بأسرها ناطقة بتأخر خلق السماء عن الأرض أخذ المحققون من القدماء يتقولون أنواع الأقاويل فى مقام علاجها بالتأويل من جهة مخالفتها لمبانى الحكمة القديمة ، فان من ضروريات مسائلها تقدم وجود الفلكيات على وجود الأرضيات بجميع أقسام التقدم المعروفة عندهم ذاتاً وشأناً ودهراً وزماناً وطبعاً ومكاناً .

وأما على تفسير السماء بكرة البخار ـ كما استفدناه من الآيات والاخبار ـ فلابد من تأخر خلق السماء عن الارض ، فان الكرة البخارية حول الارض لا تحصل إلا من تبخير جرم الارض وتبخير المياه القاطنة عليها والرطوبات المنبثة فيها ، سواء كان هذا التبخير بسبب الحرارات الداخلية الارضية التى منزلتها من الارض منزلة الكبد من الحيوان أو بسبب الحرارات الخارجية الحادثة فيها من حركاتها المختلفة على نفسها وحول غيرها ، ولا سيما الحرارات

(١) سورة البقرة آية ٢٩ . (٢) سورة فصلت آية ٩-١١ .

المرسلة اليها من الشمس وغيرها ، فيكون خلق الكرة البخارية السماوية متأخراً بجميع أقسام التأخر عن خلق الكرة الارضية ، كما هو المستفاد من الظواهر الاسلامية .

الطائفة السادسة

الأخبار الدالة على ان هذه الخضرة المبصرة من الجو هى لون السماء، هذا والمحققون من حكماء المتقدمين والمتأخرين متوافقون فى ثبوت هذه الخضرة الميناوية للكرة البخارية الارضية ، وباعتبارها يسمون الجو المحيط بعالمنا (القبة الزرقاء) .

وقد أوردت أخباراً كثيرة فى رسالة (جبل قاف) تنطق بثبوت هذه الخضرة اللازوردية لجرم السماء .

فاذا تحقق ان ما يدعونه القدماء سماءاً لا يجوز اتصافه بلون قط وثبت ان هذا اللون إنما يحصل فى الكرة البخارية تبين انها هى المقصودة من اسم السماء .

قال المحقق نصير الدين الطوسى فى التذكرة : وقالوا (يعنى الحكماء) الزرقة التى يظن الناس انها لون السماء فانها تظهر فى كرة البخار ، لأنه لما كان الألطف منه أشد صموداً من الاكثف كانت الاجزاء القريبة من سطح كرة البخار أقل قبولا للضوء من الاجزاء القريبة من الارض لكثرة البعد واللطافة ولهذا تكون كالمظلمة بالنسبة الى هذه الاجزاء ، فيرى الناظر فى كرة البخار لوناً متوسطاً بين الضياء والظلام .

وقال الفلكى الشهير (فلا ماريون) الفرنساوى ما معناه : ان الخضرة المتوهمة فى الجو هى لون كرة (اتمسفر) المحيطة بأرضنا كطبقة معلومة الثخن والهواء المتراكم إذا اشتد صفاؤه ظهر مع الخضرة والزرقة ، كما ان الماء

المتراكم فى البحر إذا اشتد صفاؤه ظهر بلون الخضرة مع انه ليس بذى لون عندما يقل .

أقول : ويناسب المقام غير الأخبار التى مضت الخبر المروى فى تفسير القمى عند بيان خلق السماء قال : « وكانت السماء خضراء على لون الماء العذب » وفى بعض النسخ « لون الماء الأخضر » .

وكذا الخبر المروى فى الأنوار النعمانية : « ان الله سبحانه خلق بحراً بين السماء والارض وأمسكه بقدرته (١) وهذه الخضرة التى نراها هى خضرة ماء ذلك البحر » .

وكذا الخبر المروى فى الدر المنثور والجزء الرابع عشر من بحار الأنوار عن سلمان الفارسى : « ان السماء الدنيا من زمردة خضراء واسمها رفيعا » .

وكذا الخبر المروى عن الشعبى انه قال : كتب ابن عباس الى أبى الجلد حين سأله عن السماء من أى شىء هى ؟ فكتب اليه : « ان السماء من موج مكفوف » .

والمقصود متضح بحمد الله تعالى عند من له أدنى بصيرة .

الطائفة السابعة

الأخبار الدالة على ان السماء تحت مدارات الكواكب ، وهى :

١ ـ رواية جابر الانصارى المذكورة فى تفسير القمى وغيره فى قوله تعالى : ﴿ إنى رأيت أحد عشر كوكباً ﴾ (٢) قال من بعد ذكر النجوم :

(١) إشارة الى القوة الجاذبية العامة كما حققناها .

(٢) سورة يوسف آية ٤ .

« وكل هذه النجوم محيطة بالسماء » .

فان النجوم على كل حال لا تكاد تحيط بشيء إلا باعتبار مداراتها، فالمراد ان هذه النجوم فى مسيرها محيطة بالسماء ودائرة حولها . ولا يستقيم هذا المعنى إلا على تفسير السماء بالكرة البخارية الارضية .

وبهذا التمهيد السديد نجمع بين ما ورد ان السماء تحت الفلك وبين ما ورد بخلافه من أن الفلك تحت السماء ، فان أمثال هذه النقليات كانت محسوبة فى عداد المتناقضات لكننا نصحح الجميع بتفسيرنا السماء بكرة البخار من كل أرض سيارة ، وبتفسيرنا الفلك بمدار السيار ومجراه كما شرحته فى مسألة تحقيق الفلك ، وعلى هذا تكون السماء من كل أرض تحت فلك وفوق فلك - فافهم .

٢ - ما وجدته فى بعض أخبار البحار عن الدر المنثور : « ان القمر والرجوم فوق السماء الدنيا » ولا يستقيم ذلك أيضا إلا على تفسير السماء الدنيا بالكرة البخارية الارضية . فان الحكمة القديمة تحكم بكون القمر فى السماء الدنيا - أى الفلك الاول - لا فوقه ، وترى استحالة كون الرجوم إلا تحت أفلاك النجوم ، وسوف أتلو عليك شواهد كون السماء الدنيا هى الكرة البخارية الأرضية فى مسألة المذنبات .

وزبدة القول ان شتات الأخبار والمضامين المنقولة فى الشريعة الاسلامية لا يجمعها ولا يتكفل تأليفها وتصحيحها نظام وترتيب إلا الترتيب الذى ذكرته وشرحته فى هذا الكتاب .

الطائفة الثامنة

جمل شرعية ترشدنا الى ان الهواء ينتهى محدبه ومنتهاه الى السماء وهو

مشيدها ، وهى :

١ - فى دعاء يعقوب النبي عليه السلام المروى فى تفسير سورة يوسف عليه السلام من كتاب تفسير القمى : « يامن شيد السماء بالهواء وكبس الأرض على الماء » والكل يعلمون ان الكرة البخارية قائمة ومشيدة بالهواء ، بخلاف السماء المفسر عند القدماء ، فانه غير منوط ولا مربوط بشيء من الهواء .

٢ - قول على عليه السلام فى بعض خطبه المشهورة فى صفة السماء : « وأمسكها من أن تمور فى خراق الهواء بأيده ، وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره » وهذا يدل أيضاً على وقوف السماء وسكونها من الحركة ، وهذا يناسب كونها الكرة البخارية الواقفة بنفسها الجارية بمتابعة الأرض ، ولا يستقيم مع تفسير السماء بأفلاك القدماء التى لا تنفك عندهم من الحركة الذاتية . و (المور) اضطراب الجسم السائل ، كما ان (الميد) اضطراب الجسم الجامد .

وقال على عليه السلام فى أول خطب النهج : « فى فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر » فان المراد من السقف هنا هو سماء الدنيا فاذا كان سائراً فقد ناقض ما دل على وقوفه وثباته ، ولا يزول هذا التناقض إلا بما قلناه فى حقيقة السماوات وترتيبهن ، فان الكرة البخارية المحيطة بأرضنا واقفة ثابتة بالنظر الى اتصالها بأرضنا ليس لها فى ذاتها تحرك قط حينما هى سائرة بمشايعة الأرض ومتابعتها فى الفضاء حول مركز الشمس .

٤ - قال الامام الحسين (ع) فى دعاء عرفة المروى فى البحار و بلد الامين للكفعمى والصحيفة الحسينية وغيرها : « يامن كبس الأرض على الماء وسد الهواء بالسماء » وفى بعض النسخ « شيد » مكان « سد » بتصحيف فيه ، وعلى كلا الفرضين يتأيد ما نقصده كما لا يخفى . وأما سد الهواء بالسماء فظاهره احاطة السماء بكرة الهواء من دون فصل ، وذلك غير متجه على ترتيب القدماء ،

فانهم يرون كرة الماء فاصلة بين كرة الهواء والفلك الاول .

٥ ـ فى كتاب البحار عن أمير المؤمنين على (ع) أنه قال فى ضمن خبر طويل : « سد الهواء بين الارض والسماء » وهو صريح فيما أشرنا نحوه .

ولا يذهب عليك ان الاحتمال الآخر كامن فى هذه الجمل ، ولكن المختار منها اوفق بظواهر السياق واجمع لشتات باقى المضامين المنقولة وأنسب مع التحقيقات المقبولة .

الطائفة التاسعة

ما دل من الآيات والروايات على ان السماوات اطباق وطبقات بناءاً على ما استفاده جمع من علمائنا القدماء وادعوا ظهور تلك الظواهر فى انفصال السماوات وفراغ فرجها :

(منهم) العلامة المجلسى (ره) فانه يقول فى رسالته الاعتقادية : « ويجب أن تعتقد ان السماوات غير متطابقة ، بل من كل سماء الى سماء خمسمائة عام ، وما بينهما مملوء من الملائكة » .

(ومنهم) المحدث الجليل السيد نعمة الله الجزائرى فى شرحه على الصحيفة السجادية عند قول الامام السجاد (ع) : « اطباق سماواتك » قال السيد : يدل هذا وغيره من الاخبار على ان ما بين السماوات فرج واسعة ، فقول الرياضيين بالمماسة بين محدب كل واحد مع مقعر الآخر باطل ، وتأويل الاخبار لتنطبق على ذلك القول أشد بطلاناً .

أقول : ويعجبنى شدة تمسك هذا السيد الحافظ بظواهر كلمات الشريعة وشدة كراهته من العدول عن ظاهر شرعه الى مطالب الفلاسفة من قبل أن يقطع بصحتها ، ومنشأ هذه الخصلة الفاضلة قوة اليقين باستحكام هذا الدين

ثبتنا الله تعالى عليه حتى نرجع اليه وينبغى لجميع المتدينين أيضاً أن لا يستسهلوا العدول عن ظواهر الشريعة المقدسة ومعلوماتها القيمة الى ما يخالفها من مطالب الفلسفة وغيرها جديدها وتليدها ، إلا إذا اتضحت الحقيقة ونهضت عليها البراهين القوية ، فعند ذلك يحسن ارتكاب التأويل فى الظواهر المنقولة المعارضة مع الحقائق المعقولة ، وذلك بحكم من العقول وترخيص من الله تعالى والرسول

الطائفة العاشرة

ما ذكر فى الادعية والكلمات المأثورة عن أوصياء نبينا محمد صلى الله عليه وآله ان السماوات والأرضين ذوات أوزان وميلان خفة وثقلا ، مثل الدعاء المروى عن الامام السجاد عليه السلام حيث قال : « سبحانك تعلم وزن السماوات سبحانك تعلم وزن الارضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة ... »

روى هذا التسبيح عنه عليه السلام جماعة كالفقيه محمد الحر العاملى المتوفى سنة ١١٠٩ فى الصحيفة الثانية السجادية فى الدعاء الخامس والخمسين قال : روى الزهرى عن سعيد بن المسيب .

والسيد نعمة الله الجزائرى المتوفى سنة ١١١٢ فى شرحه على متعلقات الصحيفة السجادية قال : ان الشيخ الفقيه محمد بن مكى العاملى الشهيد سنة ٧٨٦ روى هذه الأدعية الملحقة وذكر هذا التسبيح منها .

أقول : وجدت هذا الدعاء بعينه فى سنة ١٣٣٥ هج فى مجموعة كتب أنساب وأدعية فى مكتبة سيدنا الحسن بن الهادى المحدث الكاظمى ، وكانت المجموعة بخط السيد محمد بن عزيز الله الحسينى بتاريخ يوم الاحد السادس من

شهر ذى الحجة الحرام سنة ٩٨٤ هجـ .

ولا يخفى مخالفة ظاهرها مع مبانى الفلسفة القديمة، إذ الوزن عند أصحابها وعند العرف ليس إلا ميلان الجسم نحو مركزه ، فان كان مركزه علويا كالنار والهواء سمى ميلانه خفة ، وان كان مركزه سفلياً كالتراب والماء سمى ميلانه ثقلا . ومن ذلك اتفقوا على نفى الوزن مطلقاً عن الفلكيات مطلقاً ، سواء كان حاملا كأصل جوهر الفلك أو كان محمولا كالأجرام المركوزة فى الفلك مثل الشمس والقمر والنجوم ، لان حقيقة الوزن عندهم ميل مستقيم وليس فى الفلكيات مطلقاً مبدأ ميل مستقيم قطعاً .

قال الرئيس الشيخ ابن سينا فى الفن الثانى من طبيعيات كتاب الشفا: ان الفلك مطلقاً جسم كروى شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط .. الى أن قال : والمحمول (يعنى الاجرام) لا ثقل له ولا خفة ولا ميل بوجه من الوجوه ولا ممانعة للتحريك .

هذا كله فى الفلكيات وأما العنصريات فتصوروا فيها حالتين :

(الاولى) ميل كل جزء من أجزاء كرة الارض أو كرة الماء أو كرة الهواء أو كرة النار الى مركز كرة نفس ذلك الجزء ، مثل ميل الحجارة الى الارض وميل النفخة الى الهواء وميل الشعلة الى كرة النار العليا . وفى هذه الحالة يعقل الميل والوزن عندهم ، ولا يذكرون الوزن إلا ويقصدون هذه الكيفية .

(الثانية) ميل أصل كرة الأرض بمجموع أجزائها أو كرة الهواء بجميع دقائقها صفقة واحدة ، وهذه الكيفية أيضاً مستحيلة لديهم ، وينكرون تحقق الوزن بهذا المعنى للأرض والهواء وغيرهما كانكارهم فى الفلكيات . وبرهان إنكارهم ان أصل كرة الأرض مركز لاجزائها وكذلك أصل كرة الهواء مركز

لأجزائها ، والوزن ميل الشيء الى مركزه ونفس الكرة لا مركز لها حتى تميل اليه ، وميلها الى نفسها أيضاً محال ظاهر ، فلو كان لجرم الأرض وزن وميل فاما ان يكون ميلا الى نفسها وهو محال ، واما أن يكون ميلا الى كرة أخرى والمفروض كمال التباين بينهما ، فيستحيل ميل احداهما الى الأخرى .

والنتيجة ان كرة الأرض بنفسها كباقى الكرات لا خفيفة ولا ثقيلة حيث لا وزن لها ولا ميل كالفلكيات ، ومع اقرارنا بهذه المبانى مثل قدمائنا المحققين لا محيص لنا من التصرف فى ظواهر الشريعة الدالة على ان السماوات والارضين ذوات أوزان كظاهر التسبيح الذى رويناه عن الامام الرابع عليه السلام وخصوصاً إذا فسرنا السماوات بالافلاك كما فعله المتقدمون من علمائنا .

أما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى فالوزن لديهم ليس يحدث إلا بالجذب ، وجميع الاجسام الكونية عندهم خاضعة لنواميس الجاذبية من الذرارى الى الدرارى ، فالثقل عندهم انجذاب الجسم الى ما هو تحته والخفة انجذابه الى ما فوقه ، فكما تختلف الفوقية والتحتية باختلاف الاعتبارات كذلك الخفة والثقل يختلفان باختلافها ، ويعتقدون انجذاب كل جسم الى الأعظم منه فى الحجم أو فى الجوهر أو فى الكثافة مالم يمنعه جسم أقوى منه ، فالارضيات بأسرها مجذوبة الى كرة الارض وهى المانعة من انجذاب الغيوم الى كرة القمر والقمر ونحوه أيضاً منجذب للأرض ، والأرض مجذوبة للشمس وهكذا .

فلو صحت هذه الآراء صح التمسك بظاهر الدعاء من دون تصرف فيه أو تأويل ، وثبت الوزن للأرض والسماء والشمس والقمر والهواء ، كما استخرجها المتأخرون بآلاتهم الدقيقة وأفكارهم القريبة لديهم من الحقيقة .

ونقتصر هنا على ما ذكروه فى ثقل سماء الدنيا ، قالوا : ان ثقل الكرة البخارية ١١٥٢٢٢١١٤٩٤٢٠١٨٧٣٠٨٩ رطل بريطانى كما فى حدائق النجوم

وقيل : ان جملة بخار الماء المنتشر فى هواء الأرض يبلغ ثقله ستمائة ألف واثنين وتسعين ألف مليار قنطار ، أعنى ٦٩٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ .

وقد عينوا ثقل مقدار من الهواء يحاذى رأس الانسان من لدنه الى ٤٥ ميلا ، ففى الآيات البينات : ان معدل ما يحمله الانسان من الهواء نحو ٦٢٢٤ رطلا

وفى (النجوم المشرقات) ان ثقل العمود الهوائى الذى يتحمله بدن الانسان يبلغ ثلاثة وثلاثين الف رطل وستمائة رطل .

ولا يذهب عليك ان بين التحديدين فرق كثير بحيث نتيقن فى اشتباه أحد الكتابين فى العدد - فتدبر (١) .

وإنما لم يؤثر هذا الثقل فى أعضاء الانسان مع انها تتأثر من عشير معشاره لتساوى ضغط الهواء من كل جهة وزن الجسد فيه هواء يضغطه الى الخارج فيمانع المحيط ، أو لأجل اتصال أجزاء الهواء وتماسكها . كما ان ثقل المياه المستوطنة على ظهر الحوتة فى قعر البحر لا تؤثر فيه أصلا مع معظم الثقل فى تلك المياه.

وخلاصة الكلام ان ثبوت الوزن والثقل للكرة البخارية - كما سمعت - مع إثبات الثقل والوزن للسماوات والسماويات يؤيد ترتيبنا المذكور، أعنى كون الارضين السبع هى أراضى السيارات والسماوات السبع هى الكرات البخارية المحيطة بتلك الاراضى وليست السماوات عبارة عن أفلاك الفلاسفة السالفين لا بحسب الشرع ولا بحسب الفن ، وسيتضح ترتيبنا فى المسألة الآتية بحيث لا تبقى فيك ريبة ولا شك ، وتعرف ان الشرق بنور الوحى كيف سبق الغربيين فى كشف أسرار الوجود. ونعم ما كتب الاستاذ الكبير والأديب العربى الشهير ميخائيل نعيمة من نيويورك بعد انتشار هذا الكتاب لاول مرة : « ان ما أدركه الشرق

---

(١) وقال كاميل فلامريون فى كتابه : ان سطح جسم الانسان يحمل من الهواء ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثله من الضغط الداخلى .

منذ أجيال بايمانه واختباراته الروحية يحاول الغرب اليوم أن يتوصل اليه بتلسكوبه ومكرسكوبه ، ومن العبر ان الغربى كلما درس وتعمق عاد الى الشرق ونفض عن بعض تعاليمه غبار الدهر وصقلها ثم عرضها على اخوانه كأنها حقائق جديدة ، فهو ينقب فى هذه الايام عن فلسفات الصين والهند والعرب والعجم ليجد فيها مفاتيح لما أقفل فى وجهه من أسرار الوجود » .

اقرأ هذه الجمل الذهبية التى كتبها ذلك العربى العبقرى العظيم وتفكر فى حالتك السيئة وتراثك المنهوب الذى يتبجح به قوم آخرون وتفتخر به ملل لم يكن لها مفخرة حين كنت رافع الرأس تتطفح من جوانبك العلم والمعرفة والثقافة .

ان حالتنا اليوم حالة مؤسفة جداً يجب أن نبكى عليها وعلى ما اندثر من مفاخرنا وعدم معرفتنا لانتهاز الفرص المؤاتية فى سالف العصور لاكتساب المعارف والعلوم وتهيئة الجو الصالح لتثقيف أنفسنا حتى لا نحتاج الى الاستجداء من الغربيين وغيرهم .

«المسألة السابعة»

(فى ترتيب السماوات السبع والارضين السبع)

ان ماذكر سابقاً كان فى بيان حقيقة السماوات ، وظهرت هذه الحقيقة واضحة جلية لا غبار عليها ولا غموض ، ولكن يلوح لنا من كل ذلك ان كل سماء محيطة بأرضها احاطة تامة ، ولازم هذا أن تكون السماء الثانية على الارض الثانية وهما مجتمعاً على السماء الاولى ، والسماء الثالثة مع أرضها على السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ... فهل يتفق هذا مع المأثورات عن النبي وأهل بيته - عليهم الصلاة والسلام ؟

(الجواب)

ترتيبنا المختار تنطبق عليه مقالات الشريعة الاسلامية ويوافق الهيئة الكوبرنيكية .

أما الهيئة الغابرة فحيثما لم يجوز علماؤنا المحققون غيرها أصبحوا يتصرفون فى ظواهر أخبارنا لكى تأتلف وتطبق على تلك الهيئة بتفسيراتهم البعيدة ، مع ما ورد فى شريعتنا من الطعن والتشنيع على الفلاسفة الاقدمين وعلى آرائهم البالية ، وصراحة مقالات شرعنا فى خلاف ما هم عليه فى ترتيب السماوات والارضين .

قال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى رد من زعم ان الفلاسفة يقولون الفلك إذا تغير فسد : « ذلك قول الزنادقة » .

وقال على عليه السلام فى بعض خطبه المشهورة : « وكيف علقت فى الهواء سماواتك » .

وقال أيضاً فى خطبة له أخرى : « ونظم بلا تعليق رهوات فرجها».

وفى تفسير القمى عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ من أقطار السماوات ﴾(١) قال : « فاذا كان يوم القيامة أحاطت سماء الدنيا بالأرض وأحاطت السماء الثانية بسماء الدنيا وأحاطت السماء الثالثة بالسماء الثانية وأحاطت كل سماء بالتى تليها ثم ينادى : يامعشر الجن والانس .. » .

وظاهر هذا الحديث يهدى الى أن ترتيب السماوات كما يراه القدماء بحيث يكون كل سافل منها فى جوف عاليه لا يكون إلا يوم القيامة .

وإنما يتحقق النظام البطلميوسى فى السماوات على فرض تفسيرها بالافلاك بعد تبدل نشأة الدنيا بالآخرة لا غير .

والنقليات المنافرة لترتيب القدماء وافرة فى الشريعة الاسلامية ، والجدير بى أن أضرب عن ذكرها صفحاً واشير الى شرح ترتيبى بعد تمهيد مقدمة ، وهى :

ان المتأخرين قد ارتأوا بأدلة وبراهين ان أراضى سبعة من السيارات الشمسية محاطة ومتلبسة بالكرة البخارية كأرضنا وزهرة وعطارد والمريخ والمشترى وزحل وأرانوس ، ولم يصرحوا فى نبتون وفلكان بكرة بخارية ، كما ذكرنا فى مسألة حصر الأرضين فى سبعة ، وسيأتى تصريحاتهم بالكرات البخارية لكل واحدة واحدة . ولست بناس ما تلوناه عليك من جواز تسمية الكرات السامية باسم الارضين وانها سبعة ، كما لم تنس الشواهد العظيمة التى ذكرناها على ان السماء فى شرعنا هى الكرة البخارية الأرضية واسم السماء يقع

(١) سورة الرحمن آية ٣٣ .

على كل جرم علوى .

* * *

فاذا تمهدت لديك هذه المقدمات قلت : ظنى المستفاد من آثارنا الاسلامية هو ان الارضين السبع والسماوات السبع مرتبة بنظام الله الاكمل هكذا :

(الارض الأولى) هى التى نحن عليها وندفن فيها ، وإنما ابتدأنا بها لكونناقيها ولجهات كثيرة أخرى . والسماء الدنياهى كرتنا البخارية المحيطة بأرضنا

(الأرض الثانية) هى كرة زهرة بما عليها من الهواء والجبال والبحار، وإنما صارت الثانية لأن أولى الحالات فى اعتبار السيارات هو حال ظهورها لنا ومصيرها فى تجاهنا ، فتكون الزهرة عندئذ أقرب السيارات الى الارض ثم من بعدها عطارد ثم من بعده المريخ وهكذا الى بقية السيارات السبع . والسماء الثانية هى الكرة البخارية المحيطة بأرض زهرة وهوائها .

(الأرض الثالثة) كرة عطارد ، والسماء الثالثة كرته البخارية المحيطة به

(الأرض الرابعة) كرة المريخ وما عليها وما فيها . والسماء الرابعة الكرة البخارية المحيطة به .

(الأرض الخامسة) كرة المشترى . والسماء الخامسة كرة البخار الحافة بأرضها وهوائها .

(الأرض السادسة) كرة زحل وما فيها . والسماء السادسة كرته البخارية

(الأرض السابعة) كرة أرانوس . والسماء السابعة الكرة البخارية المحيطة بها .

انظر لتبيين ماقلناه الشكل (٢) وقد مضى فى صفحة ٦٣ .

ومن بعد ذلك الفضاء الفاقد للانفضاء المحيط بعالم شمسنا .

وإنما أخرجت نبتون وفلكان عن عداد الارضين لما مر فى مسألة حصر الأرضين فى سبعة .

وهذا الترتيب القريب قد صرح به الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع) فى خبر مروى عنه بأسانيد قوية فى اكثر كتب الامامية ولقد وجدته فى تفسير القمى وتفسير العياشى وهما من أبناء القرن الثالث والرابع الهجرى وفى تفسير سورة الطلاق والذاريات من كتاب مجمع البيان للشيخ الطبرسى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ وتفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى المتوفى سنة ١١٠٧ هـ ونور الثقلين المؤلف قبل سنة ١٠٦٥ وتفسير الصافى لمحمد محسن الفيض المتوفى سنة ١٠٩١ هـ وبحار الانوار والانوار النعمانية وقد صححنا اكثر هذه الكتب فى المقدمة الأولى من صدر هذا الكتاب والخبر الرضوى هو هذا بلفظه : ان الحسين بن خالد سأل الرضا على بن موسى عليه السلام عن ترتيب السماوات والارضين وقال له : كيف ذلك جعلت فداك ؟ قال : فبسط الرضا عليه السلام كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال : هذه الارض الدنيا والسماء الدنيا عليها فوقها قبة ، والارض الثانية فوق سماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة ، والارض الثالثة فوق سماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ، والارض الرابعة فوقها سماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبة ، والارض الخامسة فوق سماء الرابعة والسماء الخامسة فوقها قبة ، والارض السادسة فوق سماء الخامسه والسماء السادسة فوقها قبة ، والارض السابعة فوق سماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة ، وعرش الرحمن فوق سماء السابعة ، وهو قوله تعالى : ﴿ سبع سماوات ومن الارض مثلهن ﴾ .. الى أن قال - أى الحسين بن خالد : فما تحتنا إلا أرض واحدة ؟ فقال عليه السلام : ما تحتنا إلا أرض واحدة وان الست لهن فوقنا .

أقول : لا يرتاب عارف بالعلم واللغة ان هذا الخبر منطبق على ترتيبى

المذكور كانطباق اللفظ على المعنى والاسم على المسمى ، فهو المهد الذى اليه يستريح والمضمون الذى بمعانيه ينطبق ويصح الكلام الفصيح ، وهو نص قاطع وبرهان ساطع على صحة الهيئة الحاضرة وبطلان الهيئة الغابرة، لتصريحه بوجود الارضين الستة فوق أرضنا بل وفوق السماء وفاقاً للمعاصرين وخلافاً للقدماء .

وهل كان لعاقل فى غابر الزمان جرأة التفوه بأمثال هذه الكلم؟! ومن أجل ذلك تاهت العقول من علمائنا المتقدمين فى فهم هذا الخبر المقدس الساطع منه أنوار الامامة والوحى ، وإذ لم يتمكنوا من تكذيبه وطرحه لسبب قوته وشهرته تشوشوا فى شرحه :

قال العلامة المجلسى بعد نقل الخبر : « ولما كان هذا الخبر ظاهراً مخالفاً للحس والعيان فيمكن تأويله ، فأوله بمعنى فاسد بعيد غير مناسب .

وقال السيد نعمة الله الجزائرى فى الانوار النعمانية : ولا يخفى ما فى هذا الحديث من الاشكال وعدم امكان تأويله حتى ينطبق على الاخبار وظواهر الآيات أو على أقوال الحكماء والرياضيين ، وهذا لا يوجب رده بل يجب التسليم والانقياد له وإرجاعه الى متشابهات الاخبار .

أقول : لقد أصاب هذا السيد الجليل فى مخالفته مع الحكماء فى هذا الحديث ، ولكنه اشتبه إذ حكم بمخالفته لظواهر الآيات والروايات ، فانه لم يخض فيها خوض تحقيق ولم يغص غوص اجتهاد وتدقيق ولم يستنشق طيب طيب الفلسفة الحديثة حتى يفوز بما فزت به . والحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولى على ترتيبى المذكور شاهد قوى غير ذلك الحديث الرضوى وغير اظهار على عليه السلام تعليق السماوات فى الهواء ، وغير قوله عليه السلام : « الحمد لله

الذى لاتوارى عنه سماء سماءاً ولا أرض أرضاً ، ذلك هو المضمون المتواتر فى الآثار الاسلامية ، أعنى كون السماوات السبع متباعداً كل منها عن السماء الأخرى بمسافة سير خمسمائة سنة ، وكذلك الأرضون السبع متباعد كل منها عن الأرض الأخرى بمسافة سير خمسمائة سنة ، ولو تأملت علمت ان ذلك بظاهره لا يكون إلا على ترتيبنا الماضى ، فان المقصود من مسيرة خمسمائة عام غير معلوم تحقيقاً ، ضرورة اختلاف السير حسب اختلاف الأحوال والأوقات والأشخاص والأدوات وغير ذلك من الجهات ، ولكنا نعلم اجمالا ان المقصود من هذا التحديد فى تباعد الارضين هو المراد فى تحديد تباعد السماوات ، والنتيجة تساوى المسافات فمن كل أرض الى أرض أخرى كمثل المسافة من كل سماء الى سماء أخرى ، كما ستستمع التصريح بهذا المعنى فى طى أخبار المسألة .

* * *

وبعد تمهيد ذلك نقول : ان أراضى السيارات السبع إذا انتظمت على ابعادها المعلومة تقريباً وكانت السماوات السبع كراتها البخارية كان ما بين أرض والاخرى مسافة مثل ما بين سمائها وسماء أخرى تقريبـــاً ، كما نطقت به الأخبار الكثيرة .

ولو حققنا النظر فى مسيرة خمسمائة عام لازداد هذا الشاهد قوة وظهوراً فانا ان فرضنا دابة متعارفة تسير كل ساعة فرسخاً كما هو معلوم ومعمول أبداً حتى ان عرفنا يسمى الفرسخ بهذه المناسبة ، (١) فيكون مجموع سيرها فى كل سنة تسعة آلاف فرسخ تقريباً ، ثم يكون المجموع من مسيرها فى خمسمائة

(١) لأن لفظة الساعة مأخوذة من (السعى) بمعنى السير وقطـــع المسافة (ف) .

عام أكثر من ستة عشر مليون ميلا (١) .

وهذا التحديد - كما تعلم - قريب جداً من تحديدات المتأخرين فى مسافة الفواصل بين أراضى السيارات ، ولا يناسب مبنى آخر ولا هيئة أخرى .

ولنذكر نبذة من الأدلة الناطقة بهذا المعنى :

١ - فى البحار والدر المنثور نقلا عن سبعة كتب أو أكثر فى خبر طويل من جملته : « ان ما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام » .

٢ - قال الفاضل النيسابورى فى تفسيره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ : « انها سبع أرضين ما بين كل واحدة منها الى الأخرى مسيرة خمسمائة عام كما جاء فى ذكر السماء وفى كل أرض منها خلق » الى أن قال « وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم ويشهدون الضياء منها » .

وفى هذه الألفاظ الأخيرة دلالة أخرى على صحة ترتيبنا تلوح لمن حقق النظر .

وقد ذكر شراح نهج البلاغة كالراوندى وغيره ابعاد السماوات والارضين هكذا فى أوائل كتبهم .

---

(١) ظهر لى فى رجب سنة ١٣٣٦ هـ أن المقياس فى مسيرة خمسمائة عام المتواتر فى الأحاديث الشريفة ليس هو بسير الابل ونحوه ، بل المقياس مذكور فى الاحاديث نفسها ، وهو سير الطير كما ترى فى حديث التوحيد للصدوق بسنده عن الامام الصادق عليه السلام : « ان لله تعالى ملكا بعدما بين شحمة اذنه الى عنقه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير » وهكذا فى أحاديث أخرى ، وهذا التقدير لا يناسب أبواب السماوات بل يناسب أبواب العرش والكرسى ، كما ان هذه الاخبار أيضاً واردة هناك ، فان سير الطير فى كل يوم ينوف على مائة فرسخ - فلاحظ .

٣ - فى البحار ج ١٤ باب عدد السماوات والدر المنثور عن ١٩ كتاب عن عباس عم النبى قال : كنا عند النبى ﷺ فقال : « هل تدرون كم بين السماء والارض » والخبر طويل نعرض عن ذكره وخلاصته ان ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام .

٤ - وفى الدر المنثور عن عدة كتب بأسانيدهم عن ابى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام » وكذلك الى السماء السابعة والأرضون مثل ذلك .

٥ - عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿ فسواهن سبع سماوات ﴾ قال : « بعضهن فوق بعض بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام » .

٦ - فى البحار عن ابن عباس صاحب النبى ﷺ : « ان ما بين كل أرض الى أرض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام » .

٧ - فى كتاب دائرة المعارف فى لغة السماء عن أبى هريرة قال : خرج رسول الله (ص) على أصحابه وهم يتفكرون ، فقال : فيم أنتم ؟ فقالوا : نتفكر فى الخالق . فقال (ص) لهم : « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ، تفكروا فى ان الله تعالى خلق السماوات سبعاً والارضين سبعاً وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سمائين خمسمائة عام ، وفى السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه » .

أقول : ولن تجد ترتيبنا فى الظاهر ينطبق عليه جميع هذه الظواهر إلا ما ذكرته ورتبته .

وقوله (ص) : « وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله » إشارة

الى ماذكرته فى شرح البحار السبعة من مسألة تعدد الارضين ان الفضاء الممتلىء من الجوهر المواج الأثيرى أشبه شىء ببحر مواج تسبح فيه الحيتان الصغار والكبار . فاذا اعتبرته بحسب مجارى السيارات فيه صار سبعة أبحر ، وإذا اعتبرت جميعه شيئاً واحد كان بحراً واحداً عمقه مقدار مسافات السماوات والأرضين .

ويجوز أن يكون الملك القائم فى هذا البحر هو الجوهر القدسى الحافظ بقوة جذبه نظام عالمنا الشمسى .

٨ - فى تاريخ علم الفلك للطلياني عن مسند احمد بن حنبل بسنده المرتقى الى عباس عم النبي عن النبي (ص) انه قال : « ان بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض » .

أقول: الظاهر حمل السماوات فى هذا الخبر على الأجرام السامية السيارة

٩ - عن قتادة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ سبع سماوات ﴾ قال : « بعضهن فوق بعض ، بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام » .

١٠ - فى تفسير أبى السعود بن محمد من فضلاء المائة التاسعة الهجرية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ . ان الجمهور (يعنى اكثر المفسرين والمحدثين) على انها سبع أرضين بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض ، وفى كل أرض سكان من خلق الله تعالى ...

قلت : وهذه الألفاظ صريحة فيما ذهبت اليه ولا تكاد تنطبق إلا عليه ولا ينقضى استعجابى من غفلة المحققين عن هذه الآثار الواضحة مع انها تنادى وتصيح بمفاد صحيح هو عين ترتيبى المتقدم ذكره .

١١ - فى تفسير القمى فى سورة مريم والبحار بسند صحيح عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى خبر ادريس النبى عليه السلام : « انه قال لملك الموت : ان غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الرابعة الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الثالثة الى الثانية مسيرة خمسمائة عام ، وكل سماء وما بينها كذلك » .

أقول : لا يخفى ظهور الخبر فيما مر ، ولكن الاشكال إنما هو فى قوله (ع) : « غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام » إلا ان يراد بالسماء الرابعة كرة البخار من أرض المشترى ، فانها عند الابتداء من فوق أرضنا رابعة السماوات ، وهى غليظة جداً . أو يراد من السماء نفس كرة المشترى .

وقد ذكرنا مراراً ان السماء كثيراً ما تطلق على نفس أجرام الكرات السامية ، وغلظ جرم المشترى ليس ببعيد من هذا التحديد ، فان قطر الارض ثمانية آلاف ميل وقطر المشترى اكثر من ستة وثمانين ألف ميل ، أو يراد المجموع المكور المركب من جرم المشترى وكرته البخارية - والله أعلم بالصواب وأولياؤه الملهمون (١) .

* * *

وخلاصة النتائج فى هذه المسألة ان الآراء المعتمدة عليها فى الهيئة الجديدة متفقة على وجود الأراضى العديدة السيارة فى الفضاء الفارغ ، وعلى ان لكل منها كرة بخارية محيطة به ، ونحن لا نجد مانعاً شرعياً أو عقلياً

(١) كل هذه التوجيهات وجيهة ومقبولة لو كان الغلظ المذكور فى الحديث مختصاً بالسماء الرابعة فقط ، ولكن ماذا نصنع مع الجملة الاخيرة فى الحديث الشريف : « وكل سماء وما بينها كذلك » فان هذه الجملة تنادى بعدم اختصاص هذا الغلظ بالرابعة بل انه موجود فى كل سماء من السماوات السبع - (ف) .

يمنعنا عن تطبيق الارضين والسماوات على ذلك ، بل نجد الأدلة الصريحة - فضلا عن الامارات فى آيات شرعنا مضافاً الى الروايات - ناطقة بأن الأرضين فى عالم شمسنا سبعة ، وهى اجرام منفصلة متباعدة بمسافة عظيمة كمسيرة خمسمائة عام ، وان السماوات السبع متكونة من بخار الماء ، وكل سماء منها محيطة بأرض من الارضين السبع - كما تقرر فى الهيئة العصرية .

فأى مانع يصدنا عن اختيار هذا التطبيق وحمل الظواهر عليه ، مع مافى ذلك من الثمرات الجسيمة مثل شرح الاخبار المستصعبة وحل ما اعتاص وتشابه من ظواهر الكتاب والسنة ، ومثل اثبات ان النبى الامى ﷺ لم يكن ترجماناً لآراء الفلاسفة الأقدمين ، بل كان مخالفاً لهم فى علومهم وعقائدهم ناهياً عن تصديقهم .

والأعظم الأتم فى مثل ذلك اظهار صدق الشريعة الاسلامية - كثر الله حماتها فى البرية - وتقدمها على المتأخرين فى الاخبار عن هذه الحقائق والأسرار والأمور التى قصرت عن نيلها الأبصار والبصائر وعجزت عن دركها العقول والمشاعر .

فوالهفاه على ما اندرس من آثار الاسلام ! وآهاً آه على ما فاتنا من أقوال الحجج الكرام ! فكم قد أهمل الحفاظ والرواة آثاراً وأحاديث فى هذه الابواب ، فلم ينقلوها من شدة غرابتها عن عقولهم ، وتنفر أبناء ذلك الزمان من أمثال هذه المضامين ، فلم يظهرها الرواة خوفاً من تهكم الجاهل بالناقل أو القائل ، ومع ذلك كله طفح علينا من رواشح هاتيك الأخبار والآثار رشيحات سقت حدائق العلوم سيحاً .

«المسألة الثامنة»

(فى كون الشمس مركزاً لحركات الأجرام)

قد تقرر فى الهيئة الكوبرنيكية بعد القرون الكثيرة الهجرية ان شمسنا هذه ثابتة فى مركز الحركات كاحدى ثوابت الكون يستقيم بها نظام مجذوباتها فهى فى أوسط هذا النظام كالمركز لأدوارها .

فماذا يصنع المسلمون بما يوجد فى شرعهم الأقدس من الظواهر الدالة على تحرك الشمس وجريانها ؟

(الجواب)

خالف الفيلسوف المؤسس (كوبرنيك) ومن بعده جميع المتقدمين ، فارتأى ثبات الشمس وتوسطها لدوران الكرات السيارة حولها شبه المركز ، فهى كالبيت الحرام لطواف حجاج الاجرام على أفلاك بيضوية ، ويقع قرص الشمس فى أحد المحترقين ، كما يبدو فى الشكل الثانى وقد مضى فى صفحة ٦٣ .

ثم لا يذهب عنك ان هؤلاء المتأخرين إنما ينفون التحرك عن جرم الشمس بالنظر الى وضعه مع اتباعه ومجذوباته ، ولا ينفون التحرك عنها رأساً كيف وهم ينادون فى كل ناد ان للشمس تحركا على نفسها وضعياً وفى بيداء الفضاء انتقالياً ، ولا يناقض ذلك كونها أيضاً مركز الحركات ، نظير الارض فانها مركز لادوار القمر ، وهى مع ذلك سيارة على نفسها وحول الشمس مع القمر فكما ان الذى يكون على سطح القمر لا يشعر بسير الارض السنوى إلا إذا

انتقل الى كرة غيرها كذلك من كان على سطح الشمس الجارية أو على سطح احدى كراتها المنجذبة، فانه لا يشعر بسير الشمس الانتقالى ، إذ المجموع من الجاذب والمجذوب سيار بسير واحد .

نعم إذا انتقل الناظر الى كرة خارجة عن نظام شمسنا أدرك التحرك الانتقالى للشمس بسهولة .

حركتا الشمس

ولنصرف عنان البيان نحو المقصد الأصلى فنقول : ان المتأخرين عن الالف الهجرى أثبتوا حركتين لجرم الشمس مع قولهم بمركزيتها لادوار اتباعها

(احداهما) حركة وضعية فى حيزها على محور نفسها فى خمسة وعشرين يوماً ونصف بالتقريب ، اكتشفوها فى القرن السابع عشر من الميلاد . وقد اتفقوا الآن على هذه الحركة واستنبطوها من تحرك الكلف والبقع والشامات والعلامات المنكشفة على سطح الشمس كلها على نسق واحد من الغرب الى الشرق فى المدة المبينة .

(الثانية) حركة انتقالية فى البعد البعيد والفضاء المديد تسير بنفسها وبجميع مجذوباتها الرابية فى حجر شفقتها ، فهى تعدو كالمرأة الهائمة فى بيداء الجو ويعدو خلفها أطفالها بلا مأوى ولا مثوى .

ولكن القوم مختلفون فى استطالة هذه الحركة واستدارتها وفى مركز دورها وفى جهة الحركة وصوبها ساحبة من ورائها فيف سياراتها حول العالم:

قال فى حدائق النجوم : ان عالم شمسنا يتصاعد الى نجم فى الفخذ الايمن

من الجاثى على ركبتيه فى سطح معدل النهار .

وفى مشهد الكائنات عن قاموس القواميس المطبوع بباريس عند ذكر الشمس : انها لا تخلو من حركة فى الافق ، لانها تميل نحو مجموع انجم هركيل جارة وراءها بمجموع السيارات المحيطة بها ، ولها أيضاً حركة على نفسها تتمها فى خمسة وعشرين يوماً وخمس ساعات من الغرب الى الشرق على محور عمودى فى فلك البروج .

وقال فانديك فى كتاب الهيئة : فقد اتفق أشهر علماء الهيئة الآن على ان الشمس ونظامها من العوالم السائرة نحو نقطة من القبة السماوية موقعها على الخط الموصل بين (أ) و(ب) الجاثى على ١/٤ البعد بينهما عن (أ) أى مماس هذا الفلك العظيم ينتهى الى (أ) الجاثى شمالا والى (ج) الحمامة جنوبا ، والحركة السنوية الى تلك الجهة ١٦٢١ من نصف قطر فلك الارض ، أى ٠٠٠ ٤٠٠ ١٤٨ ميل ، وهى دائرة حول نقطة فى الثريا مركزاً أى (ب) الثور حسب رأى ميدلر ، وسرعة هذه الحركة نحو أربعة أميال كل ثانية .

وقال فى الآيات البينات : والشمس باجماع الفلكيين الآن تسير بكل اتباعها الى نقطة فى الجاثى بسرعة معدلها نحو ٤٢٢٠٠٠ ميل فى اليوم ، وظن بعضهم انها تدور بكل عالمها حول اضو أنجم فى الثريا يسميه الافرنج (الكيوتى) ويسميه العرب (عقد الثريا) .

وفى المجلد الحادى عشر من مجلة الهلال المصرية ص ١٢٤ : ان الاستاذ (كمبل) مدير مرصد ليك من أمريكا يعتقد ان الارض تدور حول الشمس كما فى هيئة كوبرنيك ، ولكن الشمس تسير دائماً من الجنوب الى الشمال ونظامها يتبعها ، فهى لا ترسم أفلاكا فى مسيرها هذا بل ترسم خطاً متعرجاً يشبه الحية حال مشيها - كما فى الشكل (٦) .

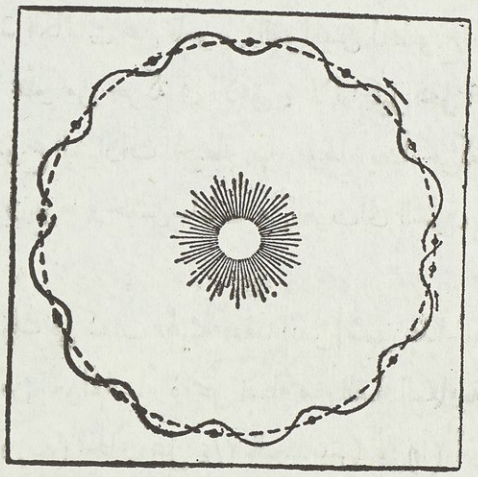

(ش - ٦) سير القمر اللولبي حول الشمس

وقال كمبل : ربما تبادر الى الأذهان ان الشمس تسير فى خط منحنى ، بحيث يعود نظامها بعد دهر وادهار الى نقطة مبدئها ، ولكننا لا نمنع أن تكون سائرة فى خط مستقيم كما تسير القنبلة من المدفع (١) .

* * *

(١) قال الطنطاوى فى كتابه : فاعلم ان حركة قنبلة المدفع لا تزيد عن عشرة أميال فى الدقيقة ، وسرعة الارض فى حركتها اليومية ١٦ ميلا فى الدقيقة وفى الحركة السنوية الف ميل فى الدقيقة ، وفى الحركة العمومية للنظام الشمسى ثلاثمائة ميل كما نقله اللورد افبرى ، مع ان الزهرة وعطارد أسرع منها إذ يبلغ الاخير قريباً من الفى ميل فى الدقيقة ، أى كسرعة قنبلة المدفع مائتى مرة ..

أقول : بهذا يستدل على ان الحركتين اليومية والسنوية للأرض وإلا لذابت من الحرارة كقنبلة المدفع .

إذا اطلعت على اتفاق المحققين من الحكماء المتأخرين على تحرك الشمس بحركتين وضعية وانتقالية قلنا لك : ان الظواهر الاسلامية دالة على تحرك الشمس فقط من دون تعرض أو ارشاد الى بيان تلك الحركة ، فهى مسوقة على منهج يستقيم مع القول بالحركة اليومية أو السنوية للشمس كما قال بهما المتقدمون ويستقيم أيضاً مع القول بالحركة الوضعية أو الانتقالية للشمس كما قال بهما المتأخرون ، بل لو منحت ألفاظها تدبراً صادقا لظفرت على امارات وشواهد مقترنة بها تشير الى الآراء الجديدة فى الشمس وأحوالها :

(منها) قوله تعالى فى سورة يس بعد ذكر الشمس والقمر والمنازل والأرض : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ (١) وقد ذكرنا غير مرة ان هذه الآية الكريمة لا ينطبق ظاهرها على الهيئة القديمة ، إذ يمتنع لديهم تحرك الكواكب فى جسم الفلك ، ولاجل ذلك التزم القدماء صرف ظاهر الآية بنحو التجوز ، ونسبة السباحة الى المتحرك بالعرض ـ أى الكواكب ـ دون المتحرك بالاصالة ـ وهو الفلك ـ كنسبة التحرك الى الجالس فى السفينة .

وأما نحن المتأخرين فنى غنى عن ارتكاب التجوز والتأويل ، فنأخذ بظاهر الآية ونقول بتحرك نفس الشمس والقمر والمنازل السماوية والارض ونحوها بالحركة الانتقالية كل فى فلك مخصوص به ، غاية الامر ان فلك الشمس مجهول المركز وباقى الافلاك محيطة بالشمس .

(ومنها) قوله تعالى فى سورة يس أيضاً : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (٢) فاحتج الاوائل بظاهرها على كون الحركة المحسوسة طلوعاً وغروباً إنما هى للشمس ، واضطربوا فى ﴿ لمستقر ﴾ فأخذوا اللام تارة بمعنى الى وفسروا المستقر بمبدأ البروج ، وأخرى بمعنى فى وفسروا

(١) سورة يس آية ٤٠ .
(٢) سورة يس آية ٣٨ .

المستقر بفلكها .

وعندى فى كلا التفسيرين نظر :

(أما الأول) فلأن المقصود من المستقر لو كان هو البرج الذى تعود اليه الشمس واللام بمعنى الى لاستلزم سكون الشمس بعد حلولها فيه ، وهذا باطل قطعاً ، ووجه اللزوم هو كون مابعد الى غاية للجريان مثل « صمت الى المساء » فلا يشمل الحكم لمابعد الغاية ، فيلزم سكون الشمس بعد وصولها الى البرج الذى ابتدأت منه ، كما لو قلت : « جرى الماء الى موضع كذا » أى لم يجر من بعد ذلك الموضع .

(وأما الثانى) فلأن المستقر لو فسر بالفلك وكان اللام فيها بمعنى فى كان المعنى ان الشمس تجري فى جرم فلكها ، وهو مسلم البطلان فى الهيئة القديمة ومناف لمبانيها .

هذا ، ولا يلزم شىء من هذه المحاذير إذا حفظنا ظاهر الآية وطبقناه على النظام الجديد بحمل الجريان على الحركة الانتقالية للشمس فى أعماق الفضاء تائهة المأوى وحمل المستقر على زمان الاستقرار لامكان الاستقرار ، فيكون المعنى - والله أعلم - : والشمس تجرى الى أن يأتى وقت القرار وهو يوم القيامة اذا الشمس كورت والنجوم انكدرت .

واحتمل العلامة الكبير السيد محمد حسين الشهرستانى المرعشى وغيره : ان المستقر بمعنى محل الاستقرار ، وتكون اللام بمعنى (فى) كما فى قوله تعالى ﴿ ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ (١) أى فى حياتى ، وفى قوله تعالى : ﴿ لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾ (٢) أى فى وقتها ، وغير ذلك . فيكون المعنى - والله أدرى - ان الشمس تجرى وتتحرك فى مستقرها وموضع قرارها بالحركة

---

(١) سورة الفجر آية ٢٤ . (٢) سورة الاعراف آية ١٨٧ .

الوضعية ، ويكون قوله تعالى : ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ اشارة الى لطف هذه الحركة فى بادىء النظر وفى نفس الأمر .

هذا كله بناءاً على القراءة المعروفة المتداولة ، أعنى قراءة عاصم برواية حفص ، وأما على القراءة المروية عن أئمة آل النبى ﷺ : ﴿ والشمس تجرى لا مستقر لها ﴾ بلا النافية فتنطبق على الحركة الانتقالية المنقولة عن المتأخرين انطباقاً ظاهراً لا يحتاج الى تجشم التفسير . وهذه القراءة الأخيرة رواها المفسرون عن أمير المؤمنين على عليه السلام وسبطه زين العابدين والامامين محمد الباقر وجعفر الصادق وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء وغيرهم

واختار هذه القراءة شيخنا الشريعة الاصفهانى كما سمعته منه ورأيته أيضاً فى كتابه (انارة الحالك فى قراءة ملك ومالك) ، ونقل هذه الأقوال عن مجمع البيان والدر المنثور . وهى تدل على ان الشمس ليس لها مركز محسوس تدور حوله كما يحسبه (كمبل) الامريكى . أو تدل على انها لا استقرار لها كما هو الحق ، إذ الـ (مستقر) مصدر ميمى .

(ومنها) قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ (١) فان الصارف لظاهر الآية عن النظام الغابر الى النظام الحاضر هو اسناد الحركة الشديدة المفهومة من لفظ التسخير والدأب الى نفس الشمس والقمر ، فانهما إنما يتحركان بأنفسهما فى جوف الجو فى النظام الجديد ولا يتحركان قط فى النظام التليد إلا بحركة أفلاكهما .

ولعين هذه العلة كان أسلافنا يصححون تفسير الآية بعد بنائهم على الهيئة القديمة ، اما بحملها على التجوز فى الاسناد أو بحملها على الهيئة العرفية .

وقد علمتم بفضل الله تعالى صحة الاعتماد على ظاهر الآية من دون

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٣ .

ارتكاب تأويل أو تصرف بعد البناء على الهيئة الحديثة والقول بتحرك الشمس وضعاً وانتقالا ، وان كان الأوجه قصد الحركة الوضعية من تسخير الشمس والقمر .

* * *

فان قلت : مساق الآية على اظهار نعم الله تعالى لعباده ، وتسخير الشمس بمعنى تحريكها بالحركة الحسية اليومية والسنوية يدرك الكل له منافع عظيمة وفوائد عميمة تحقق كون ذلك نعمة ومنة ، وأما تسخير الشمس بمعنى تحريكها حول نفسها فى موضعها فلا ندرك له منفعة لنا أبداً حتى يتحقق كون ذلك التسخير نعمة للناس .

قلت : راجع كتب القوم وما سطروا فيها من المنافع العظيمة الظاهرة فى كرة أرضنا الناشئة من دوران الشمس على نفسها ، فان سطوح الكرة الشمسية مختلفة جداً ، ففى بعضها كلف وشامات كبيرة يبلغ القطر من بعضها خمسين ألف فرسخ - انظر شكل (٧) .

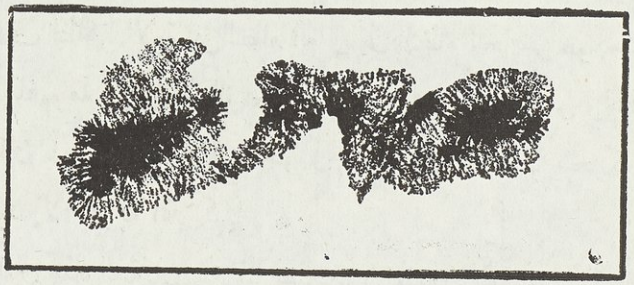

(ش - ٧) نوع من الكلف الشمسى

وفى بعضها مشاعل عظيمة وملونة ، ولهبات شديدة الحر والشرر من اشتعال الاجزاء المغنيسيومية وغيرها - انظر شكل (٨) .

والمقصود انهم رأوا فى ظهور هذه الشامات والكلف ونحوها على وجه الشمس إذا قابل الارض فى دوره - بل أيقنوا من العلائم - ان ظهورها تيك الامور مؤثرة تأثيراً عظيما فى الشفق وفى جونا وفى الظواهر الكهربائية والابر المغناطيسية، فتضطرب وتنحرف عن القطب انحرافاً فاحشاً مختلفاً باختلاف الكلف ، حتى ان معظم المطر يوافق معظم الكلف والعكس بالعكس - كما صرح به فانديك .

ونقلت (اليزا افرت) فى كتابها مختصر الهيئة عن (هرشل) ان مواجهة كلف الشمس للأرض مؤثرة فى فصولها من جهة خصبها وقحطها .

ثم قالت : ان ما انتهت اليه الى الآن معرفتنا بهذه الامور هو ان مدة زيادة الكلف توافق زيادة وقوع الأمطار فى الاقاليم الاستوائية .

أقول : بل يؤثر فى الحر والبرد أيضا ، لا سيما فى الاقاليم الاستوائية وله غير ذلك من التأثيرات النافعة لنوع العباد .

فلا غرابة فى أن يكون تسخير الشمس فى سيرها المحورى من البارى تعالى لأجل حصول هذه الحالات فى الارضين متاعاً لهم وانتفاعاً .

وستطلع أيضاً فى المقالة السادسة من البحث الاول من مسألة صفات الشمس على الامطار الشمسية الناشئة عن دوران الشمس ، كما تنشأ الامطار الارضية عن دوران الارض ، ونذكر هناك تأثيرات الامطار الشمسية فى أرضنا فتكون أيضا من فوائد تسخير الشمس بتحريكها الوضعى .

يقول المؤلف هبة الدين الحسينى : ولى أيضا رأى تحدسته فى سبب حركات الارضين من الغرب الى الشرق وان ذلك ناشيء من تحرك قرص

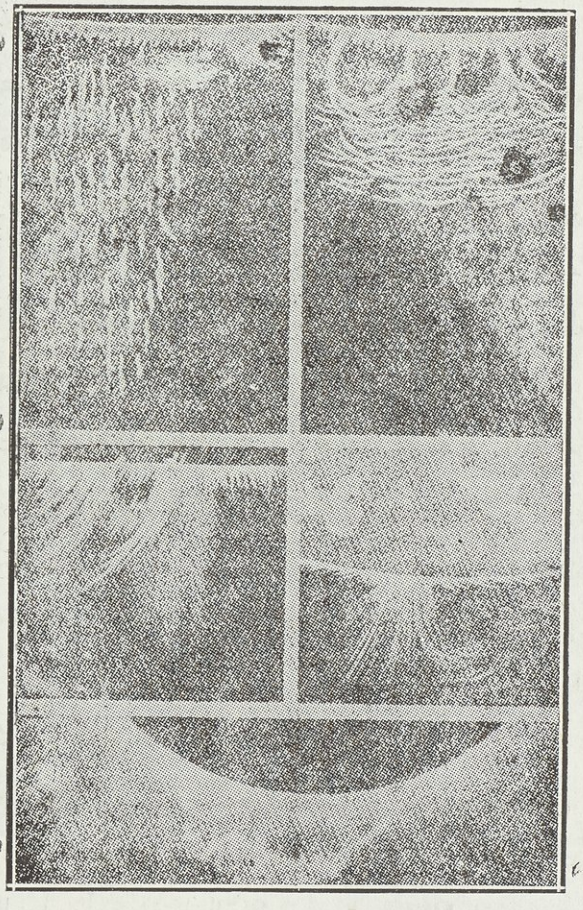

(ش ـ ٨) اللهبات النارية المختلفة فى الشمس

الشمس فى حيزها كذلك فتتبعها بناتها المجذوبة لها . ولا يستطيع هذا المقام بيان منشأ هذا الحدس وشرحه ، وليس الغرض إلا بيان ان الارضين إذا كانت أدوارها اليومية والسنوية ناشئة عن دور الشمس على نفسها من الغرب إلى الشرق ، وكذلك أدوار الاقمار والسيارات ، فقد عادت الفوائد والمنافع بأسرها إلى تسخير الشمس وتحريكها الوضعى على ما مر ، وارتفع الاعتراض والشك من دون شك .

(ومنها) قول على أمير المؤمنين عليه السلام فى بعض خطبه : « والجو المكفوف الذى جعلته مغيظا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ، وهو ظاهر فى كون التحرك والجريان لنفس الشمس والقمر - كما يراه من تأخر - لا أفلاكها كما عن القدماء .

ومن بعد تفسير هذا الجريان بسير الشمس وباقى الاجرام فى جوف الجو - كما تقدم عن المتأخرين - يبقى ظهور الكلام محفوظا على أبلغ منهج .

وصدر هذا الكلام مصرح بظهور الليل والنهار من تحرك الظلمة والنور إذ الليل ليس عند التحقيق إلا ظل الارض المتحرك دائما من مشرق الارض إلى مغربها ، والنهار فى الحقيقة ليس غير النور الشمسى الذى يشرق من مشرق الارض دائما ويغيب فى مغربها .

ومعنى كون الجو مغيظا لهما انه موضوع غروبهما ، ففى نسبة « الغيض » بالضاد والغروب إلى الظلمة والنور لا إلى نفس الشمس اشعار بأن الحركة الليلية والنهارية إنما هى للظلمة والنور ، فلا تنافى عندئذ سكون الشمس ، لجواز حصول هذه الحركة للظلمة والنور بسبب تحرك الارض .

فكأن الامام عليه السلام أشار أولا إلى عدم مدخلية الشمس فى ايجاد الليل والنهار ثم أثبت للشمس جريانا مستقلا ، وهو سيرها السريع فى أعماق الجو

الوسيع . راجع الدليل الرابع عشر فى مسألة حقيقة الفلك .

* * *

وفى القرآن العظيم آيات يمكن الاستشعار منها بمركزية الشمس للسيارات (١) :

(أحدها) قوله تعالى : ﴿ والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها ﴾ (٢) حيث اشار تعالى فى القمر إلى تلوه وتبعيته فى الحركة ، وسكت فى الشمس عما يوهم تحركها بل اكتفى بذكر أظهر صفاتها وهو نورها وشعاعها الملائمان للطباع والابصار فى صدر النهار ، فلو كانت الحركة المحسوسة لذات الشمس كان ذلك التحرك من أظهر صفاتها وأحقها بالذكر .

وأيضا فى التعبير بلفظة ﴿ تلاها ﴾ اشارة الى تبعية القمر للشمس فى الحركة كما يراه المتأخرون ولم يكن بين القدماء ذكر من تبعية القمر وغيره للشمس فى الحركة بلا واسطة ولا معها .

---

(١) لا تنس أيها القارىء الكريم ان البحث فى هذه المسألة الثامنة كان حول ان الشمس مركز لحركات الاجرام السيارة ، ولكن سماحة المؤلف ذكر فى أوائل المسألة ان مركزية الشمس للسيارات التابعة لها لا تنافى مع تحرك الشمس وبقية توابعها مجتمعة بحركة خارجية ، ورأى بمناسبة المقام أن يذكر حركات الشمس وبعض الادلة الشرعية القائمة على هذه الحركات وفى الحقيقة ان هذا الموضوع كان خارجا عما هو بصدده ومن هنا يبدأ بالموضوع نفسه ، أى ذكر مركزية الشمس لحركات الأجرام السيارة التابعة لها - (ف) .

(٢) سورة الشمس آية ١-٢ .

(وثانيها) قوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ﴾ (١)
قال نور الله : ان هذه الآية تشير إلى ان الشمس هى الجاذبة للقمر دون العكس ، ويشبه قولك فى سفينتين عظيمة وصغيرة تتبعها أن تقول : « لا العظيمة ينبغى لها أن تدرك الصغيرة » أى لا يليق لها بل يليق بشأن الصغيرة الالتحاق بالكبيرة - فتأمل .

واحتمل العلامة الشهرستانى المرعشى انطباق هذه الآية والثالثة على النظام الحديث من حيث ان الشمس مركز الحركات لا تتحرك والقمر لا يزال فى دور وانتقال ، فيصدق قوله تعالى: ﴿ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ﴾.

أقول : ان الادراك ظاهر فى لحوق الشىء لما تقدم عليه بسرعة ، والشمس فى سيرها الانتقالى مع السيارات تسير أربعة عشر ميلا فى الثانية ، والقمر فى سيره الانتقالى مع الأرض يسير عشرين ميلا فى الثانية ، فالشمس لا ينبغى لها أن تدرك القمر على آراء المتأخرين أيضاً .

يقول المؤلف هبة الدين : ونجوى فكرتى ان هذه الآية الكريمة ناظرة الى الحركة الانتقالية للشمس وآية ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ ناظرة الى الحركة الوضعية لها ، فسورة يس مشيرة الى حركتى الشمس الوضعية والانتقالية معاً .

(وثالثها) قوله تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل ﴾ (٢) حيث وصف تعالى الشمس بالاضاءة والقمر بالنورانية ، ثم خصص القمر بالتحرك فى منازله المقدرة وسكت عن تحرك الشمس ، فلو كانت متحركة فى البروج حقيقة - كما زعمه الأقدمون - لكانت الشمس بهذا

(١) سورة يس آية ٤٠ .
(٢) سورة يونس آية ٥ .

التخصيص أولى كما لا يخفى ، مع تعليل ذلك بمعرفة العباد عدد السنين والحساب

وقال نور الله : ويؤيده ان الشمس لو كانت هى المتحركة لكانت أولى بأن توصف بالتقدير فى البروج ، سيما مع اقترانها لفظاً بالقمر المقدر فى المنازل . وحيث ان الله وصفهما بعد ذكرهما وسكت عن تحرك الشمس فى بروجها مع أولويتها دل ذلك على سكونها واختصاص القمر بالسير .

ومثل هذه الآية قوله تعـــالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (١) فانه تعالى بعد ذكر الشمس والقمر مقترنين أفرد القمر بخاصية التقدير فى المنازل دون الشمس مع انها أولى بذلك عند القدماء .

* * *

بقى التعرض لبعض ما يستدل به على صحة النظام القديم من المأثورات الشرعية :

(منها) ما فى روضة الكافى والوافى وتفسير القمى والبحار وغيرها بالاسانيد القوية عن الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ان للشمس ثلاثمائة وستين برجاً كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب ، فتنزل كل يوم على برج منها » .

وهذا الخبر رواه فى مجمع البحرين عن النبى صلى الله عليه وآله ، وشرحه أسلافنا على الوضع القديم فى الهيئة قائلين : ان المراد من البرج درجة الدائرة جرياً على المعنى اللغوى لا البرج بالمعنى الاصطلاحى - أعنى سدس نصف الدائرة - والدائرة منقسمة الى ثلاثمائة وستين قسما متساويا تسمى كل قسمة درجة وتنزيل الشمس كل يوم فى برج منها - أى فى درجة واحدة - حتى تكمل الدورة فى سنة ، فنسبة النزول الى نفس الشمس فى الحركة السنوية مشعرة بكون الشمس

(١) سورة يس آية ٣٩ .

متحركة .

قلت : وفى الخبر شواهد واضحة على بطلان هذا التفسير :

(أحدها) ان الدرجة لدائرة الشمس عند القدماء - سواء أخذتها من فلك الشمس أو من فلك البروج - فانها اضعاف كرة الارض تماماً، فكيف يصدق مع ذلك قوله عليه السلام : « كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب » فان الجزر الواقعة فى جزيرة العرب صغيرة جداً ليس لها قدر محسوس بالنسبة الى مجموع الارض ، فكيف ينطبق عليها درجة الفلك الفاضلة على أضعاف مجموع الارض ؟ فاعط النظر حقه .

(وثانيها) ان الشمس لا تقع على درجة واحدة فى كل يوم من دائرة البروج ، بل هى فى غاية الاختلاف ، فقد تقع على اكثر من درجه فى اليوم وقد تقطع الأقل منها - كما لا يخفى .

(وثالثها) ان السنة الشمسية اكثر من ثلاثمائة وستين يوماً بعدة أيام ، واللازم من تفسيرهم المذكور للخبر المسطور أن تكون السنة ثلاثمائة وستين يوماً لا أقل من ذلك ولا اكثر ، وهو باطل جزماً .

هذا ، وقد روى المحدثون والمفسرون كما فى البحار وغيره عن ابن عباس عن أمير المؤمنين على عليه السلام انه قال: «ان للشمس ١٨٠ منزلا فى ١٨٠ يوماً ثم انها تعود مرة أخرى الى واحد منها فى أمثال تلك الايام ومجموع تلك الايام سنة».

وظاهر ان هذا الحديث مع الحديث المتقدم مسوقان على سياق واحد وينظر ان نحو منظور مفرد والبرج والمنزل فى العرف بمعنى المحل، فلو صح تفسير علمائنا المتقدمين توجهت الاشكالات المذكورة على هذا الحديث أيضاً باضافة اشكال آخر أصعب مما مر ، وهو تصريح هذا الخبر المتأخر بأن منازل الشمس تتكرر فى السنة وانها لا تكون ثلاثمائة وستون إلا بعد عود الشمس فى كل ستة

أشهر الى نفس تلك المنازل التى قطعتها، فيكون المجموع من ١٨٠ يوماً و ١٨٠ يوماً سنة كاملة ولا يلتئم هذا الأمر مع تفسير الخبر بما قدمروحمل نزول الشمس على حركتها فى البروج الاثنى عشر ، إذ لا تعود الشمس الى شىء مما حلته إلا بعد تمام السنة

وإذا انحرف وجه الحديث عن الوضع القديم فعج به نحو النظام القويم واحمله على بيان الحركة الميلية الأرضية لترتفع الاشكالات جميعاً ويتفق الحديثان معاً وتلتئم الظواهر بالحقائق .

حركة الارض ومعرفة الدرجات والبروج

ان الأرض من جهة ميل محورها الاستوائى ترى حالة سيرها السنوى كمهد يتحرك فى موضعه ، توجه صفحات سطحها الى الشمس رائحة من الجنوب مثلا الى الشمال فى ١٨٠ يوماً ثم ترجع من الشمال الى الجنوب فى ١٨٠ يوماً ومجموع ٣٦٠ يوماً يكون سنة كاملة طبق ما نطق به خبر ابن عباس .

ثم ان البرج والمنزل غير محمولين على معناهما المصطلح قطعاً ، بل ينظران الى المعنى العرفى لهما وهو المحل والموقع ، والمقصود منهما فى هذه الاخبار قطاع من الارض من دائرة نصف النهار يقع عليها توجه الشمس فى كل يوم، فتكون البروج والمنازل - بناءاً على هذا - مأخوذة من سطح الارض لا من سطح الفلك

ومعلوم ان هذا القدر من خط نصف النهار الذى يواجه الشمس عند ميلها الجنوبى والشمالى قريب من ٤٧ درجة اصطلاحية ، والدرجة اكثر من عشرين فرسخاً عند القدماء ونحو من ثمانية عشر فرسخاً عند المتأخرين، فمسافة مجموع ما بين الميلين - أعنى الشمالى والجنوبى - اكثر من ثمانمائة فرسخ على كل تقدير

فاذا فرضنا منازل الشمس التى تواجه كل يوم واحداً منها على خط مابين الميلين وفرضنا عددها مائة وثمانين - بمقتضى تصريح الحديث - بكلا المفروضين لزمنا تقسيم عدد الثمانمائة فرسخ على مائة وثمانين قطعة ، فيقع نصيب كل قطعة من الارض التى تنزل الشمس عليها فى يوم واحد خمسة فراسخ تقريباً .

فعلى هذا يرتفع الاشكال الأول من قوله ﷺ : « كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب » وينطبق على هذا التحديد ، لأن جزائر العرب السلف الكائنة فى جزيرة العرب بمنظرهم ومسمعهم لم تكن عظيمة قطعاً كالجزائر المعروفة فى هذا العصر - لقصر أنظار القدماء وسعة أنظار المتأخرين وحيطتهم بمجمل الارض ومفصلها احاطة لم يكن معشار بعضه لاسلافنا .

والخبير بتواريخ الاقدمين يعلم انهم يطلقون الجزيرة على أرض محاطة بالماء طولها من جريب واحد الى عشرة فراسخ ، فيساعده تحديدنا الماضى . ورفع الاشكالين الآخرين واضح على هذا المبنى كما لا يخفى .

ويظهر من الخبر ان للشمس حال ميلها مائة وثمانين منزلا فى الارض بحسب مواقع نورها ومواجهة قرصها من مدار الجدى الى مدار السرطان ، فتنزل أشعة الشمس كل يوم على قطعة خاصة تقرب من خمسة فراسخ كجزيرة من جزائر العرب وهكذا الى نصف السنة ثم تعود الى ما قضته من المنازل واحداً واحداً حتى تكمل ثلاثمائة وستين يوماً وثلاثمائة وستين منزلا ، وهذا المجموع سنة كاملة .

ولا يختلف منظر الخبرين على هذا التحقيق ، إذ يكون الاول ناظراً الى مجموع منازلها فى السنة - سواء فيها المنازل الرواحية والرجوعية - بخلاف الخبر الثانى فانه يذكر المنازل السنوية لكنه يفرق بين نصفها الرواحى والنصف الرجوعى .

ولو تأملت فى هذا البيان تحقيقاً لوجدت الخبرين منطبقين عليه أصح الانطباق من دون حاجة الى تصرف أو تأويل فى شىء من ألفاظ الخبر ، إلا فى نسبة النزول الى أشعة الشمس بنحو تقدير المضاف عند قوله : « فتنزل الشمس كل يوم » .

وأما باقى التفاسير فيحتاج فيها الى التصرف والتأويل اكثر مما ، مضافا الى ابتنائها على الهيئة الغابرة وانطباق تفسيرنا على الهيئة الحاضرة ، فيكون أولى من بقية التفاسير وارجح .

ومع هذا كله ففى نفس الخبر مؤيدات وشواهد على صحة تفسيرنا :

(منها) قوله عليه السلام : « تنزل على برج منها » حيث عبر بكلمة (على) فتناسب أخذ البرج والمنزل من سطح الأرض ، ولو كانا مأخوذين من الأفلاك لعبر عنها بكلمة (فى) أو غيرها .

(ومنها) تعبيره عليه السلام عن مسير الشمس بالنزول ، لا سيما مع التعبير بـ (على) ، فانه يناسب نزول أشعة الشمس على قطاع الأرض فى حركتها الميلية السنوية لا غير .

* * *

وإنما أطنبت فى هذا الخبر لأن جمعاً من المحققين القدماء كالعلامة المجلسى وسيد الحكماء الشهير بالداماد وغيرهما فسروا هذه الأخبار بما لا ينطبق على نظام صحيح ، مع أن كلام الحجج الاطهار حرى بالتدبر والاستبصار لعلمنا بعلمهم كاملا بالحقائق والأسرار .

ومما يستدل به على كون الحركة اليومية من تحرك الشمس هو الظواهر الناطقة بطلوع الشمس وغروبها وأمثالها .

والجواب عنها (أولا) بحملها على الهيئة العرفية وحكم الحس فى النظرة البدوية .

(وثانياً) بارادة مطلق الظهور من لفظ الطلوع والاتيان ونحوهما وارادة مطلق الخفاء من الغروب والأفول ، فيناسب ذلك نظام القدماء والمتأخرين.

هذا كله مضافا الى ان بعضاً منها ليس محكياً من الله تعالى ، بل هو نقل رأى عن الرائى ، مثل ما فى قوله تعالى حاكياً حسبان ذى القرنين : ﴿وجدها تطلع على قوم﴾ (١) وفى قوله تعالى : ﴿ وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ .

وحيث انتهى شرح المسألة الى هذه الآية المشكلة فلا بأس بحل اشكالها مختصراً فنقول : اعترض البعض على هذه الاية المباركة من وجهين :

(أحدهما) ان الارض كروية الشكل لا يتعين فيها موضع خاص للمشرق فقط ولا للمغرب فقط ، بل كل نقطة منها مشرق لمن فى غربها ومغرب لمن فى شرقها ، فكيف يناسب هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ حتى بلغ مطلع الشمس﴾ أو ﴿ مغربها ﴾ .

(وثانيهما) ان جرم الشمس أعظم من جرم الارض بكثير عند الاوائل والاواخر فكيف يجوز غروبها فى عين ماء من عيون أرضنا حتى يناسب قوله تعالى : ﴿ فوجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ .

والجواب عنهما ان القدماء كانوا يحسبون ان القطاع البارزة من كرة الماء هى آسيا وأفريقيا وأوربا فقط ، ونحن لا نعلم قطعاً كيفية مسير ذى القرنين ، ولكن المشهور انه سار المعمورة شرقا وغرباً براً وبحر ، فلا يبعد وصوله الى سواحل أفريقيا الغربية ، ثم عجز من عبور الاقيانوس الاطلانتيك كلما بذل الجهد فوجد فى حسبانه الشمس كأنها تغرب فى ذلك البحر وان لا أرض بعده .

(١) سورة الكهف آية ٩٠ .

ومعلوم ان ظاهر الآية يحكى وجدان ذى القرنين المتوسط فى البحر ، فانه يحسب الشمس طالعة من الماء وغاربة فيه ، وليس فى الآية حكم من الله تعالى بغروب الشمس فى العين .

ثم اطلاق لفظ العين على البحر صحيح ، فان لفظة العين ذات معان جمة قد تعد سبعيناً ، ومن جملتها - كما فى القاموس وأقرب الموارد وغيرهما - مصب الماء ، والماء الكثير ، وفيضانه ، وجريانه وغيرها ، ومصب المياه حقيقة هو البحر ، فان الجدول مصب مياه الينابيع والنهر مصب مياه الجداول والبحر مصب مياه الانهار ، فهو المصب الحقيقى لجميع المياه فيطلق عليه لفظ العين .

وأما قوله تعالى : ﴿ فى عين حمئة ﴾ أى كثير الحمئة وهى الطين الأسود ، أو فى عين حامئة أى شديدة السخونة حسب اختلاف القراءات فنطبق على المحيط الاطلانتيك فى غرب أفريقيا ، فان المنقول كثرة السواد والسخونة فيه ، لا سيما الكائنة منه على خط الاستواء .

فارتفع من اتضاح معناها ما اعترضوا عليها بما نقلته وما لم أنقله .

وأما قوله تعالى : ﴿ وجدها تطلع على قوم لم نجعل من دونها ستراً ﴾ فلا يتوجه اليه اشكال ، ولا استبعد أن يكون أولئك القوم سكنة أقاصى شرق المعمورة مثل سيبريا واليابان والهند ومن يقرب من المحيط الكبير ، وكلهم اليوم ماخلا اليابان فى التوحش كالحمر عقلا والسباع أكلا .

والحاصل انه بلغ فى سياحته شرقى العمران موضعاً متوحشاً ووجد الشمس تطلع على قوم عراة كالوحوش . وبعض الهنود والزنوج المتوحشين لم يجعل الله لهم ساتراً من الشمس ، فيكون هذا الكلام أبلغ ما قيل مبالغة فى عراء الانسان ، حيث ان الشمس الكاشفة المبدية لكل شىء هى الساترة لهم لا غير .

« المسألة التاسعة »

(فى تحقيق الصفات الخمس لجرم الشمس)

كنا نصدق الحكماء فى صفات أثبتوها بأدلتهم لشمسنا المبصرة من حيث الوزن والحجم والعدد وتوليد الحرارة والدوام الى الابد ونحو ذلك ، وكنا نعتقد موافقة تلك الصفات لشريعتنا المنورة ، وقد عثرنا فى هذه العصور على مسائل الهيئة المتأخرة فوجدناها نافية لتلك الآراء الناطقة ببطلان ما ادعاه القدماء تستند فى أحكامها الى مبادىء حسية وبراهين جلية ، فهل يتأتى الائتلاف فى تلك الاوصاف بين الكشفيات الجديدة وظواهر الشريعة أو لا محيص من الطرح أو التأويل ؟

(الجواب)

يعلم كل نقاد خبير ان العلوم العقلية - ولا سيما الرياضية - قد انعقد تكليف بيانها على ذمة العقل دون الشرع ، ولو أفاد الشرع فيها رأياً فذلك من فضله ، وشرعنا الاسلامى إذ كان ختام الشرائع الحقة لاجرم كان اكثرها إحكاماً وسياسة واكملها تأثيراً فى تهذيب النفوس وترقيتها بأصناف المعارف والكمالات .

ولأجل ذلك لم يقتصر كبعض الشرائع على تكميل جهة واحدة كاقتصار الدين المسيحى على تكميل أخلاق الخلق ، بل منح نبينا الامى ﷺ دقائق الحقائق لجماهير الخلائق وفتح لهم أبواب العلوم بأسرها على ألسنة أوصيائه

من بعده، فنشروا من نكات الحكمة الحقة ما أغنى الباحثين فى كل عصر ومصر .

ولعمرى ان أقوالهم غدت من كثرة الموافقة للكشفيات المستحدثة توهم ان المكتشفين أخذوا آراءهم من تلك الأقوال ، لولا استناد المكتشفين الى أدواتهم وآلاتهم . والفحص فى مقالاته يبشرنا بصدق هذه القضية - كما سترى فالأنسب بمقامنا شرح بعض ما قالوا فى المباحث الخمس المذكورات فى السؤال :

المبحث الاول

(ان الشمس هل هى مصدر الحرارة والنور أم لا؟)

قد اختلفوا فى أن الشمس هل هى بذاتها مصدر الحرارة مثلما انها ينبوع النور ، كما تقرر فى الفلسفة الجديدة أو هى بالذات منبع النور فقط ، وليست بذات حرارة ولا نارية كما تقرر فى الفلسفة القديمة .

وزبدة دعوى القدماء ان الشمس بذاتها ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ، لان هذه الامور تخص العنصريات والاجرام بأسرها مقدسة عن العوارض العنصرية ومنزهة من آثار العالم السفلى حسب مبانيهم الظنية ، فالحرارة المشهودة من الشمس أو اليبوسة أو الاحراق ليست عندهم من نفس الشمس بل النور الشمسى ذو خصوصية فى الوجود تقتضى بعد السطوع على سطوح الارضيات ثم الانعكاس عنها إحداث الحرارة ونحوها من الآثار .

فنسبة صدور الحرارة الى المستنير أحق وأولى من نسبته الى المنير ، وإنما المنير سبب اعدادى يوجب ظهور الحرارة من الارضيات ، وليست الحرارة

ثائرة من نفس النور أو الشمس بل المنير مثار النور فقط والمستنير مثار النار .

فالشمس عند المتأخرين كالسراج مصدر النور والنار معاً . وليست كذلك عند القدماء .

وحكى العلامة المجلسى فى باب ركود الشمس عن المنجمين : ان حرارة الشمس ليست باعتبار جرمها حتى يقع تعذيب المشركين بتقريبهم من عين الشمس ، بل باعتبار انعكاس الاشعة عن الاجسام الكثيفة ، ولذلك كلما بعد عن الأرض كان تأثير الحرارة فيه أضعف ـ انتهى .

ونقل عنهم فى باب محو القمر عدم قبول الفلكيات للسخونة ، وهذه المسألة معلومة النسبة اليهم .

* * *

وأما الفلسفة الأخيرة فأصحابها متفقون على ان جرم الشمس بنفسه مثار النور والنار ومرسلهما بالاشعاع الى كل سيار ، وان كرتها مركبة من طبقات نارية وبخارية لاتبرح عن الثوران والاشتعال ، وشبهوها ببحر عظيم من نار تلاطمت أمواجه وشعله ، وقد يبلغ طول ألسنتها وزبانيتها نحو خمسين ألف فرسخ ، وربما انحرفت عن حافته كانحراف شعلة الشمع إذا لاعبتها الريح .

ولو ترى لهباتها الملونة فى المناظر الطيفية وما ترمى من الشرر باشتعال الأجزاء (المغنيسيومية) وغيرها ، ولقد حققوا فيها حتى الان اكثر من أربعة عشر مادة مما يوجد فى أرضنا كالنحاس والحديد وغيرهما ، والتفصيل موكول الى محله (١) .

---

(١) بلغ كشف المواد الأرضية الموجودة فى الشمس بعد تأليف هذا الكتاب الى أربعين مادة ، وقد اكتشفت هذه المواد بواسطة سبكترسكوب ـ (ف) .

وانما الغرض بيان معتقد الأواخر فى شدة نارية الشمس ، وانها تبث النور والنار من نفسها بقضاء الله تعالى فى واسع الفضاء وتوصلها الى سياراتها الرابية فى حجر عطوفتها ، وان استلزم تلف آلاف أضعاف ما يحتاج اليه كل سيار ، حتى قالوا : ان الذى يصل الى أرضنا من حرارة الشمس هو جزء من الفى مليون وثلاثمائة وواحد وثمانين مليوناً ، وباقى ذراتها النارية يتلف أو يصل الى بقية السيارات والاقمار والشهب والمذنبات .

* * *

وأما الشريعة الاسلامية فلن نجد فيها مقالة تشعر بالرأى القديم أبداً ، وأما مقالاتها الناطقة بهذه الاراء المستحدثة فكثيرة ولله الحمد ، ونذكر منها ما يلى :

المقالة الأولى

قوله تعالى : ﴿ وجعل الشمس سراجا ﴾ (١) فان الظاهر من هذه الاية كون الشمس كالأسرجة والمصابيح تفيض النور وتثير النار بذاتها وفاقا للمتأخرين ولا يخفى ان القرآن يصف الشمس بكونه سراجا أو ضياء أو يصف القمر بكونه نوراً ، ولا يغير هذه السيرة اشعاراً بأن الاشعاع فى الشمس غيره فى القمر ، إذ الشمس تثير النار والنور بذاتها والقمر لا بذاته بل بغيره .

المقالة الثانية

قوله تعالى : ﴿ وجعلنا سراجا وهاجا ﴾ (٢) فان المفسرين أطبقوا حسب

(١) سورة نوح آية ١٦ .

(٢) سورة عم آية ١٣ .

المنقول على ان المراد من هذه السراج هو الشمس .

وقال الثعلبي المفسر بعدما فسر السراج بالشمس : الوهاج هو الحار الوقاد

وقال مقاتل المفسر : الوهج بجمع النور والحر .

وفى القاموس : وهج النور اتقدت .

فالاية تشير الى كمال المبالغة فى وقود الشمس واشتعالها ـ كما عليه المتأخرون

المقالة الثالثة

فى روضة الكافى والخصال والعلل والبحار ومناقب ابن شهر اشوب فى باب علوم الباقر عليه السلام وغيرها بالأسانيد القوية الى محمد بن مسلم عن الامام الخامس أبى جعفر الباقر عليه السلام وفى نور الثقلين ومجمع البحرين وتفسير القمى والبحار باسناد آخر عن سلام بن المستنير قال : قلت لابى جعفر عليه السلام : لم صارت الشمس أحر من القمر ؟ قال عليه السلام : « ان الله تعالى خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى اذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار ، فمن هنالك صارت أحر من القمر » .

وسوف أذكر الباقى من الخبر فى صفات القمر .

وكأن السائل كان يعلم من سائر المقالات الشرعية ان الشمس مثار الحرارة الحقيقية ولكنه طلب العلم بعلة ذلك ، فشرح له الامام علته بطريق الم (١)

(١) طريقة الاستدلال فى المنطق والفلسفة ينقسم الى قسمين :

الأول ـ طريقة الـ (لمّ) أى معرفة المعلول بواسطة العلة كأن نقول : « ان الشمس فيها أجزاء نارية فاذن هى محرقة » .

الثانى ـ طريقة الـ (إنّ) أى معرفة العلة بواسطة المعلول كأن نقول : « ان الشمس محرقة فاذن فيها أجزاء نارية » ـ (ف) .

وذكر جيولوجى الشمس وجغرافيتها الطبيعية .

وظاهر الخبر يرشدنا نحو عدة من الكشفيات الحديثة المخالفة للمطالب القديمة :

(أحدها) ان جرم الشمس مركب على طبقات - كما شرحه المتأخرون - وليست مثل مازعمه المتقدمون بسيطة جداً لا يشوبها نحو تركب أصلا .

(وثانيها) ان الشمس كالأجرام الأرضية مركبة من العنصريات والماديات من نار وماء وبخار وهواء وغير ذلك كما تقرر فى الفلسفة الجديدة، خلافاً للمتقدمين البانين على بساطتها وتقدسها عن الفلسفيات وتنزهها عن العنصريات .

(وثالثها) كون الشمس بنفسها ذات حرارة ونارية وفاقا للمتأخرين وخلافا للقدماء وقد مر القول فى آرائهم تفصيلا .

(ورابعها) ان جرم القمر أيضاً ذو حرارة ولكنها خفيفة ،وسأشرح القول فيه فى أحوال القمر .

(وخامسها) ان العمدة فى وجه حرارة الشمس ان الله تعالى ألبسها لباساً من النار يحيط على طبقاتها المودعة فيها حسب منطوق الخبر ، وبذلك قال المتأخرون أيضاً .

ففى ارواء الظماء لكرنيلكوس فانديك : ان قوة اشعاع الشموس منحصرة فى غلاف من مادة نيرة تحيط بالجرم سميت الـ (فوتوسفير) وكل قوة نواة الجرم منصرفة فى أبقاء تلك الكرة على فعلها من اشعاع النور والحرارة ،فكون الجرم ذاكرة محيطة نيرة مشعة شرط لازم لاعتبار ذلك الجرم شمساً بين شموس الفضاء ،وتلك الكرة النيرة لا تتكون إلا من مادة مشتعلة تؤثر فى النور المشع من النواة وهذه المسألة لا يحلها إلا آلة السبكترسكوب

أعنى المنظار الطيفى بحلها النور الى ألوانه الأصلية - انتهى .

قلت : فما لا يحله شيء غير السبكترسكوب كيف يمكن أن يشرحه حامل الوحى والالهام لأهل عصره أزيد مما قال؟ وليت شعرى كيف تلفظ بهذا القدر وكيف تحمله السائل والسامعون وصدقوه حيث لا رأى يعاضده ولا أداة تساعده .

ولعمرى ان تصديق الناس لأقوالهم والحالة تلك كاشف عن منتهى ثقة الناس بهم بسبب ما شهد الناس من أهل هذا البيت القدسى من الصدق والصفا والامتيازات العلمية والعملية عن سائر الناس .

والأعجب من الجميع وصولهم الى دقائق هذه الحقائق الخفية ، من دون طريق علمى ولا عملى وصولا لا محمل له غير جهة الولاية والاحاطة الغيبية بجميع ما فى الكون .

وأيم الله تعالى انه بما تعرضنا عند العثور على أمثال هذه المقالات الشرعية دهشة ليست بأقل من دهشة الحاضر بين يدى صاحب الشريعة الطاهرة الناظرة الى معاجزه الباهرة .

المقالة الرابعة

فى الكافى والبحار بالاسناد القوى الى الأصبغ بن نباتة صاحب على (ع) انه قال : قال أمير المؤمنين على (ع) فى حديث طويل : « ان الشمس لو كان وجهها لأهل الارض لأحرقت الأرض ومن عليها من شدة حرها » .

وظاهر هذا الخبر الشريف ناطق بكون الشمس بنفسها ذات حرارة

شديدة فائقة النهاية .

* * *

فان قلت : ان الشمس جرم كروى دوار على نفسه فلا يكون له وجه أحر من وجه ، ولو فرض أيضاً فانه يرينا جميع صفاحه عند الدوران ، فلا تبقى صفحة لا تواجهنا أبد الدهر .

قلت : قد ادعى القوم فى ارصادهم الجديدة - كما فى تقويم سنة ١٣٢٣هـ لنجم الملك الطهرانى - ان الشمس بعض وجوهها أحر من بعض ، وان صفاحها الاستوائية لو خلت عن كلف هى أحر من أطرافها التى تجاوز عرض ثلاثين درجة على نسبة ١٧ مع ١٦ ، فاندفع قولك : « لا يكون له وجه أحر من وجه » .

ثم انهم ادعوا أيضاً - كما فى التقويم المذكور - ان الصفحة الشمالية للشمس أحر من صفحتها الجنوبية ، وقد سبقهم الاستاذ هرشل فى دعوى كون النصف من وجه الشمس أحر من النصف الآخر ، فاذا كانت الصفحة الشمالية أحر من الصفحة الجنوبية اندفع قولك : « ولو فرض أيضا فانه يرينا جميع صفاحه عند الدوران ، لأن صفاحها القطبية - شمالية كانت أو جنوبية - لا تواجه أرضنا ابداً حيث ان الارض تدور حول الصفاح الاستوائية للشمس ، وقطباها بمعزل عن مواجهة الارض . فمن كان على الأرض - وان رأى قطبى الشمس بالفرض إلا انه لا يواجه القطب فى استفادة الاشعة ، فلا تتجه أشعة قطب الشمس نحو الارض مثل اتجاه أشعة أوساط الشمس ، ويظهر حق الامر بأدنى تأمل فى المسألة .

* * *

اذا عرفت ذلك جاز ان تراد الوجهة الشمالية من لفظ الوجه المذكور

فى الخبر : « لو كان وجهها الى الارض لاحرقت » ولا شك فى ان الوجهة الشمالية ليست مواجهة لأرضنا بالمعنى المتقدم ، فلو كانت مواجهة لأحرقت حيث ان الوجهة الشمالية أحر وجوه الشمس بشهادة الراصدين ، فلا يبعد أن تكون تلك الوجهة من الحرارة بمثابة لو كانت أشعتها مواجهة للأرض كمواجهة الأشعة الاستوائية كانت محرقة لأرضنا ولمن عليها ومفسدة لمزاجها

وأيضاً نجيب عن الاعتراض بأن الوجه قد يكون بمعنى التوجه ، فعليه يكون قول عليه السلام : « لو كان وجهها لأهل الأرض » بمعنى لو كان توجهها لأهل الأرض خاصة لأحرقت الأرض ومن عليها . وهـذا معنى صحيح يعترف به المتأخرون أيضاً ، فقد قال بعضهم : ان الحرارات التى تتلف من شمسنا فى اليوم الواحد لو اجتمعت فى أرضنا لكانت كافية لذوب مقدار من الجليد دفعة ، والحالة انه يغطى كل وجه الأرض وسمكه أحدعشر ميلا .

وقال فانديك ما خلاصتـــه : ان الحرارة التى تصل من الشمس الى خصوص الارض فى السنة لو أعطيت اليها دفعة وقد اكتست بجليد قطره خمسون ذراعا لذاب الجليد من حينه ـ انتهى .

فـكيف اذا توجهت نحو الأرض أعواماً ؟ فهلا تصهر أصلب معادنها وتجعلها مع ما فيها وما عليها بخاراً بل هباءاً فى الهواء ، كما أشعر به هـذا الخبر ـ فتبصر .

المقالة الخامسة

فى تفسير القمى وبجمع البحرين والبحار ونور الثقلين بالاســـناد الى الامام الثامن على الرضا عليه السلام انه قال : « الشمس والقمر آيتان » الى ان قال عليه السلام « وضوؤهما من نور عرشه وحرهما من نار جهنم ، فاذا كانت القيامة عاد

الى العرش نورهما وعاد الى النار حرهما ، فلا يكون شمس ولا قمر » .

ويدل هذا الخبر على أمور :

(منها) ان جرم الشمس ذو حرارة ونارية ، وهو مطلوبنا فى هذه المسألة .

(ومنها) ان القمر له ضوء من نفسه لا من الشمس ، كما سنشرحه فى الأمر الثالث من مسألة أحوال القمر .

(ومنها) ان جرم القمر أيضاً ذو حرارة ونارية ، وسيأتى شرحه فى آخر أحوال القمر .

(ومنها) ان الفناء بانعدام الصور وتلاشى المواد لا بانعدام المادة . والى هذه النكتة تنظر بقية المقالات الشرعية فى فناء الأجسام - والله العلام .

المقالة السادسة

فى الكافى والبحار وجملة من كتب الاخبار مسنداً عن جابر انه سمع الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام يقول فى حديث له : « ان للشمس ملكا ينضحها بالماء ، ولولا ذلك لاشتعلت الأرض » .

ودلالة هذا الكلام على كون الشمس بنفسها ذات حرارة ونارية واضحة ولكن البحث يتوجه الى كشف الماء الذى ينضح به الشمس .

ولى فى هذا المقام ثلاثة أوجه :

(الأول) ان اكتشاف الأسرار العظيمة من كلمات شريعتنا القويمة يعدنا باتضاح هذه المشاكل وظهور مهام الحقائق منها فى الدور المستقبل .

(الثانى) يجوز أن ينظر ظاهر الخبر الى بث الله تعالى ذرات مائية ورطوبات رشية فى كرتنا الهوائية لتنقيص حر الأشعة الشمسية الساطعة على

أرضنا ، سواء كانت الرطوبات من تبخير البحار أو من نفس كرة البخار ، ولولا ذلك لاحترقت الأرض وأهلها - كما مر فى المقالة الرابعة .

(الثالث) احتمل أيضاً أن يكون ذلك اشارة الى الأمطار الشمسية التى ادعوها فى دورنا الجديد ، ونقل عنهم الفلكى نجم الملك الطهرانى فى تقويم سنة ١٣١٦ هـ ما خلاصة معناه :

« ان من الحوادث الشمسية امطارها ، وقد وجدوا فى ناحية من الصوب الغربى للشمس فى سعة ثلاثين درجة زائدة سحابية الشكل متشعبة قد اختلط بعض أقواسها العالية والتى على ناحية الـ (كرومسفر) منها كان على شكل السهام والشعل عليه بقع سحابية نيرة كما ترى فى شكل (٩) وعلى طرفها

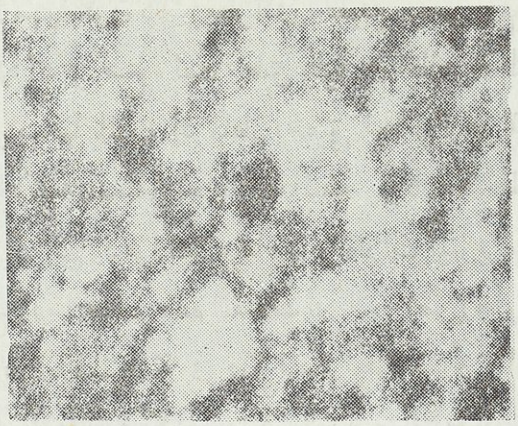

(ش - ٩) بقع الشمس كما رؤيت فى ٢٥ يونيو الساعة ٤ والدقيقة ١٩ سنة ١٩٠٥ م

الشمالى شبه خيوط رقيقة وخطوط دقيقة أو كصيب من السماء تصوب نحو السفل ، وفى مركز القرص سحابة كثيفة طريفة الشكل نيرة يمتد منها الى السفل مثل العروق الكثيرة تشبه نزول الغيث ، وينزل عن يمينها الى ناحية القرص مثل شـــدات الخيوط النيرة كالمطر المورب فى نزوله بسبب اختلاف الريح » .

« وقد حسبوا سرعة نزوله فى كل ثانية مائة وخمسين فرسخاً ، وظهر فى ذلك التاريخ حسب الاتفاق فى أوربا شفق عظيم جداً ، وشاهدوا بعد ذلك أمطاراً كثيرة شمسية ورأوا بعد شهرين سحاباً كثيفاً منيراً على الشمس ومن أسفله شبه خيوط وعروق كالخطوط المنحنية » - انتهى .

والحكم منهم بكون ذلك مطراً فى الحقيقة حدسى ولم يبلغ بعد مبلغ الجزم به ، إلا انه لو صح وثبت انطبق عليه فى الظاهر قوله (ع) : « ان للشمس ملكا ينضحها بالماء » إذ المطر الحقيقى الحامل لرطوبة وماء كاسر قطعاً لسورة نيران الأشعة المنبعثة والحرارات المنبثة ، ولو كان ذلك المطر ناشئاً من نفس الشمس وأبخرتها التى ادعوا تصاعدها منها والغازات المتوفرة فى ذلك الجحيم .

فاتضح ولله الحمد من هذه المقالات ان النبى (ص) وأوصياءه القديسين نطقوا بهذه الآراء المستحدثة فى هذا المقام أيضاً كسائر المقامات . فحققوا يا اخوتى نظر الاعتبار فى كلمات هؤلاء القديسين الأخيار لعلكم تفوزون بالفوائد العظيمة انفعها لكم الايمان بالشريعة القويمة .

المبحث الثانى

(فى قطر الشمس وكمية جسامتها)

قد اختلف الأقدمون فى قطر الشمس وكمية جسامتها . فزعم (هيرقلس) الفيلسوف ان جرم الشمس لا يزيد عما نشاهده بالابصار ، وزعم (انكسفوراس) ان جرمها اكبر من بلاد المورة .

كذا فى هامش مشهد الكائنات ص ٨٣ ، وفيه أيضاً ان (طاليس) الفيلسوف زعم ان جرم الشمس مضيء بنفسه وقدره مثل جرم القمر مائة وعشرين مرة - انتهى .

والمعلوم باليقين لدى كل عاقل مرتبط بالعلوم الفلكية هو ان الشمس اكبر جرماً من أرضنا بكثير .

وأما تحديد ذلك الكثير تحقيقاً فلا يستريح من شكوك ونقوض كتحديد سائر الاجرام السماوية ، ولكن المعروف من مذهب بطليموس واتباعه ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض بمائة وستين مرة . وذهب الفيلسوف غياث الدين الكاشانى الى ان الشمس اكبر من أرضنا بثلاثمائة مرة .

والأرض تحديدها موضع وفاق بين المحققين ، ولم يذكر أحد قط معشار العشر مما ذهب اليه المتأخرون عن الألف الهجرى ، لاتفاقهم ظاهراً على ان شمسنا هذه اكبر من أرضنا بأكثر من ألف ألف مرة ، حتى ان بعضهم

دقق النظر فقال: انها اكبر من أرضنا ١٤٠٤٠٩٠ مرة ، فأين الثريا وأين الثرى، والتفاوت بين هذا الرأى ورأى بطليموس كالتفاوت بين رأيه ورأى هيرقلس

* * *

وأما الديانة الاسلامية فقد ظهرت فى عصر ومصر مظلمين لا يحس ابناؤهما بنور علم ولا بكشف حقيقة ولم يروا بل ولم يشعروا بآلة فلكية ، ومع ذلك أعلنت هذه الديانة المقدسة رأياً فى قدر جرم الشمس يوافق رأى المتأخرين أشد الموافقة ، فان علياً وصى نبينا الأمى ﷺ عندما سأله الشامى عن طول الشمس وعرضها قال عليه السلام : « تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ » .

وهذا الخبر الشريف رواه جمع من أعاظم المحدثين كالشيخ الصدوق فى العلل والعيون والعلامة المجلسى فى البحار والسيد الداماد فى بعض كتبه .

وفى تاريخ علم الفلك للسنيور الطليانى : حكى المطهر بن الطاهر المقدسى من علماء القرن الرابع فى كتاب البدء والتاريخ وارويه بحروفه قال : روى أبو حذيفة عن عطا انه قال : بلغنى انه قال : الشمس والقمر طولها وعرضها تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ . قال الضحاك : فحسبناه فوجدناه تسعة آلاف فرسخ والشمس أعظم من القمر - انتهى .

أقول : فى آخر مقاله شاهد على ما سأقوله من ان هذا التحديد ينطبق على الشمس بكيفية وعلى القمر بكيفية أخرى حتى يصح قوله أخيراً : « والشمس أعظم من القمر » .

وقال السنيور فى هامشه مالفظه: « ما أفهم معنى قول الضحاك هذا ، لأن محصول ضرب تسعمائة فى مثلها هى ٨١٠٠٠٠ فالواضح انه ليس له علاقة بما يسبقه » .

ثم لا يخفى ان الكرة لا يفترق طولها عن عرضها لتساوى أبعادها الثلاث

فيكون الطول كالعرض كناية عن القطر ، ويقع الخبر العلوى موقع ان يقال: محيط الشمس تسعمائة فى تسعمائة ، كما هو متضح .

وهـذا الكلام يدل بدلالته المطابقية على مقدار محيط الشمس ـ أعنى نتيجة ضرب تسعمائة فى تسعمائة .

ويدل أيضاً بدلالته الالتزامية على ان كرة الشمس مستديرة تامة على خلاف السيارات التى فى جانبى قطبيها شبه تسطيح، وانما يستفاد هذا المعنى من الخبر من جهة انه لم يفرق بين الطول وبين العرض فى كرة الشمس أبداً، بل ذكر قدراً واحداً لطول الشمس ولعرضها .

وهذان الأمران اللذان أفادهما هذا الخبر يوافقان الآراء الجديدة أى موافقة :

(أما الثانى) فقد قال فانديك فى النقش فى الحجر فى ذكر الشمس : وهى كرة تامة لا دليل على تسطيحها من ناحية قطبيها ـ انتهى (١) .

(وأما الأول) أى كون محيط كرة الشمس تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ

---

(١) لكن جاء فى المقتطف ج٣٩ ص٦١٣ : انه ظهر من رصد الشمس وتصويرها مدة السنوات الخمس الماضية من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٩ م ان قرصها غير مستدير استدارة تامة ، أى انها ليست كرة متساوية الأقطار ، بل ان قطرها القطبى أطول من قطرها الاستوائى ، والفرق بينهما يتغير من سنة الى أخرى ... الى ان قال: ويظهر من ذلك ان القطر القطبى كان دائماً أطول من القطر الاستوائى وان زيادته عليه تزايدت رويداً رويداً الى أن بلغت ٣٩ بالمائة من الثانية ثم نقصت رويداً رويداً وقد بلغ الفرق سنة ١٩١٠ خمسة فى المائة من الثانية ، فمن المحتمل ان شكل جرم الشمس يتغير ، وان لتغيره هذا علاقة بظهور الكلف .

فقد قال فانديك وغيره ان محيطها ٢٧٨٤٠٠ بالأميال الانجليزية وذلك ٩٢٨٤٧٠ أى تسعمائة الف فرسخ وثمانية وعشرون ألف فرسخ وأربعمائة وسبعين فرسخاً تقريباً بالفراسخ الانجليزية .

وهذا التقدير ينطبق عليه الخبر المتقدم انطباقاً واضحاً ، فان الامام عليه السلام قدر محيط الشمس بنتيجة ضرب تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ، أى ٨١٠٠٠٠ أى ثمانمائة ألف فرسخ وعشرة آلاف فرسخ ، فينقص عن تحديد القوم بمائة ألف فرسخ وشىء ، من جهة ان الفرسخ الواقع فى كلام على عليه السلام هو الفرسخ الاسلامى وهو اكثر من الفرسخ الانجليزى بكثير ، بحيث لو حسبنا زيادته على الانجليزى بدقة وأضفناها على ٨١٠٠٠٠ لكان عين تحديد فانديك أو قريباً منه ، ولو حصل تفاوت جزئى جاز التسامح فيه من الامام عليه السلام أو من القوم فان هذه التحديدات منهم تقريبية غير تحقيقية .

ولعمرك ان تحديد جسامة الشمس لو صح فى نفس الأمر - كما يدعيه المعاصرون - لم يبق للمنصف عذر فى ترك الايمان بهذا الوصى المخبر بهذا التحديد قبل اليوم بأكثر من ألف سنة ، حيث لم يكن فى العالم طريق حسى ولا حدسى يتوصل به الى هذه الحقيقة غير الانتساب الى الوحى وارتباط نفسه القدسية بالمبادىء العلوية الذى لا يتفق إلا لخاصة أولياء الله تعالى .

ولو كنت فى ريب من الكتب الحافظة لهذه الآثار فعليك لازالة ريبك بمراجعة ما نشرته فى المقدمة الأولى من صدر هذا الكتاب مع تدقيق النظر فيه

* * *

فان قلت : قد سأل السائل فى هذا الخبر عن طول الشمس والقمر وعرضهما معاً فى سؤال واحد، وأجاب الوصى عليه السلام عن التحديدين معاً بقوله: « تسعمائة فى تسعمائة» ويتبادر من ذلك مساواة الشمس والقمر فى الطول والعرض

ولوازمها، ومن البديهى ان الشمس أعظم من القمر فكيف يستقيم التحديد فيهما بضرب واحد ؟.

قلت : مضافا الى بعض النسخ لم تذكر إلا الشمس فقط مع ذلك يستقيم التحديد فيهما بالضرب الواحد على المبانى المستحدثة مع ذكر القمر أيضاً .

وبيان ذلك : ان الطول والعرض فى الكرة - كما مر - كناية عن المحيط فكأنه (ع) قال : محيط الشمس والقمر تسعمائة فى تسعمائة .

ولا يخفى ان لفظ (المحيط) ومعناه يعمان السطح المحيط بالكرة والدائرة المحيطة بها ، فاذا كان المحيط معنى عاماً جامعاً لفرديه جاز أن يطلق الامام لفظ المحيط ويريد معناه العام - أعنى ما يحيط بالجسم - سواء كان سطحاً محيطاً بها أو خطاً محيطا بها كالدائرة ، فيصح قوله (ع) : « محيط الشمس والقمر تسعمائة فى تسعمائة » بناءاً على كون المحيط فى الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها ، وفى القمر بمعنى السطح المحيط به ، فيطابق تحديدات القوم .

أما كون محيط الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها فقد تبين انه تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ . وأما كون محيط القمر بمعنى السطح المحيط به فيقرب أيضا من ذلك ، حيث ان قطر القمر عندهم يقرب من ألفى ميل ، فتكون الدائرة المحيطة به ستة آلاف ومائتى ميل - على قانون نسبة القطر الى المحيط وانها كنسبة السبعة الى اثنين وعشرين .

واذا كانت المساحة على كل كرة هى مضروب ربع القطر فى الدائرة المحيطة بها يكون سطح القمر ٣١٠٠٠٠٠٠ ميلا ، أى الف الف فرسخا انجليزيا وشيئا ، فينقص عنه مضروب تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ أعنى ٨١٠٠٠٠٠ بثلاثمائة ألف فرسخ ، وبعد تتميم نقص الفراسخ

الانجليزية حتى تطابق الفراسخ الاسلامية يتقارب العددان وينطبق تحديد الوصى (ع) لسطح القمر على تحديد القوم بلا تفاوت كثير، فحقق النظر حيث ان المقام دقيق.

* * *

ثم اعلم ان هذا كله لا يعارض ما روى فى البحار وبجمع البحرين وتفسير القمى ونور الثقلين ونسخة الفقيه ابى الليث السمرقندى وغيرها مسنداً الى على أمير المؤمنين (ع) انه حينما سألوه عن طول القمر وعرضه قال (ع): «اربعون فرسخا فى اربعين فرسخ».

وبيان عدم المعارضة: ان الطول والعرض فى الكرة لما كانا كنايتين عن المحيط وكان المحيط عاما للسطح المحيط والدائرة المحيطة أخذنا محيط القمر فى كلامه الأول بمعنى السطح المحيط فيكون تسعمائة فى تسعمائة، وأخذنا محيط القمر فى كلامه الثانى بمعنى الدائرة المحيطة فيكون اربعين، فيكون التحديدان معا مطابقين لتحديدات القوم.

أما التحديد الأول فقد مر تطبيقه، وأما التحديد الثانى فلأن نتيجة ضرب الأربعين فى الأربعين ألف وستمائة فرسخ اسلامى، والدائرة المحيطة بالقمر عندهم تقرب من ألفى فرسخ انجليزى، وبعد اعتبار فضل الفرسخ الاسلامى على الفرسخ الانجليزى يتطابق العددان أو يتقاربان.

المبحث الثالث

(فى وزن جرم الشمس)

قد فصلنا سابقا اختلاف الحكماء المتقدمين والمتأخرين فى جواز ثبوت

الوزن لكرات الأفلاك وما فيها وعدم جوازه ، وشرحنا أدلة القوم على امتناع ثبوت الوزن لكرات العناصر وكرات الأفلاك والأجرام السماوية المركوزة فيها شرحا كافياً فى الطائفة العاشرة من أخبار مسألة حقيقة السماوات فراجع البتة ، إذ لا نعيد كلامنا حذر التطويل مع وجوب الاطلاع عليه وتوقف اتضاح هذا المبحث على المراجعة والتدقيق فيه .

ونتيجة ذلك الكلام ان القدماء متفقون ظاهراً على ان الوزن مطلقاً - خفة كان أو ثقلا - منفى عن الفلكيات ، فلا يعقل كون الفلك أو الشمس أو القمر أو النجوم خفيفاً أو ثقيلا أو حاراً أو بارداً - كما سبق .

وأيضاً الوزن مطلقاً منفى عن كرات العناصر ، فلا يعقل كون كرة الأرض او كرة الماء أو كرة الهواء أو كرة النار خفيفة أو ثقيلة . نعم اجزاء هذه الكرات الأربع تقبل الخفة والثقل بالنسبة الى ميلها نحو مركزها ، وأما أصل الكرة ومجموع أجزائها فلا ميل فيه فلا وزن له كما شرحناه .

وأما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى فقد أذعنوا بما استكشفه الفيلسوف (كبلر) ركن الهيئة الجديدة الألمانى فى القرن السابع عشر المسيحى ، فيعتقدون حصول الخفة والثقل بشدة الانجذاب وضعفه ، فما قوى انجذابه لجسم ثقل وما ضعف خف ، فالحجر اكثف من الماء وأشبه بالأرض من حيث الأجزاء فيكون جذب الأرض للحجر أقوى وانجذابه اليه أشد فيكون الحجر أثقل من الماء ، والماء أشبه بالأرض من الهواء واكثف فيكون جذب الأرض للماء أقوى وأشد ، فيصير الماء بذلك أثقل من الهواء ، وهكذا يثقل كل جسم بشدة انجذابه لجسم آخر ويخف بضعف انجذابه ، فمنشأ الثقل قوة الانجذاب ومنشأ الخفة ضعفه .

وأما منشأ الانجذاب بنفسه فقد يكون كبر الجسم الجاذب حجما ويكون

تارة كثافة أو قوة فى جوهره أو غير ذلك .

وعلى هذا المبنى يثبتون لكرة الهواء ثقلا ولكرة الماء ثقلا ولكرة الأرض ثقلا ولكل من الثوابت والأقمار والشمس والنجوم ثقلا ووزنا، كما مر وزن الكرة البخارية فى مسألة حقيقة السماوات .

وفى تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ هـ : ان الهواء المحيط بالأرض زنته كجزء من مليون جزء من الأرض .

وأما زنة الشمس فى التقويم المذكور لسنة ١٣٢٠ : ان جوهر الشمس تعادل جوهر الأرض ٣٢٥٠٠٠ مرة ، وإذا فرضنا كرة فحم حجرى يساوى حجمها حجم الشمس كانت أقل ثقلا من الشمس بقليل، ولو قدرنا وزنها بالخروار الفارسى لكانت الشمس (٦٢٠٠٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠٠٠٠) خروارا .

وفى مجلة الهلال المصرية المجلد السابع عشر ص ٤٧٨ : ان وزن الشمس ٣٥٤٩٣٦ أضعاف وزن الأرض .

ولهم فى تعيين هذه الدقائق واستكشاف هذه الحقائق مبانى وموازين لا يبعد صدقها وصحتها .

* * *

وأما ظواهر الشريعة الاسلامية فتوافق رأى الحكماء المتأخرين ، وتثبت لكل جسم وزنا ومقدارا يختص به حتى الأرض والسماء والنجوم والهواء والشمس والقمر ، بل تثبت الوزن لأشياء لم تصل اليها أفكار الغربيين بعد مثل النور والفىء والظلمة وغيرها مما نخاله عدما محضا لا يقبل الوزن أصلا، فلا تستبعد استكشاف كونها أمورا وجودية طبقا لبعض ظواهر الشريعة ، فان هذه الشريعة قد أرتنا غرائب لا تصل اليها غرائب الطبيعة .

كان العلماء من الأواخر والقدماء يتلون فى القرآن قوله تعالى : ﴿هو الذى خلق الموت والحياة﴾ (١) ولا يبرح خاطرهم ان الموت أمر عدمى كيف يتعلق به خلق الله تعالى ؟ حتى أخذت الآراء الجديدة تميل الى انه صفة وجودية كالحياة ، واعتضدوا بأدلة وكشفيات متينة .

ولنذكر مانحفظه عن الامام الرابع على بن الحسين السبط عليه السلام ، فانه قال فى مناجاته وتسبيحه لله تعالى : « سبحانك تعلم وزن السماوات ، سبحانك تعلم وزن الأرضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفىء والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة » .

وقد ذكرنا الكتب المنقول عنها هذا الدعاء والتسبيح فى آخر مسألة حقيقة السماوات .

المبحث الرابع

(فى دوام كرة الشمس أو زوالها وفنائها)

قد اختلف الحكماء العظام فى هذا المقام حديثاً وقديماً :

أما المتقدمون فالمعروف من مذهبهم هو ان الافلاك مع ما حوته من الأجرام وغيرها باقية سرمدية فعالة أبدية ومتحركة دواماً لا يكاد يعتريها فتور ولا اختلال ولا يقرب من حماها الفساد فضلا عن الزوال ، وأقوالهم فى هذا الباب لا يؤدى نقلها غير الاطناب ، وقد ذكرنا فى غرة مسألة الفلك قول

(١) سورة تبارك آية ٢ .

الشيخ الرئيس ابن سينا : « ان الفلك مطلقاً لا يقبل خرقاً ولا التئاماً ولا كوناً ولا فساداً ولا زوالاً عن حيزه أبداً ولا تغييراً فى صفته ، وكذلك الأجرام المركوزة فيه كالشمس والقمر والنجوم أجسام كروية من جنس جوهر الفلك الذى لا يتكون ولا يفسد » .

وقال أيضا فى الفصل الرابع من كتاب الشفا : « واتفقوا (يعنى الحكماء) على انه ليس عنصر الفلك عنصراً للأجسام الكائنة الفاسدة » .

وقد اتبع الفلاسفة الاقدمين كثير من حكماء المسلمين كالشيخ الرئيس وغيره ، ولم يزل الجدال على ساق بين هؤلاء وبين علماء الدين من المسلمين ، والنزاع على قدم الى هذا العصر المبارك الذى اعتنق فيه الدين مع العلم الصحيح وجعلا يمشيان كتفا بكتف على ما يراه أرباب العلم الصحيح والدين الخالص الاسلامى .

* * *

وأما الحكماء الغربيون المتأخرون عن الألف الهجرى فمن بعد ما رفضوا التقليد فى الفلسفة واجتهدوا فى استكشاف الحقائق الكونية بالأدوات الدقيقة والبراهين الرصينة ذهبوا الى ان الأجرام الكونية بأسرها شمسا كانت أو قمراً نجمة كانت أو أرضا أو غيرها فهى حادثة بالذات والزمان كائنة وفاسدة ، أى كان زمان لم يكن فيه شمسنا ولا قمرنا ولا أرضنا ولا الأنجم السيارة بل ولا الكواكب الثابتة ، ثم كانت وحدثت بعد ان لم تكن قبل اليوم بملايين ملايين من السنين ، وسيأتى عليها زمان الفناء ، فلا تكون شمسنا ولا أقمارها ولا أنجمها بعد ان كانت - فراجع رأيهم فى باب السدامات ومبدأ الخلقة - فهم وان اختلفوا فى كيفية مبدأ الخلقة على أوجه كثيرة لكنهم لم يختلفوا فى أصل حدوث هذه الأجرام وتكونها بعد العدم ، ولا فى أصل زوالها وفنائها بعد الكون

خلافاً للمتقدمين .

جاء فى المقتطف سنة ١٩٠٥ م ص ٧٠٥ فى خلاصة أفكار الفلاسفة فى القرن التاسع عشر : « أما الشمس فجسم من غاز حام ، وسبب حرارتها تقلصها بفعل الجاذبية ، وهى تشع الحرارة على مقدار معلوم محدود ، ولما كان حجمها ومقدار مادتها معروفين فقد قدروا ان حرارتها تنفد بعد عشرة ملايين سنة ، فتظلم حينئذ كأنها لم تكن مشرقة وتبرد كأنها لم تكن اتون نار آكلة ، ما لم يطرأ عليها طارىء يجدد حرارتها ويبعث فيها قوة شبابها الماضى ويزيد حجمها فتعيد تاريخها الأول » .

ثم ذكر اصطدام الكواكب وقال : « ولا يبعد ان ينال النظام الشمسى مثل ذلك ، ولكن مما يحمل على الاطمئنان وسكون البال انه لو قدر اصطدامنا بأقرب جار لنظامنا وبقيت سرعتنا على ما هى عليه الآن - أعنى ١٢ ميلا فى الثانية - لاقتضى لنا خمسون ألف سنة قبل الوصول اليه » .

وفيه ص ٣١٢ سنة ٨٩٠ : « ان الشمس قد بلغت درجة من البرد زال فيها اكثر الهيدروجين من جوها وبقى فيها الكلسيوم والألومنيوم والحديد والمغنيس والنيكل ، وسيأتى وقت يزيد الكربون فى جوها ويمتص نورها وحرها لتظلم وتبرد كالأرض » .

وقد استخرج هؤلاء المتأخرون من آثار الأرض ورسوم أطباقها اكثر أحوالها الماضية والآتية ، وأوان خلقها وانعقادها وزمان كونها وفسادها وانقباضها وتقلصها وانبساطها وتمليصها ، وكشفوا عن حال كل قطعة من أرضنا وبقعة متى كانت معمورة ، وعينوا أعمار الجبال وما اعتراها من الأحوال ، وشرحوا النبات مم كان ومتى استبان ومتى تكون الحيوان ومتى تولد الانسان ، واليك علوم الجيولوجيا والبيولوجيا وغيرهما (١) .

(١) وقد أثبتوا أن جوف الارض مائع ملتهب كما ورد فى أحاديث كثيرة .

واستعملوا من موازين الحرارة والنور وتفاوت حر الشمس ونورها بحسب الدهور بل بحسب الأعوام والشهور وأحوال الشمس وعصر خمود نارها ونفوذ نورها وغير ذلك مما سبق ويأتى .

فالحدس وان كان له الدخل الكامل فى استخراج هذه المسائل ولكن الحدس - كما لا يخفى عليك - لا يقصر عن الوجدان اذا اقترن بالشواهد الظاهرة والمقربات الوافرة .

* * *

وأما الشريعة الاسلامية فقد طبق الآفاق نداؤها وتصريحها بحدوث العالم ووجود جميع أجزائه بعد العدم وفاقاً للمتأخرين وان الشمس والقمر لا يبقى نورهما ولا حرهما ولا شكلهما بل ولا حقيقتهما ، وكذلك الأرض والنجوم تنفش وتنفطر وتنسف وتنفجر وتنطمس وتنكدر وتنكشط وتنتثر ويعتريها الزوال والانتقال والفساد والاضمحلال - كما كانت أول مرة معدومة باطلة فاسدة متلاشية .

قال الله تعالى عند بيان أهوال يوم القيامة : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ أى ذهب نورها وحرها ﴿ وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سيرت . وإذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجرت ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ (٢)

- عن النبى ﷺ انه قال : « ان أسفل الأرضين السبع سجين ، ويعذب فيها أرواح المنافقين » .

(١) سورة التكوير آية ١-٦ .

(٢) سورة الانفطار آية ١-٥ .

وقال تعالى : ﴿ وإذا الأرض مدت . وألقت ما فيها وتخلت ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وإذا السماء انشقت ، واذنت لربها وحقت ﴾ (٨) .

وهكذا غيرها من الآيات البينات من لدن حكيم عليم .

أما الأخبار المنقولة عن النبى وأوصيائه الأطهار - عليهم السلام - فمتواترة فى ان العالم بجميع أجزائه من شمس وقمر ونجم وحجر حادث بعد العدم واجنبي عن مقام القدم ومنعدم بعد الايجاد وفاسد بعد الكون كما كان بعد الفساد، وان الله تعالى قد كان إذ لم يكن شيء ويكون كما كان حين لا كون لشيء .

---

(١) سورة الانشقاق آية ٣-٤ .

(٢) سورة القارعة آية ٥ .

(٣) سورة الانبياء آية ١٠٤ .

(٤) سورة الطور آية ٩ .

(٥) سورة القمر آية ١ .

(٦) سورة الحاقة آية ١٦ .

(٧) سورة المعارج آية ٨ .

(٨) سورة الانشقاق آية ١-٢ .

وكم نادت أخبار مبدأ الخلقة ان الله تعالى فعل كذا حين لا شمس مضيئة ولا قمر منير ولا سماء ولا أرض ولا كذا ولا كذا ، وكم قرع الأسماع ماورد فى شرح القيامة ويوم المعاد والميعاد . ومن شاء التفصيل فليراجع كتاب البحار والكافى ونهج البلاغة وغيرها .

ولا تزعم اختصاص هـذه الأحوال والاهوال بالارض والسماء والانجم والنيرين ، بل تعرض للكواكب الثابتة والانجم السائرة والكرات بأسرها لعموم قوله تعالى : ﴿ وإذا النجوم انكدرت . وإذا الكواكب انتثرت ﴾ وهكذا بقية الآيات التى مر ذكرها .

وهذه الاحكام من شريعتنا المقدسة موافقة لتصريحات الفلكيين فى هذا الدور الجديد :

قال فانديك المحقق الامريكى فى باب السدام من كتاب النقش فى الحجر كغيره : وكل جرم مضىء لابد من نفوذ حرارته ونوره على مرور الزمان ان كان نار فحمة أو شمساً أو نجماً فى قبة السماء .

وقال أيضا فى ارواء الظماء : وإذا قل نور نجم بحيث تظهر فى طيفه أشعة منفصلة (أى انفصل بين ألوانه بفسحات مظلمة قيل ان طيفه متقطع) فلا يعد إذ ذاك شمساً ، وربما كان أقرب الى كونه سديما ، والنجوم على درجات متفاوتة من هذا القبيل ، أعنى ان بعضها على أشد قوتها ونورها وحرارتها وبعضها أخذ فى التبرد وبعضها صار فى حالة الهرم والشيخوخة .

ثم قال بعد ذكر ما هو من القسم الاول كالشعرى اليمانيه : القسم الثانى الذى نجومه تشبه شمسنا التى قد جاوزت عز عمرها وأخذت نحو الانحطاط والشيخوخة والهرم مثل العيوق والدب الاكبر .. الى أن قال : والبعض كالشعرى الشامية ونسر الطائر ونجم القطب متوسطة بين القسمين انتهى

وقد لاح من هذا الكلام ان شمسنا هذه قد انقرض عصر شبابها واقترب زوالها ونهوض قيامتها واختلال نظامها كما قال الله تعالى : ﴿ واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾ (١) .

المبحث الخامس

(فى وحدة الشمس وتعددها)

يقول مؤلف هذا الكتاب هبة الدين الحسينى الشهرستانى : لم يختلف من المتقدمين فاضلان بل ولا جاهلان فى ان الشمس واحدة متفردة فى عوالم الوجود ، حتى إذا شاؤا التمثيل بأمر كلى ينحصر بفرده فى الوجود ذكروا الشمس مثالا له ، فان كليها - أعنى الكوكب المضىء الذى ينسخ طلوعه وجود الليل - منحصر المصداق لدى خارج الاذهان فى شمسنا هذه ، ولم نعهد أحداً جوز وجود شمس أخرى غير هذه الشمس ، فان الطريق الى ادراكه اما الحس أو العقل :

(أما الحس) فكليل غير قابل ، إذ البصر لا يبصر غير الانجم والكواكب من غير تفرقة بين ما هو نوره من ذاته وما يكتسب الضوء من غيره ، ولا يحس أيضا بكرات تدور حول الكواكب والنجوم ولا بعوالم ونظامات غير نظامنا وعالمنا ، فادراك عالم آخر أو شمس أخرى أمر تقوم به العقول وتعجز عنه الابصار المجردة والحواس العارية .

---

(١) سورة الانبياء آية ٩٧ .

(وأما العقل) فلم يكن عندهم مقتضياً لوجود شمس أخرى أو عالم آخر بل كان مانعاً عن اعتقاد عالم آخر بنظام آخر فى دائرة الوجود الخارجى ، فكان العالم لديهم أيضاً كلياً منحصراً بفرده المشهود - أعنى الكرة الواحدة - مركزها مقعر الأرض ومحيطها محدب فلك الافلاك .

غاية الامر ان هذه الكرة الواحدة كانت تنقسم لديهم الى ثلاث عشر كرة منضدة شبيهة بطبقات البصل ، تسعة منها أفلاك وأربعة منها كرات العناصر الاربع وكل كرة من المجموع يحيط بالسفلى من كل جهة كما مضى فى الشكل الاول فى الصفحة ٥٦ ، كما مر هذا الكلام فى صدر المقدمة السادسة من صدر الكتاب وسيأتى أيضاً .

وكانوا يعتقدون دخول الثوابت بأجمعها فى عالمنا وفى نظام شمسنا وانها بتمامها دائرة حول أرضنا فى كل أربعة وعشرين ساعة مرة ، كما يدور قمرنا حول الارض فى كل شهر مرة .

وكانوا يعتقدون احاطة الفلك الاطلسى بفلك الثوابت وانه المدير للجميع فى اليوم دورة يحصل منها الليل والنهار ، وان ثخن الفلك الاطلسى مستوعب لتمام عالم الوجود ، وما كانوا يقنعون بالسكوت عما بعد الاطلسى والتترس بكلمة (لا ندرى) بل كانوا يمنعون وجود عالم غير عالمنا ، كما صرحوا بذلك فى مباحث المعاد من كتب الحكمة .

والخلاصة انهم ما جوزوا وجود عالم آخر حتى يجوزوا فيه وجود شمس غير شمسنا أو قمر غير قمرنا أو بشر غيرنا ، حتى انهم كانوا يعتقدون استضاءة الثوابت والسيارات بأسرها من نور شمسنا هذه وإلا فهى مظلمة بذواتها وشمسنا المفيضة عليها أنوارها .

نعم ظن الشيخ الرئيس ابن سينا ان الكواكب الثابتة منيرة بأنفسها

ولكن لا بعنوان كونها شموساً ، فان مجرد كونها منيرة بذاتها لا يثبت لها فى العرف والاصطلاح عنوان الشمسية بل يتوقف ذلك على كونها عظيمة الجسم ذات نظام خاص وعالم مخصوص وسيارات وأقمار كما فى عالم شمسنا .

والشيخ الرئيس كان ممن يعتقد رسوخ الثوابت فى ثخن فلك البروج وان ليس لاحدها نظام أو عالم ، بل هى بأسرها تابعة وخاضعة لعالم أرضنا وشمسنا فهو أيضاً كان ممن يجزم بوحدة الشمس وانفرادها فى عالم الوجود ، غاية الامر انه ظن اضاءة الثوابت بأنفسها كما كان يعتقد ذلك فى الشهب أيضا .

بل كان ظن الشيخ وكثير ممن تلاه ان السيارات أيضا منيرة بأنفسها غير مستفيدة من الشمس كالقمر ، ومجرد ذلك لا يثبت عنوان الشمسية لها وإلا كان ماسوى الارض والقمر من الاجرام كلها شموساً لديه ، حتى السيارات والشهب ولا ريب فى بطلانه .

والحاصل ان المتقدمين مطلقاً لم يذهب منهم ذاهب الى تعدد الشمس ولا الى جواز كثرتها الى هذه العصور الاخيرة التى تكاملت فيها الهيئة المستحدثة واستكشف علماؤها كثرة الشموس من طرق قويمة حادثة من أدوات حل النور والنظارات ونحوها ، بل اكتشفوا درجات أنوار الثوابت وما فيها من الاجزاء المنيرة والعناصر المثيرة للنور والنار وقاسوا أبعادها ومقادير كراتها .

فأنتجت آراؤهم ان الكواكب الثابتة هى بأسرها شموس منيرة بذاتها حامية بنفسها سابحة فى أعماق الفضاء الواسع سبحاً ولا نحده من كثرة البعد الشاسع وليس شىء منها منوطاً بعالمنا ولا مربوطا بنظام شمسنا ، ولكل واحدة منها نظام خاص وعالم مخصوص مؤلف من أراض سيارة وأقمار دوارة ، وهى فى مركز نظامها كشمسنا فى عالمنا ، ولا زالت هذه الآراء فى نمو وانتشار حتى أصبح اليوم تعدد الشموس كالشمس فى وسط النهار .

وأما الشريعة الاسلامية فقد سبقت المتأخرين طراً فى اظهار هـذا الرأى الجليل بأكثر من الف سنة، فاظهرت فى موارد عديدة تعدد الشموس والاقمار فى عالم الوجود بالتلويح تارة وبالتصريح أخرى ، كما سيتلى عليك .

ولكن هذا السبق من أمناء الدين الحنيف إذ كان حاصلا بأقوال مجردة عن البراهين والأدلة الحسية المشاهدة ، وكانت براهين أدلة المسائل والفنون والمبانى المسلمة فى تلك القرون مخالفة لظواهر أقواله الحقة لاجرم أخذ العلماء والحكماء من مسلمى تلك العصور يؤلون مقالات الشريعة ، ويظهرون للناس ان المقصود من هذه الظواهر والأقوال معان خفية غير المعانى الحقيقية ، فصرفوا بتأويلاتهم البعيدة وجه الكلام عن مرامه ومرماه وبدلوا حقائقه تبديلا ، ونشكر الله تعالى إذ أظهر الحقائق ونشر العلوم الصحيحة فى عصرنا هذا فأمكننا استفادة المعانى الحقيقية من ظواهر مقالات شريعتنا القدسية :

(منها) ما رواه الشيخ الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ فى كتاب بصائر الدرجات وغيره فى منتخب البصائر وفى روضة الوافى وفى المجلد السابع والرابع عشر من كتاب البحار للمجلسى المتوفى سنة ١١١١ هـ بسند قوى الى الامام السادس أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير ، وان من وراء عين قمركم هذه أربعين قمراً فيها خلق كثير لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه » (١) .

---

(١) وروى فى بصائر الدرجات أيضاً بسنده عن الامام الباقر (ع) انه قال : « ان من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين شمس الى شمس أربعون عاماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه ، وان من وراء قمركم هذا اربعين قمراً ما بين قمر الى قمر مسيرة اربعين يوما فيها خلق-

وهذا الخبر الشريف كما تراه صريح فى وجود شموس حسية خارج عالمنا ومن وراء نظام شمسنا كما يراه المتأخرون . ولا ينقضى عجبى من علمائنا المتقدمين إذ كانوا يؤولون هذه الشموس الى معان وهمية فى عالم الخيال .

مع ان الوصى (ع) قد أكد كلامه بما لا ينبغى معه التأويل من اشارته الى الجرم المحسوس واضافته الى المخاطبين وتكرير لفظ عين فقال : « من وراء عين شمسكم هذه » فكيف يسوغ التأويل ؟

نعم نعذر القدماء بأن ما ذهبوا اليه كان مبلغ علمهم فى تلك الأعصار فما يصنع من لم يشم نفحة من الآراء الحديثة ولم يحوز كثيراً من مبانى الفلسفة الجديدة .

ولو تركوا شرح هذه الأخبار وفوضوا إظهار أسرارها العظيمة إلى أواخر العصور لكان ذلك أحوط لأمرهم وأولى .

وقوله عليه السلام : « أربعين عين شمس » احتمل فى هذا التعداد وجوها من القول :

(أحدها) أن لفظة الأربعة والأربعين والسبعة والسبعين والمائة وخمسمائة والألف ونحوها من الأعداد الشائعة كثيراً ما تأتى بها العرب لبيان الكثرة فقط والمبالغة فى التعدد لا لتعيين المعدود وتشخيص كميته ، فلا ينافى تجاوز الشموس حد الألوف فى الواقع ، مع توصيفها بالأربعين ونحوه فى هذا الخبر .

(وثانيها) وجود المانع عند الخطاب من الترقى فى العدد مثل كون المخاطب فاقد التحمل والطاقة لاستماع اكثر من ذلك ، ولذلك قد ورد فى

ـ كثير لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه » .

أقول : التعبير عن فاصلة ما بين الشمس بالعام اشارة الى اكثرية بعدها .

مورد آخر عدد الشموس اثنى عشر شمسا ، وورد من دون تشخيص العدد فى مورد ثالث . ونفصل هذا الوجه فى مسألة تعدد العوالم .

(وثالثها) ان الشموس عند بعض المتأخرين فى مبدأ حالها مثل كتلة عظيمة وغازات حامية مجتمعة ، ثم يحدث فيها مبدأ انقباض وتقلص بسبب التبرد ومبدأ انبساط وتمدد بسبب الاشعاع ، فيحدث فيها من هذين المبدأين دوار على نفسها ، ويشتد بمضى دهور عليه حتى تصير الكتلة بالدوران الوضعى كرة ، ثم يحدث عليها من تبردها بمرور الدهور قشرة ثم تتصلب بمرور ملايين من السنين ، ثم تنفصل القشرة بمر الدهور الطوال ويتكون المنفصل كرة حامية تحوم حول أمها فى الدوار ويطرأ عليها ما طرأ على امها بكرور الاعصار ، وهكذا يمر عليها دهور لا يحصيها غير الرب جل وعلا الى ان تصلح ظهور الكرات المنفصلة للتعيش والحياة وتكون الجماد والنبات فتكون الكتلة السدامية الاولى عند ذلك شمسا ذات نظام وعالم وحيوان وكيان .

وعلى هذه الآراء يصح أن تكون الثوابت مع كثرتها لا يتصف شيء منها بصفة كونه شمسا ذات عالم ونظام وخلق واناس غير جملة معدودة تبلغ الاربعين مثلا .

في الشمس والقمر كائنات حية

وأما قوله ﷺ : « ان فى الشمس والقمر خلق كثير » فظاهره يخالف ما اشتهر عند أواخر المتأخرين من ان الشمس والقمر يفقدان لوازم العيش

من وجود الهواء واعتدال الحر والمياه القابلة ونحوها ، فكيف يوجد الحى فيهما ويبقى ؟

إلا أن يراد بقوله ﷺ : « فى الشمس ، عالم الشمس بالمجاز وبحذف المضاف ، أى وفى عالم كل شمس خلق كثير (١) .

نعم ذهب الاستاذان (هرشل) كاشف نجمة أرانوس و (أراغو) وجماعة ممن تأخر عنهما الى ان الأجرام بأسرها مسكونة وحاملة للخلق حتى الاقمار والشموس ، غاية الامر ان الكائن فى كل جرم خلقه الله تعالى على حسب استعداد موطنه مثل كائنات حية تعيش فى النار كـ (السمندل) على ما نقل(٢)

---

(١) هذا التوجيه جيد وصحيح فى بادىء النظر ، ولكن ماذا نصنع مع الخبر المذكور إذ شارك القمر فى هذا الحكم ولا يمكننا اطراد هذا التوجيه فيه وتقدير مضاف محذوف فيه بأن يقال : « فى عالم كل قمر خلق كثير » لان القمر ليس له عالم ونظام خاص به وإنما هو كرة واحدة برأسها . وعلى كل حال الاحسن ان نأخذ بظاهر الخبر على ما هو عليه ونتبع فيه رأى هرشل وتابعيه ونقول : ان فى كل كرة من الكرات ـ شمساً كانت أم قمراً أم غيرهما ـ كائنات حية لكنها تختلف حسب اختلاف الاستعداد والموطن . وجاء فى خبر آخر « ان فى النجوم مدائن كمدائنكم » وطبيعى ان وجود المدائن فى النجوم متفرع على وجود كائنات حية ذات شعور وعقل حتى تحدث تلك المدائن وتصنعها ـ (ف)

(٢) ولنعم ما قيل فى هذه المناسبة :

أتحسب انك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الاكبر

نعم ان الهيكل الانسانى عالم صغير ، وكلما يوجد فى العالم الكبير ـ وأعنى به الدنيا ـ يوجد نموذج منه فى العالم الصغير ، وهكذا يمكن أن يقال : ان الدنيا عالم صغير إذا قيست الى مجموع الكرات الكونية ، فما يوجد فى تلك ـ

وظنى فى المقام ان الظاهر من الخبر المتصدى لاثبات المخلوق فى الشمس

ـ الكرات والعوالم يوجد منه أيضاً فى أرضنا هذه .

فمثلاً كما انه يوجد فى كل كرة حيوانات وكائنات حية لا تتمكن من البقاء والحياة فى كرات أخرى كحيوانات الكرة الشمسية التى لا تتمكن من الحياة فى القمر وبالعكس فى القمر حيوانات لا تتمكن من الحياة فى الشمس كذلك فى كل قطعة من الارض حيوانات لا تتمكن من الحياة فى قطعة أخرى، كالكائنات الحية التى تعيش فى الماء ولا تعيش على وجه الارض أو تعيش فيهما ولا تعيش فى النار .

وعلى هذا يمكن أن يقال : كما ان فى الارض حيوانات لها حياتين تعيش فى الماء والارض على السواء كالبط أو تعيش فى النار والارض كالسمندل كذلك يمكن وجود أحياء تعيش فى كرتين أو اكثر على السواء ، ومع قطع النظر عما يعتقده المتشرعون فى أوليائهم ربما يأتى يوم يتزاور أهل أرضنا وكرتنا مع أولئك الاحياء الذين يعيشون فى الكرات الأخرى نتيجة للتقدم العلمى الذى ساد العالم وطبق الآفاق والذى ننتظر ازدياده فى كل يوم وفى كل ساعة وحينذاك تنفتح أبواب الذهاب والاياب والسفرات المنظمة بين الارض وسائر العوالم الأخرى وتسهل الاقامة فى الكرات لسهولة تهيئة الاسباب واللوازم المناسبة للكرة التى نريد الاقامة فيها .

وفى ذلك اليوم يصبح العالم غير عالمنا فى هذا اليوم، فان كل مدينة تكون حينذاك كبيت وكل مملكة كمدينة وكل بقعة من بقاع الكرات كلواء من الالوية وكل كرة بأسرها كمملكة كاملة ، وربما ترتبط الكرات مع بعضهن اكثر مما قلنا ويكون الامر الالهى شاملا لها على السواء ينهجون كلهم شرعا واحداً ولا يختلفون فى شىء أبداً .

من دون بيان حقيقته ولا اشارة الى انه حى أو عاقل أو نبات أو سائل فيكفينا إذاً وجود الكائنات الغازية والعناصر السائلة فى الشمس لانها من المخلوقات أيضاً، فلا ينافى ظاهر الخبر رأى المتأخرين .

وأما القمر فظاهر الخبر يهدى الى وجود كائنات فيه حية ناطقة كالبشر لان الامام عليه السلام نفى العلم والدراية عنهم حيث قال : « لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلق » ونفى العلم بشىء خاص مشعر بأن ما نفيت عنه قابل لاصل العلم والدراية لكنه فقد علماً خاصاً ودراية بأمر جزئى ، فلم يقل الوصى عليه السلام انهم لا يدرون شيئاً حتى يكون نفياً لمطلق العلم بل قال عليه السلام : « لا يدرون خلق آدم » (١) ، فعلم من نفى العلم الخاص عنهم كونهم قابلين لاصل العلم ، فيثبت كونهم أحياء ناطقين ، فيتردد الامر بين كونهم من نوع البشر أو من الملائكة المجردين

وقد نقل لى بعض الفضلاء المعتمدين رواية عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام انه قال: « ان فى قمركم هذا لخلقاً كادوا يحرثون، لكننى لم أظفر به فى كتاب كلما تفحصت عنه .

وزبدة الكلام ان الظواهر الشرعية لو نطقت بوجود كائنات حية فى القمر فلا ينبغى استبعاده بمعارضته للمشهور ، فان جمعاً من عظماء الفلاسفة المتأخرين خالفوا المشهور وذهبوا الى وجود الحيوان فى خصوص قمرنا، مثل هوك وهرشل وغوك وكاسنى وأراغو - على ما فى حدائق النجوم - وكمستوك

- وانى لآسف جداً ان هذه المواضيع خارجة عما نحن بصدده وأخشى أن يقال : انك خرجت عن موضوع الكتاب ، وإلا فهذا أوان الكتابة وهنا يليق بنا أن نكتب - (ف) .

(١) لا يخفى ان هذا الوصف يمكن أن يشمل الشمس أيضا ولا يختص بالقمر فقط - (ف) .

وبيكرين وفلامريون (١) وغيرهم ، ولهم شواهد وأدلة ربما ننقلها فى مبحث القمر .

ولو صح التنبؤ به فى الشريعة انتظرنا استكمال الأدوات وارتقاء الافكار فى المستقبل لكشف هذه الحقيقة، كما كشف استكمال أسباب هؤلاء كثيراً من الحقائق الخفية عند المتقدمين والغرائب التى تنبـــأ بها نبى الاسلام ﷺ وأوصياؤه - عليهم الصلاة والسلام .

(ومنها) ما وجدته فى بعض أخبار البحار والدر المنثور للسيوطى من أبناء القرن التاسع الهجرى : « ان الله تعالى استوى على العرش فى يوم الجمعة فى ثلاث ساعات ، فخلق فى ساعة منها الشموس ... » .

وهذا الاثر أيضاً صريح فى تعدد الشموس فى عالم الوجود ، وان كان الباقى من مضامين هذا الخبر وجمله مجملا ومتشابهاً لا يفيدنا مدلولا متضحاً . وسيرفع العلم الصحيح حجاب اجماله فى المستقبل ويحل رموزه كما حل كثيراً من الرموز وأظهر وافراً من الكنوز .

(ومنها) ما رواه الطبرسى من أبناء القرن السادس الهجرى فى كتاب الاحتجاج والصفار فى البصائر والمفيد المتوفى سنة ٤١٣ هجـ فى كتاب منتخب الاختصاص والمجلسى فى السابع والرابع عشر من البحار بالأسانيد القوية عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى حديث له مع العالم اليمنى ، فقال عليه السلام فى وصف الشمس: « انها إذا أمرت تقطع اثنى عشر شمساً واثنى عشر قمراً واثنى عشر مشرقا واثنى عشر مغرباً واثنى عشر بحراً واثنى عشر عالماً » .

---

(١) فى المقتطف المجلد التاسع ص٢٦٤ : ان فلامريون يعتقد مسكونية القمر ، وحاول أن يصنع نظارة كاسرة نفقتها مليون فرنك ليرى بها سكان القمر ، ودعى محبى المعارف أن يمدوه بالمال فخبط مسعاه .

وظاهر كون هذا الخبر صريحاً فى وجود شموس متعددة وعوالم متكثرة وأقمار غير هذا القمر ومشارق ومغارب لا تحوم شمسنا حولها ولا تقرب منها ، حيث لم يأمرها مديرها ومدبرها الحقيقى ، فلو أمرت حدث فيها مبدأ سير قوى بحيث تسبح وتسيح فى الفضاء الفسيح وتقطع حدود تلك الشموس والعوالم وتجوز مدار هاتيك الأقمار والبحار وتمر بتلك المشارق والمغارب .

ولا ينافى عدد الاثنى عشر ما ورد سابقاً بلفظ الأربعين ، حيث ذكرنا ان اختلاف أطوار البيان قد يكون بسبب اختلاف أحوال السامعين ، فبعضهم لا يتحمل استماع تعدد الشموس أصلا ومنهم من يحتمل ويتحمل استماع تعددها الى الثلاثة وبعضهم الى العشرة ونحوها وبعضهم الى الأربعين وبعضهم الى اكثر حسب اختلاف مقادير القلوب ، كما نرى مثل ذلك فيمن نخاطبهم فلا ريب فى اختلاف أحوالهم وعقولهم بالنظر الى استماع الغرائب .

وطريقة الكاملين من العقلاء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم - كما أمر به الدين الاسلامى الحنيف .

لطيفة

إذا كان العالم كناية عن نظام شمسى - كما هو المصطلح بين القدماء والمتأخرين - وكان المشرق والمغرب أيضاً كناية عنه قرب المجموع من الأربعين .

فكأن الامام عليه السلام أراد بقوله : « اثنى عشر شمساً واثنى عشر مشرقاً واثنى عشر عالماً » ستة وثلاثين نظاماً شمسياً - والعلم عند الله تعالى .

تنبيه

يجوز أن يكون المراد من قول الامام عليه السلام : « ان الشمس غير مأمورة اليوم لكنها إذا أمرت قطعت كذا وكذا » الاشارة الى ما يعرض الشمس عند هلاكها وبوارها - على ما زعمه كثير من حكماء العصر - وهو : ان الشمس إذا نفد نورها ونارها فى قيامتها واختل نظامها وانتفى صفاتها وخواصها ولت هائمة فى الفضاء وتخلى عنها أراضيها وسياراتها وطلبت مركزاً لنفسها بعد أن كانت مركزاً بنفسها .

وربما انقلبت أرضاً لاحدى الثوابت ، فهى بعد تخليها عن المركزية والتجرد فى السير والسياحة فى بيداء الفضاء قد تمر بالعوالم الكثيرة والنظامات الشمسية الوافرة ، فلا تتخذ منها موطناً إلا العالم الذى قد اتصل جذبه بها والنظام الذى يدعوه بقوة الجذب الى موائد داره والاستفادة من نوره وناره ، فتخضع هذه البائرة السائرة لضيائه ومراضيه وتنخرط فى سلك أراضيه

(ومنها) قوله تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا ﴾ (١) .

أقول : قرأ المشهور السراج فى هذه الآية الشريفة مفردة ، أى ﴿ سراجا ﴾ بمعنى المصباح ، فيكون اشارة الى الشمس المبصرة . وقد نقل المفسرون قراءتها بضم السين والراء أيضاً ، فيكون بمعنى المصابيح .

وبناءاً على هذا يجوز أن تكون اشارة الى الشموس التى اعتقدها

---

(١) سورة الفرقان آية ٦١ .

المتأخرون حيث ان السراج جسم يشع من نفسه النور والنار معاً ، وكذلك الشموس عند هؤلاء ـ على ما تقدم ـ فكأنه تعالى قال : جعل فى السماء شموسا .

وقد مر مراراً عن اللغويين ان « كلما علاك فهو سماؤك » ، وان شرعنا الأقدس يطلق كلمة السماء بنحو الاشتراك على نفس الكرات السيارة السامية وعلى نفس الفضاء أيضا ـ كما فى هذه الآية المباركة .

فكأنه تعالى قال : جعل فى الفضاء السامى بروجا وشموساً مسرجة .

(ومنها) مارواه السيد نعمة الله الجزائرى المتوفى سنة ١١١٢ هـ فى النور الأرضى من كتاب الأنوار النعمانية وفى البرهان فى تفسير سورة الفاتحة عن جابر الجعفى عن الامام الخامس محمد بن على الباقر (ع) انه قال : « ان من وراء شمسكم هذه أربعون عين شمس ما بين عين شمس الى عين شمس أخرى أربعون عالما فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أو لم يخلقه ، وان من وراء قمركم هذا أربعين قرصا ما بين القرص الى القرص الآخر أربعون عالما فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه » .

وصريح هذا الخبر أيضا يعطى كثرة الشموس ، وألفاظه ومضامينه موافقة للخبر الأول لكنه يزداد عليه بأمور :

(أحدها) قوله (ع) : « ما بين عين شمس الى عين شمس أخرى أربعون عالما » و « ما بين القرص الى القرص الآخر أربعون عالما » . وفى بعض النسخ « أربعون عاما » بدل « عالما » ، وهو من تصحيف الناسخين .

وعلى كلا التقديرين لا يظهر تحقيقه الموافق لمسائل الهيئتين معا ، فنذره فى سنبله ونستودعه الى ظهور أهله .

(وثانيها) التعبير عن القمر بالقرص ، ومعلوم انه أعم فيشمل الشمس والقمر وغيرهما .

(وثالثها) قوله (ع) فى صفة المخلوقين فى الشمس : « ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه » .

وقد مر فى شرح الخبر الأول تجويز وجود الكائنات فى الشمس - كما ذهب اليه هرشل وأراغو وغيرهما - وجواز التجوز فى تعبير الخبر، واحتمال ارادة الملائكة منهم وغير ذلك .

والنتيجة ان هذا الخبر الشريف أيضا مصرح بكثرة الشموس وكثرة العوالم والآدميين فى الكون المحسوس - كما هو مختار المتأخرين .

فهذه يا اخوانى ناصية الارض قد ابيضت وشابت بكرور الأعصار حتى استولدت مبادىء ومبانى وأدوات أنتجت هذه الأفكار الأبكار وأصبحت ملل الغرب تفتخر بكشفها ، وأضحى أبناء الشرق يفتخرون بأخذها ونشرها .

فانظروا الى أوصياء النبى - عليهم الصلاة والسلام - كيف فاهوا بها وذكروها فى غابر الدهور وماضى العصور ، حيث لا عين ولا أثر من هذه المبانى ولا خطر على قلب بشر بعض هذه المعانى .

ومع هذا كله لم يمنحوا (ع) هذه الأسرار أهمية ولا أورثت فيهم إعجابا ، بل كانوا يهتمون ويستعظمون المعارف الآلهية ورعاية النواميس الشرعية ، ويحرضون الناس على اصلاح مملكة النفس وتكميل كمالاتها وملكاتها والعمل لما بعد الموت ، فانه مفترس كل نفس باليقين . فالفوز لمن استيقظ عقله واكتسب النعيم الدائم .

« المسألة العاشرة »

(فيما يتعلق بالقمر)

قد ادعى الفلكيون فى هذه القرون اثبات أوصاف وأمور لجرم القمر ما كنا نسمع أو نعقل شيئا منها ، ونجد اليوم كثيراً من آرائهم مخالفا لمبانى الهيئة القديمة ومناقضا لمسلماتهم ، فهل جاء فى هذا المقام عن شارع الاسلام حكم أو بيان أو سكت عنه هذا الدين كسائر الاديان ؟

(الجواب)

قد اضطربت أفكار الحكماء من المتأخرين والقدماء فى جرم القمر وصفاته وحالاته ، وما صفى أمره لديهم مع قرب جواره وانكشاف عذاره فقيل مسطح وقيل مفرطح وقيل صغير وقيل كبير وقيل بسيط لطيف وقيل مركب كثيف وقيل نورانى وقيل ظلمانى وقيل منفرد وقيل متعدد ، الى غير ذلك من الاختلافات المستندة إلى شواهد وبينات نصطفى من بينها الأمور المهمة الآتية :

الامر الأول

(فى محل القمر من الأنجم ونسبة فلكه الى افلاكها)

قد ذهب الأقدمون طراً الى ان جرم القمر مركز فى ثخن فلك جسيم

محيط بكرات العناصر ويحيط بهذا الفلك فلك جسيم آخر مركوز فى ثخنه عطارد ويحيط بفلك عطارد فلك مثل سابقه للزهرة ويحيط بفلك زهرة فلك عظيم وفى ثخنه قرص الشمس ويحيط بفلك الشمس فلك فى ثخنه المريخ ... وهكذا

وأما أصحاب الهيئة الجديدة فمتفقون على ان محل القمر فوق هواء الأرض باثنين وستين ألف فرسخ تقريباً ، فهو بنفسه دوار فى مداره حول الأرض غير مركوز فى جسم ، ثم انه مع الأرض يدوران فى مدار واحد سنوى .

ولما كان مدار الأرض وفلكها متوسطاً بين أفلاك السيارات يكون موضع القمر وسطاً بين السيارات ، فان كلا من زهرة وعطارد أمام الأرض نظراً الى الشمس ، والمريخ وما بعده خلف الأرض ، فيتوسط القمر بين الأنجم عند قاطبة المتأخرين ، ويكون تحتها طراً عند القدماء .

ولقد ظفرت فى شريعتنا القدسية على ظواهر تهدى نحو الرأى الأخير وتوافق النظام الحادث الشهير :

(منها) قوله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا ﴾ (١) .

فظاهر قوله تعالى : ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً ﴾ يدل على انه متوسط فى السماوات وان مجموعها كالظرف للقمر ، فلم يقل تعالى : « جعل القمر فى سماء » أو « فى السماء » حتى يناسب قول القدماء ، بل قال تعالى : ﴿ جعل القمر فيهن نوراً ﴾ فينطبق على مختار المتأخرين ، سواء فسرنا السماوات كالقدماء بالأفلاك فيكون القمر بينها ، أو فسرناها بالكرات السامية كما تقدم فالقمر أيضا بينها ، أو فسرناها بالكرات البخارية المحيطة بالكرات السامية كما حققته فى مسألة حقيقة السماوات فالقمر ايضا بينها .

---

(١) سورة نوح آية ١١ .

وعلى كل تقدير جائز عند المتأخرين يتفق القمر وسطاً فى السماوات .

ويؤيد هذا المعنى ان الله تعالى لم يقل : « وجعل الشمس فيهن سراجا » حتى يستوى حال الشمس والقمر فى هذه الجهة ، مع ان ذلك عند القدماء أولى بالشمس من القمر ، بل اكتفى فى الشمس بصفة كونه سراجا ، لأن الشمس شأنها عند الأواخر غير شأن القمر ، إذ هى المركز لحركات الكرات السامية حولها وليست متحركة بينهن كالقمر - فتدبر .

وأما كون السماوات طباقا فلسنا على يقين فى أن معناه كون السماوات طبقات كطبقات البصل يحيط العالى بما يليه مثلما زعمه المتقدمون ، إذ يجوز أن يراد كونها طبقات كطبقات البيت والغرف كل منها فوق الأخرى أو تحتها - كما اختاره السيد الجزائرى ويراه المتأخرون أيضا .

وأما الكلام فى نصب ﴿ نوراً ﴾ فنحيله الى محل آخر مناسب لمثل هذه المباحث .

(ومنها) ما وجدته فى فرج المهموم فى النجوم للسيد رضى الدين على بن طاوس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ وفى بحار المجلسى وغيرهما مسنداً عن أمير المؤمنين على عليه السلام فى خبر احتجاجه على الدهقان (سرسفيل) المنجم الفارسى انه عليه السلام قال : « أظنك حكمت على اقتران المشترى وزحل لما استنارا لك فى الغسق وظهر تلألؤ المريخ وتشريقه فى السحر وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربيع القمر ... » .

ويدل بظاهره على ان المريخ قد يقرب ويشتد اقترابه من قمرنا ، وهذا المعنى لا يتحقق إلا على النظام الجديد ، فان النظام القديم - كما سبق - يثبت سيارات وأفلاكا جسيمة الثخن عظيمة المسافة بين فلك القمر وفلك المريخ ، فكيف يتقاربان مع دوام انفصالهما بفلك عطارد والزهرة والشمس؟.

وأما النظام الجديد فيبرهن على أن فلك المريخ محيط بفلك الأرض ليس يفصل بينهما فلك ولا سيار ، والقمر أيضاً يدور حول الأرض ، فبعد كون أفلاك هذه الثلاثة بيضوية مستطيلة إذا فرضنا الأرض فى القطر الأقصر من فلكها والقمر فى القطر الاطول من فلكه والمريخ فى القطر القصير من فلكه عند الأرض حصل من القرب بين القمر وبين المريخ ما يوهم اتصالهما هكذا . وكثيراً ما يتفق فى القرون هذا الاتفان .

قال فانديك فى باب المريخ من كتابه النقش فى الحجر : « وأما فلكه فمتطاول جداً هليلجيته كثيرة ، فتارة يقرب الينا كثيراً وأخرى يبعد عنا كثيراً فهو حينئذ أقرب فى موقع حسن للرصد » .

وفى ترجمة كتاب فيلكس ورنه ما معناه : « وكلما قرب المريخ من مقابلة الشمس كبر جرمه فى النظر ، فانه عند ذلك قريب الاتصال من أرضنا ، ويقع هذا الاقتراب فى كل سنتين وخمسين يوماً » .

فاستبان لك جواز قرب المريخ من القمر اقتراباً يوهم الاتصال ، وانه عند ذلك يظهر لنا تلألؤ المريخ وبهجته لكمال قربه منا وكبره فى نظرنا .

قال فى حدائق النجوم : « ان المريخ فى بعده الاقرب منا يكبر فى نظرنا خمسة وعشرين كبره فى بعده الابعد » .

فانظر الى سلامة هذا الخبر الشريف بناءاً على النظام الجديد ، وموافقة الفلسفة مع قوله ﷺ : « وظهر تلألؤ المريخ وتشريقه فى السحر » .

أقول : ولا يبعد أن يقع ذلك الاقتراب وقت سحرنا وعند تربيع القمر فى عصر هذا الخطاب ، انظر شكل (١٠) .

وقوله ﷺ فى المشترى وزحل : « لما استنارا فى الغسق » اشارة الى أن اجرام السيارات مظلمة بالذات كالقمر ، وانما تستنير وتستضىء من قرص

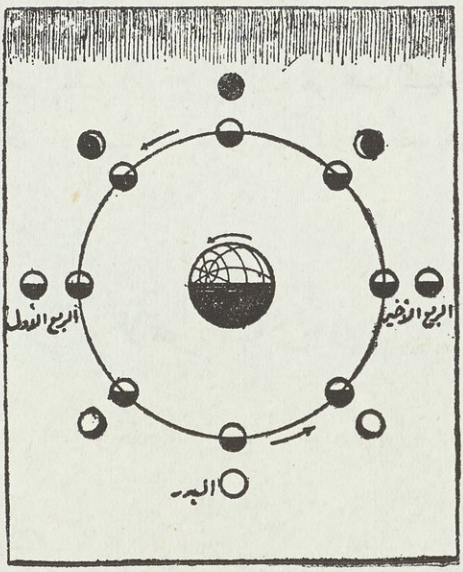

(ش - ١٠) أشكال تربيع القمر

الشمس - كما ثبت فى الهيئة العصرية - وليست بجرم الشمس نيرة بالذات كما ثبت فى الهيئة القديمة .

وسوف أشرح هذه المسألة فى المقالة الثانية من خاتمة الكتاب ، واذكر موافقة شرعنا مع الفلسفة الحاضرة .

(ومنها) ما وجدته فى كتاب الدر المنثور والبحار ج ١٤ : « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا » .

وهذا أيضاً ظاهر الموافقة مع النظام المختار عندنا دون نظام القدماء فانه بناءاً على كون السماء الدنيا هى الكرة البخارية الارضية - كما حققته فى مسألة حقيقة السماوات - يكون القمر فوق السماء الدنيا ، وكذلك النجوم والرجوم على الاغلب فى الاخير .

وأما اذا كانت السماء الدنيا فلك القمر - كما اشتهر عند المحققين المتقدمين -

أو كانت كناية عن فلك البروج - كما قيل - لزم أن يقول: « أن القمر فى السماء الدنيا » بناءاً على مذهب المشهور ، أو يقول: « هو تحت السماء الدنيا » بناءاً على القول النادر ، فما اخترناه بحمد الله تعالى هو الأوفق بظواهر الدين وبالحق المبين .

الامر الثانى

(فى وحدة القرص أو تعدده)

قد شرحت القول فى المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس وذكرت ان القدماء جميعاً الى القرن الحادى عشر بل الثانى عشر من الهجرة لم يتفطن أحدهم بتعدد القمر فى عالم الوجود .

وأول قمر اكتشفوه غير قمرنا المبصر قمر للمشترى اكتشفه غاليله سنة ١٦١٠م بأول نظارة صنعها سنة ١٦٠٩م ، ثم تتابعت اكتشافات الاقمار الخفية حتى بلغ القدر المسلم منها فى عصرنا الحاضر ثمانية وعشرون قمراً . واحد لأرضنا واثنان للمريخ ، وثمانية للمشترى ، وتسعة لزحل ، وثمانية لأرانوس ، وواحد لنبتون - كما سبق فى المقدمة السادسة .

ويزداد على ذلك باضافة قمر واحد لزهرة كما ادعى رؤيته كاسنى ومونتاين وغيرهما - على ما فى دائرة المعارف .

وقال ميخائيل فى هامش مشهد الكائنات : « ان كثيراً من مشاهير الفلكيين أثبتوا لزهرة قمراً مثل قمرنا ، حتى ان بعضهم رآه أربع مرات ، وحسب بعضهم قطر قمر الزهرة ألفين ميل ، وان بعده عن جرم زهرة كبعد

قمرنا عن أرضنا تقريباً » .

وباضافة قمر آخر لأرضنا على ما ادعى ، ففى آيات البينات وفى باب المذنبات من أصول هيئة فانديك : « زعم البعض ان واحداً من هذه الأجرام (المذنبات) صار تابعاً للأرض - أى قمراً لها - يدور حولهـــا فى ثلاث ساعات وعشرين دقيقة على بعد معدله خمسة آلاف ميل » .

أقول : ويبعد صحته أمور بعضها عدم ظهوره للنظارات بعد ترقياتها الباهرة مع ظهور ما هو أخفى منه وأبعد .

* * *

وأما أوصياء النبى - عليهم أفضل الصلوات والتسليمات - فقد ذكروا وجود أقمار أخرى غيرهـــذا القمر المحسوس قبل أن يحدث فى العالم رأى بتعدد الاقمار اكثر من الف سنة ، فهم السابقون فى هذا الرأى الجليـل وما كان من هذا القبيل على جميع العلماء طراً .

وقد فصلنا الأخبار المتضمنة لتعدد الاقمار فى المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس .

ففى بعضها تصريح بوجود أربعين قمراً من وراء عين قمرنا هذا ، وفى بعضها تصريح بوجود اثنى عشر قمراً . وقد شرحنا المطالب هناك من كل جهة - فراجع .

وقد وجدت فى روضة الوافى خبراً عن أمير المؤمنين على (ع) يشعر بوجود قمر غير هذا القمر ، مثل قوله (ع) : « قمرنا أم قمرهم » فانه ظاهر فى ان لنا قمراً ولغيرنا ايضا قمر - والعلم عند الله تعالى بارىء الكون .

الامر الثالث

(فى برودة القمر وحرارته)

لم يكن أحد من العالمين يشك فى ان نور القمر بارد بالطبع لا حر فيه أصلا ، وان الجرم منه مقدس عن العنصريات لا تشوبه نارية أبداً ، حتى اخترع المتأخرون أدوات دقيقة فكشفوا غطاء الجهل عن هذه الحقيقة واعتقدوا ان القمر يصحب نوره حرارة خفيفة خفية وليس بارداً رطباً فقط كما زعمه المتقدمون .

قال فانديك فى أصول الهيئة : القمر يرسل حرارته نحو الارض على طريقتين : (الاولى) بالانعكاس أى ينعكس عنه شعاع الشمس . (الثانية) بالاشعاع أى يحمى القمر تحت حرارة الشمس ثم تشع منه حرارة كما تشع من جرم آخر .

أقول : يعنى كما ان الأجرام العنصرية الأرضية تحمى تحت حرارة الشمس فتجود بأجزاء نارية مكمونة فى باطنها ، ولو لم يكن فيها عناصر نارية لم تشع حراً ولم تتصف بالاحتماء ، ولذلك تختلف الأجزاء الأرضية فى الاحتماء بالشمس مع تساويها فى اكتساب الاشعة .

وفى ترجمة هيئة فيلكس ورنه ما معناه : ان ضوء القمر تصحبه حرارة خفيفة ، وكان الحكماء السالفون ينكرونها لنور القمر ، ولكن المتأخرون استنبطوها بالتجارب الكاملة من الآلات الفاضلة واستقر رأيهم على ان قمرنا يرسل الينا حرارة مصحوبة مع نوره .

أقول : وقد سبق المتأخرين طراً فى اثبات الحرارة لنور القمر واعتقاد النارية والتركيب لجرمه اثنان :

(الأول) هو الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام حيث سأله سائل عن القمر لم صارت الشمس أحر منه ؟ فقال عليه السلام : « ان الله خلق القمر من ضوء(١) نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء(٢) فمن هنالك صار القمر أبرد من الشمس » .

وقد ذكرت أسانيد هذا الخبر الجليل وتمامه مشروحا فى المقالة الثالثة من المبحث الأول من مسألة صفات الشمس .

وقد استفدت من ظاهر هذا الحديث مطالب :

(أحدها) تركب جرم القمر من طبقات عنصرية كما ثبت فى هـذه العصور ، وانه ليس بسيطاً ومنزهاً عن العنصريات كما اعتقده القدماء .

(وثانيها) ان القمر تابع للشمس ومتأخر عنه فى الخلقة ، لأن الامام عليه السلام قال فى تشريح الشمس : « ان الله تعالى خلق الشمس من نور النار » وقال فى تشريح القمر : « ان الله تعالى خلقه من ضوء نور النار » فيستفاد من هذا التعبير تبعية القمر للشمس كما اختاره المتأخرون ، وقالوا بتبعية القمر لها فى النور كما هو واضح ، وفى الحركة حيث ان الشمس تحرك الأرض وهى تحرك القمر ، وفى الخلقة حيث ان القمر عندهم منفصل عن جرم الأرض فى مبدأ التكوين ، والارض منفصلة عن الشمس (٣) ، واستشهد

---

(١) فيه دلالة على ان نور القمر مستفاد من الشمس .

(٢) هذا مشير الى وجود الماء والبحار فى كرة القمر .

(٣) يعتقد بعض الفلاسفة المتأخرين ان الكرة الارضية متوجهة الى الفناء والدمار وتنفصل عنها دائماً ذرات وأجزاء تسبح فى الفضاء الوسيع ، وعلى هذا تنطبق الآية الكريمة المذكورة هنا على هذا الرأى أحسن انطباق ولا نحتاج الى تفسيرها بما فسره سماحة المؤلف ، وان كان تفسيره لا يخلو من -

لهم البعض بقوله تعالى : ﴿ نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ﴾ (١) واسم التوابع عند هؤلاء لا يطلق إلا على الأقمار .

(وثالثها) ان القمر يصحب نوره حرارة خفيفة ، لقوله (ع) فى صدر الخبر : « فمن هنالك صارت الشمس أحر من القمر » فأفضلية الشمس على القمر وزيادتها عليه فى الحرارة يستلزم أن يكون القمر ذا حرارة ولو قليلة ، حتى يصدق ان الشمس أحر منه .

وقد ذكرنا لك مختار الأواخر فى حرارة نور القمر (٢) .

(ورابعها) ان للقمر طبقات نارية منطوية فيه ومخفية فى جرمه، لقول الوصى (ع) : « طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ».

أقول : ذهب أواخر المتأخرين أيضاً الى وجود طبقات نارية فى وجوف القمر ، كما ذهبوا إلى وجود نار حامية فى بطن أرضنا ، ينفجر القمر عنها أحياناً بالبراكين كما تنفجر أرضنا بالبراكين - انظر شكل (١١) .

وأول من اكتشف عن الجبال النارية والبراكين فى قرص القمر هو

- لطف لأن كلى الانفصال عن الأرض يصدق على انفصال القمر عنها أيضا - (ف)

(١) سورة الرعد آية ٤١ .

(٢) قاس الاستاذ (بيازى سميث) حرارة القمر فوجدان الشمعة التى بعدها عن آلته ١٥ قدماً حرارتها الواصلة الى آلته أشد من حرارة القمر الواصلة اليها .

وقاس الاستاذ (لنغلى) حرارة القمر فوجدها جزءاً من مليون جزء من الدرجة .

أقول : النار مهما خفت لا تفقد حسن تأثيرها كالنار الحضانية فى الطيور وعند الكيماويين .

الفيلسوف (هوك) على ما نقل فى كتاب حدائق النجوم ، وانه استكشفها فى كسوف ذات الحلقة سنة ١٨٣٦ م وظهر له فى هذه المراقبة الصبح والشفق من كرة القمر ، وكان ضوء نار البركان أوضح عنده من ضوء شفق القمر . وقدر قطر المخرج الأعظم من فوهة هذا البركان بنظارة (هرشل) بقدر الكوكب من القدر الرابع بحيث كان من الممكن أن يراه البصر المجرد أيضاً .

ومن هنا ذهب الفيلسوف هوك الى وجود جو وبخار وهواء فى كرة القمر ورجح وجود الحيوان فيها ، فان الصبح والشفق ونار البركان شواهد قوية على وجود الحيوان فى القمر - كما مر فى المقالة الأولى من مبحث تعدد الشموس .

(الثانى) ممن أثبت الحرارة لنور القمر قبل المتأخرين هو الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع) فانه قال : « الشمس والقمر آيتان » الى قوله (ع) :

(ش - ١١) الجبال النارية والبراكين فى القمر

« وضوؤهما من نور عرشه وحرهما من نار جهنم » ، وقد نقلنا مقاله مشروحا فى المقالة الخامسة من المبحث الأول من مسألة صفات الشمس - فراجع .

وقد ذكرنا مراراً أن السبب فى عدول حكماء المسلمين عن أقوال هؤلاء القديسين فى المطالب الفلسفية هو ان أقوال الأوصياء كانت فتاوى من دون أدلة ، معتمدين فيها على انكشاف حقائق الكون لديهم بالوحى ، ومحض ذلك لا يقنع الحكماء إذا وجدوا براهينهم العقلية تناقض أقوال الأوصياء .

ولا ريب فى ان مبانى الفلسفة القديمة كانت كثيرة المخالفة لظواهر أقوال شرعنا الأقدس ، ولذلك كان بعض علماء الدين يوافقون ويؤلفون بين ظواهر الدين وبين مسلمات الفلسفة القديمة ، بتأويل الظواهر وتوجيهها الى معنى آخر .

وظاهر هذا الخبر يومى الى كون القمر ذا نور من نفسه غير ما يكتسبه من الشمس ، ولم يذهب الى هذا الرأى غير جماعة من الأواخر .

بل قال الاستاذ هرشل - على ما فى حدائق النجوم - : ان للأجرام المظلمة بأسرها نور خفيف ذاتى لها .

وأيد بعضهم ذلك بأمرين :

(الأول) رؤيتنا كثيراً للقمر نهاراً وهو فى المحاق .

(الثانى) رؤيتنا له دائماً حالة الكسوف أو الخسوف الكليين وهو نورانى بنور ضعيف يميل الى حمرة قوية .

وهذان الأمران لا يتمان إلا بكون القمر نورانياً بذاته ولو بالقليل جداً ولا تستبعد ان يكون للقمر نور ذاتى خفيف مستهلك فى نوره العظيم المستفاد من الشمس .

* * *

فاستعملوا الفكرة واستعينوا يا أصفياء السريرة بنور البصيرة فيما أظهره النبي الأمي وأوصياؤه القديسون قبل اكتشافات المتأخرين بأكثر من عشرة قرون .

انظروا الى أولياء الله تعالى كيف فتح الله عليهم أبواب العلم بالحقائق الكونية وكشف لهم أسراره الغيبية ، فأخبروا عما عجزت وقصرت عنه عقول الناس فضلا عن الحواس .

لا تحمل ذلك إلا على شدة الاتصال بعالم القدس والارتباط بالملكوت واللاهوت وغاية القرب من المبدأ الأعلى والوحى والالهام من الملك العلام ، إذ لا يجوز عليهم غيرها .

والعجب كل العجب من الذين يرون هذه الآيات الباهرة والمعاجز الظاهرة ويصرون على مكابرتهم وعنادهم ولا يعترفون للحق الصراح ويلزمون جانب الأهواء ، ف (اولئك هم الكفرة الفجرة) .

اننا لا نعجب من أولئك الجاهلين الذين آذوا النبي ﷺ وناوؤه لأنهم كانوا بعيدين عن العلوم والمعارف والثقافة متوغلين فى الهمجية الصارخة ، اننا لا نعجب من أولئك وانما نعجب أشد العجب من أبناء عصرنا الحاضر - عصر الذرة والنور - كيف يسوغ لهم العلم والثقافة عدم ايمانهم لذلك النبي الأمي وأهل بيته المعصومين - عليهم الصلاة والسلام - الذين طبقوا العالم بعلومهم وأيقضوا البشر من سباتهم العميق ، انهم أخبروا فى ذلك العصر المظلم - الذى لا توجد فيه آلة ولا تتهيأ لديهم وسائل الكشف عن أشياء لم يوفق العلماء بكشفها بآلاتهم الرصينة إلا بعد مضى قرون طويلة وعناء وتعب مضنيين .

هذه هى المعجزة الحقة وهذه هى آية الصدق فى الدعوة الرشيدة .

« المسألة الحادية عشر »

(فى عدد السيارات)

الظاهر من المتقدمين انهم كانوا يعتقدون بوجود سيارات سبعة فقط وهى : القمر ، عطارد ، زهرة ، الشمس ، المريخ ، المشترى ، زحل . ولكن الفلاسفة المتأخرون أضافوا على هذه السبعة سيارتين أخرى وجعلوا السيارات للنظام الشمسى تسعة ، فهل ان الشريعة الاسلامية المقدسة ساكتة فى هذا المقام أم لها رأى خاص ؟

(الجواب)

لا ريب فى ان القدماء من الحكماء كانوا يعدون الانجم السيارة سبعة ولا يذكرون سواها ، وهى عندهم : النيران - أعنى الشمس والقمر - والخمسة المتحيرة وهى : زهرة ، عطارد ، المريخ ، المشترى ، زحل .

نعم حكى عن ذيمقراطيس وارثميدر من قبل الميلاد مذهب عدم تناهى عدد السيارات وظنى انهما قصدا بذلك مطلق ما يسير فى الفضاء أعم من الثوابت ومن السيارات فى اصطلاحنا .

وقد أظهرا هذا الرأى مخالفة لزعم أرسطو ونحوه من المتقدمين ان الثوابت غير متحركة ، فقصدا بالحقيقة اختيار الحركة لجميع أجرام العالم ولا شىء منها بثابت حقيقى ، ولم يقصدا عدم انتهاء سيارات عالم شمسنا .

ومقصودنا الأهم انما هو اظهار كون النظام البطليموسى الشائع قبل الاسلام وبعده لا يثبت غير السيارات السبعة .

وأما النظام الكوبرنيكى المختار عند المتأخرين فما برح يتقلب فى عدد سيارات شمسنا من رأى الى رأى وهاك الموجز من تقلباته :

زعم أصحاب هذا النظام الجديد حصر السيارات فى ستة عند ابتداء أمرهم ، وهى أرضنا والخمسة المتحيرة ، وأما النيران فقد كانا خارجين لديهم عن عداد السيارات .

ولما أشاع الحكيم (تى تى يوس) ميزانه فى أبعاد السيارات المعروف بـ (سلسلة البعد) احتملوا وجود سيارة بين المريخ والمشترى ، فان تى تى يوس يرى انه لو فرض بعد الأرض عن الشمس عشرة من المقادير مطلقاً كان بعد عطارد أربعة منها وبعد زهرة سبعة منها وبعد المريخ ستة عشر منها .

وميزان ذلك لديه ان تضمر لكل سيارة عدد الأربعة مما أعطيت الارض منه عشرة ثم تضيف الى زهرة ثلاثة من جنس تلك العشرة والى ما بعد زهرة ستة ، وهكذا تضيف لكل سيارة ضعف ما أضفته للسابقة ، واستثن الارض منها حيث أعطيتها العشرة من ابتداء الأمر فيكون النظام هكذا :

عطارد أربعة ، زهرة سبعة ، الارض عشرة ، المريخ ستة عشر ، ما بعده ثمانية وعشرون ، المشترى اثنان وخمسون ، زحل مائة ، ارانوس مائة وستة وتسعون ، نبتون مائتان وثمانية وثمانون - وكل ذلك بنحو التقريب (١) .

---

(١) قال الطنطاوى : ان علماءنا قالوا : اذا قدرنا قطر الارض ثمانية كان قطر الهواء تسعاً وقطر فلك القمر اثنى عشر وقطر فلك عطارد ثلاثة عشر وقطر فلك زهرة ستة عشر وقطر فلك الشمس ثمانية عشر وقطر فلك المريخ واحد وعشرون ونصف وقطر فلك المشترى أربعة وعشرون وقطر فلك زحل ثمانية -

ثم من بعد اكتشاف هرشل نجمة ارانوس اعتقد الفلكيون كون السيارات سبعة ، إذ كان ميزان تى تى يوس يقتضى فى حد (١٩٦) مداراً لو كان بعد زحل سيار آخر ، ومن بعد اكتشاف ارانوس وجدوها فى حد (١٩٢) غير بعيد عن ميزان تى تى يوس قوى ظنهم بوجود سيارة بين المريخ والمشترى على حد (٢٨) فأضحت نظاراتهم تتوجه اليه وتراقب عليه حتى اكتشف الحكيم (بيازى) سنة ١٢١٥ هجـ نجمة (سرس) بين المريخ والمشترى ، وذكروا تى تى يوس بكل خير ، وكمل عندهم ميزانه وحسبوا السيارات يومئذ ثمانية وصار سرس من السيارات المعظمة المعتد بشأنها .

ولكن هذا الفرح والاطمئنان ما بقيا لهم كما لا يبقيان لشخص ولا لنوع ، فلم تمض عليهم سنة إلا وكشفوا نجمة أخرى بجنب تلك اسمها (بلس) .

- وعشرون الاربع ، وقالوا : ان هناك نسبة شريفة بين الارض والقمر - أى الثلثان - وكذا بينها وبين الهواء والزهرة والشمس والمشترى ... الى أن قال : أما الثلاثة الباقية - وهى عطارد والمريخ والزحل - فليست نسبتها محمودة ، اذ المحمود مثل النصف والربع والثمن .

وقال أيضاً : ذكر العلامة اللورد افبرى فى كتابه جمال الطبيعة عن الاستاذ يود قانوناً سماه (قانون يود) ولم تكمل تجربته فلا يزال محل نظر ، وهو ان كل كوكب يبعد عن الشمس ضعف ماقبله مع زيادة ثابتة ماعدا الاول وايضاحه : اننا اذا فرضنا عطارد بعده عن الشمس أربعة فبعد الزهرة سبعة والارض عشرة والمريخ ستة عشر ، وفى بعد ثمانية وعشرين متسع عظيم ومنطقة مشغولة بكواكب أخرى يعبرون عنها (زون) تبلغ نحو ثلاثمائة كأنها ذرات لا تكاد تتميز ، اكتشفها (بيزى) فى أول يناير سنة ١٨٠١ م ... ثم قال : وبعد ذلك المشترى ٥٢ وزحل ١٠٠ ، هذا هو القانون الذى رسمه يود وأكمله بيزى .

ثم اكتشفوا فى ذلك الحد نجمة باسم (جون ووستا) فى تلك السنين ، فزال الفرح والاطمئنان بميزان تى تى بوس وصاروا يعدون السيارات احدى عشر على أبعاد غير منظمة .

وانغلق عليهم باب اكتشاف الانجم السيارة عشرات من السنين . فظلوا على ذلك الاعتقاد ، وكتب على ذلك النظام كتب كثيرة منها كتاب (حدائق النجوم) وغيره .

ولما كان الفرج بعد الشدة والضياء بعد الظلمة من النواميس المعنوية التى سنها الله تعالى فى الكون انفجرت عيون الاكتشافات على الراصدين من سنة ١٢٦٠ هجـ ، وانكشفت سيارات كثيرة فى حد (٢٨) ، حتى انهم كشفوا فى شهر واحد ثمانية عشر نجمة .

فاستقر رأيهم على ان هذه النجوم المتوسطة بين مدارى المريخ والمشترى ليست بسيارات مستقلة كالبقية بل هى بأسرها أجزاء سيارة عظيمة كانت بين المدارين على حد (٢٨) تسير منفردة كباقى السيارات (١) ثم انفطرت فى الدهور الماضية وانفلقت وتفسخت بسبب من الاسباب الكونية لا يعلمها غير خالقها ، فظلت أجزاؤها وقطعها المنفصلة تدور على وضع أمها ونظام أصلها الأول .

وتأيد رأيهم هذا بتشابه دورانها زماناً وصفة ووضعاً وشدة اقتراب مداراتها . كما اشرت اليه فى المقالة الخامسة من مسألة تعدد الأرضين .

ومن بعد ما اعتقدوا وحدة هذه النجوم فى الأصل وكونها مشتقة جميعاً من كرة واحدة منفلقة الى هذه النجيمات الصغار رجعوا أيضا الى اعتقاد صحة

---

(١) خالف الفيلسوف (نيوكم) الامريكى هذا الرأى حيث انه ذهب الى ان كلا من هذه النجيمات سيارة مستقلة حسبما حسب من حركاتها فى أدوار متقدمة وعدم اجتماعها فى بقعة يوماً ما حتى تكون بنات أم واحدة .

ميزان (تى تى يوس) والى ان السيارات سبعة .

ثم لما اكتشف لورية الفلكى الفرنسى الشهير نجمة نبتون خلف أرانوس ونجمة فلكان قبل عطارد سنه ١٢٦٤ هجـ شاعت السيارات تسعة فى العدد بالنظر اليهما ، والثمانية أشهر لصعوبة رصد فلكان ، فلا يفوز بلقائه إلا القليل .

* * *

وما قصصته عليك هو بعض ماجرى على الفلكيين فى حصر السيارات وتقلباتهم فى اعداد النجوم الدائرة فى عالم شمسنا المبصرة .

وأما الشريعة الاسلامية فظواهرها طائفتان :

الطائفة الأولى

ظواهر تدل على ان السيارات سبعة لكنها مسوقة على نحو يلائم النظام الجديد لا القديم .

وعندى ان هذه الظواهر ناظرة الى المبصر من السيارات لا مطلق السيارات الحقيقية لشمسنا .

وقد مر ان المتكلم ينبغى له أن يذكر الحكم لموضوع قابل للحس والادراك فى خطاباته العرفية العمومية ، ولا شك ان سبعة من السيارات كانت أبداً قابلة للاحساس والادراك ، وان لم يعرف المخاطبون بعضها لتقصير منهم لا لقصور فى الموضوع .

وأما ما تعذر ادراكه بالحس المجرد عن الأدوات فلا يستحسن للعقلاء توجيه المتكلم أحكامه عليه عند العرف ويصفه بين الناس عموماً ، خصوصاً من يجب عليه حفظ وجاهته فى العرف ، وان لا يوحش الجمهور فيختل انفاذ وظيفته واقامة ما هو مبعوث لأجله .

نعم يجوز التكلم عن مثله لمثله نادراً على سبيل بث الاسرار وايداعه فى صدور الأحرار وبمحضر من أصحاب الكمال .

وقد تكلمنا عن هذا الامر فى المسألة الرابعة فراجع حتى تنتفع وتعرف ان السيارات المبصرة هى أرضنا وزهرة وعطارد ومريخ والمشترى وزحل وارانوس فان أرانوس يبصر كنجم من القدر الخامس مما يراه الناس .

وما عدا هذه النجوم حيث لم يكن أحد يبصره فى تلك العصور لم ينصرف اليه وجه الخطاب والكلام العمومى ، وانما ألقى ذكره على خواص الصحابة - كما سيذكر .

الطائفة الثانية

تدل على ان السيارات احدى عشر ، وهذه الظواهر ناظرة إلى تعداد جميع سيارات شمسنا ما يبصر منها وما لا يبصر ، ما عرف فى الماضى وما سيعرف فى المستقبل ، ما اكتشف حتى الآن أو لم ينكشف بعد :

(منها) قوله تعالى : ﴿ انى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴾(١) .

هذه النجوم التى رآها يوسف عليه السلام فى المنام كانت نجوماً فى المنام قطعاً غاية الامر انها فسرت وأولت فى اليقظة بأخوته الأحد عشر ، لأنه عليه السلام نبى معصوم عن الكذب ، وأنه لو رأى اخوته بأعيانهم فى المنام لما احتاج الطيف الى تفسير وتأويل ، فهو عليه السلام قد رأى نجوماً بهذا العدد والصفة فى المنام .

ثم ان هذه النجوم المشتركة فى صفة السجود له لو كانت من جملة الثوابت لكان ترجيح تخصيصها من غير مرجح ، لزيادتها على آلاف الألوف

(١) سورة يوسف آية ٥ .

وتساويها فى الجنس والصفة ، بخلاف ما لو أخذت من السيارات كان لها وجه اختصاص ومناسبة فى العدد ، فيترجح بالقرينة العقلية ارادة السيارات من هذه الكواكب والنجوم الساجدة التى شاهدها يوسف عليه السلام فى المنام . وستأتى الشواهد على هذا الكلام عن قريب انشاء الله تعالى (١) .

(ومنها) فى تفسير النيسابورى والكشاف للزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وكانت النسخة بخط عبد العزيز بن محمد بن يعقوب الترمذى فى جمعة عاشر شوال سنة ٧٢٥ ، وفى بعض كتب أخرى مسنداً عن جابر ان يهودياً سأل النبى الأمى صلى الله عليه وآله عن النجوم التى شاهدها يوسف عليه السلام فى المنام ؟ فقال صلى الله عليه وآله « جريان ، وطارق ، وذبال ، وقابس ، وعمودان ، وفليق ، ومصبح ، وضروح وفرع ، ووثاب ، وذو التكفين » فأسلم اليهودى .

وروى هذه الرواية الشيخ الصدوق ابن بابويه فى الخصال عن جابر

---

(١) يمكن أن يتم هذا التطبيق العلمى بتوجيه آخر منا بأن نقول : ان رؤيا الانبياء - وعلى الخصوص الرؤيا المنقولة فى كتاب مثل القرآن الكريم - لم تكن كرؤيا بقية الناس التى ليس لها إلا تعبير صورى ينطبق مع بعض الوقائع الصورية ، بل يجب أن يكون لها حقيقة مرئية فى المنام كما ان لها صورة تعبيرية فى اليقظة .

وفى مقامنا هذا نقول : ان الكواكب الأحد عشر التى رآها يوسف عليه السلام فى المنام كان تعبيرها باخوته الاحد عشر صحيحاً لأن يوسف أصبح أخيراً عزيز مصر وسجدله اخوته ، وتفسيرها بالسيارات الاحدى عشر أيضا صحيح لأن يوسف - اضافة على انه كان عزيزاً لمصر - كان نبياً من الانبياء ، حينذاك خضعت له سيارات نظام شمسنا لأنه كان قطب دائرة الامكان وواسطة فيض الواجب جل وعلا - (ف) .

بطريقين بينهما اختلاف يسير .

ورواها الحافظ القمى عن جابر فى تفسير قوله تعالى : ﴿ انى رأيت أحد عشر كوكباً ﴾ ثم سمى تلك النجوم بتغيير يسير ، ثم قال بعد ذلك : « وكل هذه النجوم محاطة بالسماء » وفى نسخ كثيرة « محيطة بالسماء » .

وظنى ان هذا الاشتباه نشأ من رسم الخط العثمانى القديم ، فكان يكتب عثمان عثمن ولقمان لقمن وسليمان سليمن وجاء هاجتها ومحاطة محيطة، فقرأ البعض محاطة على الأصل وقرأ آخر محيطة .

وخلاصة الكلام المنظور فى هذا المقام : ان اختصاص هـذه النجوم من بين نجوم السماء لابد وان يكون بصفة مختصة بهذا العدد اليسير لا اشتراك لسائر النجوم فيها ، ولا نرى صفة كهذه غير صفة السيارة حول الشمس - كما تقدم آنفاً .

ويؤيد ذلك قوله ﷺ : « وكل منها محاطة بالسماء » فان هذه الصفة أيضاً تختص بالسيارات على النظام الجديد وتحقيق الكرة البخارية - كما سبق فى المسألة السادسة وسنشرحه فى المسألة اللاحقة أيضا ونعد الكرات البخارية المحيطة بكل سيارة .

ويؤيده ذكر الشمس والقمر معهن لتكمل عدتهن وأنواعهن فى نظامنا الشمسى ، كما يؤيد ذلك أيضاً انطباق كل من هذه الأسامى على سيارات شمسنا فان هذه الاسامى منهم عليهم السلام سمات وأقوى الصفات لتلك المسميات ، وهاك الشرح :

١ - (جريان) لأرضنا ، وقد ورد اطلاق الجارية على أرضنا فى غير هذا الخبر - كما مر تفصيله فى المقالة الثالثة عشر من مسألة تعدد الأرضين .

وسميت أرضنا بالجريان لجريانها فى الفضاء ، وجريان حركات أخرى

عليها كما سبق فى بحث تحرك الارض . وقد لا توجد جملتهن فى سيارة أخرى غير الارض فاختصت بهذه السمة .

٢ - (الطارق) لزهرة ، فان الطارق كوكب الصبح على ما فى القاموس والعرف لا يقصدون من كوكب الصبح غير زهرة قديماً وحديثاً . وسميت نجمة الصباح كما انه قد تسمى بعطارد نادراً .

٣ - (الذبال) على وزن قطام ، يطلق فى اللغة على النحيف الفاقد للطراوة ، وعطارد أيضا كثير الجفاف فاقد الطراوة لشدة قربه من الشمس .

٤ - (القابس) ويطلق فى اللغة على ما يكتسب الحر الشديد من نار عظيمة ، ونجمة فلكان أيضاً تكتسب الحرارة الشديدة من نار لا نرى أعظم منها لهباً أعنى الشمس ، فان قربها المفرط من فلكان جعلها كجمرة النار ولذلك سميت فلكان بهذا الاسم ، فان فلكان كما مر اسم جبل يثير النار ، ومعربه بركان (١) .

٥ - (العمودان) يحتمل انطباقه على المريخ ، فانه لا ينفك عن قرين تقوم أشعتهما عليه كالعمودين والمخروط من الاشعة .

وفى بعض النسخ (عموران) بالراء بدل الدال ، فيكون اشارة الى عمرانها المشهور بين منجمى الاواخر .

٦ - (الفليق) بمعنى المنفلق ، ينطبق على السيارة العظيمة التى حسبوا كونها بعد المريخ وتفسخت الى قطع صغار دوارة ، وأعنى بها نجيمات المشترى .

---

(١) قال نور الله : فيه اشارة الى ان حرارة فلكان ليس من نفسه بل مأخوذ مكتسب من غيره ، لأن القبس نفس النار والجذوة كما قال تعالى : ﴿ لعلى آتيكم منها بقبس ﴾ والقابس آخذها .

ويؤخذ شرحها من غرة هذه المسألة (١) .

[فاذن هـذه النجيمات متولدة من تلك السيارة العظيمة ، ولا زالت الأطفال تنهج نهج السيارات الأم فى الدوران حول الشمس .

وفى بعض نسخ الحديث - كما فى تفسير القمى وغيره - جاء (الفيلق) بدلا عن الفليق ، ويطلق الفيلق لغة على قطعة من الجيش المنظم ، وهـذا المعنى فى النجيمات ظاهر ، لأنها تدور فى مدارها كالجيش المنظم .

٧ - (مصبح) اسم للمشترى ، وهو يطلق فى اللغة على الجمال وشعلة القنديل وضياء السراج والذى فيه حمرة ، وفى أساس البلاغة للزمخشرى : « المصبح ما لونه كلون الصبح » . كل هذه المعانى توافق نجمة المشترى لأنها أبرز النجوم فى الجمال والضوء وحمرة اللون ، ولون النهار فيها كلون الصبح فى أرضنا لأن نجمة المشترى بعيدة جداً من الشمس ولون الضياء فيها خافت .

٨ - (ذو التكفين) اسم لزحل ، والتكفين فى اللغة تغطيـة الشىء

---

(١) تنتهى التعليلات لأسامى سيارات النظام الشمسى فى النسخـة العربية المطبوعة سابقاً الى هنا ، وكان سماحة المؤلف قد ترك التعليل لتسمية باقى السيارات ولـكن المترجم الفارسى قد طلب - حين ترجمته للـكتاب - من سماحته ان يزوده بتعليل باقى الاسماء حتى يكون الموضوع تاماً كاملا ، فأرسل سماحته الى المترجم المحترم ماطلبه منه فأكمل المترجم الموضوع بترجمتـه ما أرسله اليه المؤلف ، ونحن نأسف جداً أن لا يساعدنا التوفيق للعثور على الأصل العربى فلجأنا الى ترجمة هذه القطعة القيمة ترجمة لا نعلم انها هل تفى بالمراد أم لا ؟ وعلى كل حال فهذا مجهودنا الضئيل نقدمه إلى العلمـاء الأعاظم راجين منهم أن يغضوا النظر عن الهفوات الواقعة فى الترجمة - (السيد احمد الحسينى) .

يقال: «كفن الجمر بالرماد» أى غطاه به ، وهذا المعنى يناسب كثيراً مع نجمة زحل لأن اكثر قطرها متوار فى الحلقات التى حولها - كما تراه فى (شكل ١٣) القسم الفوقانى.

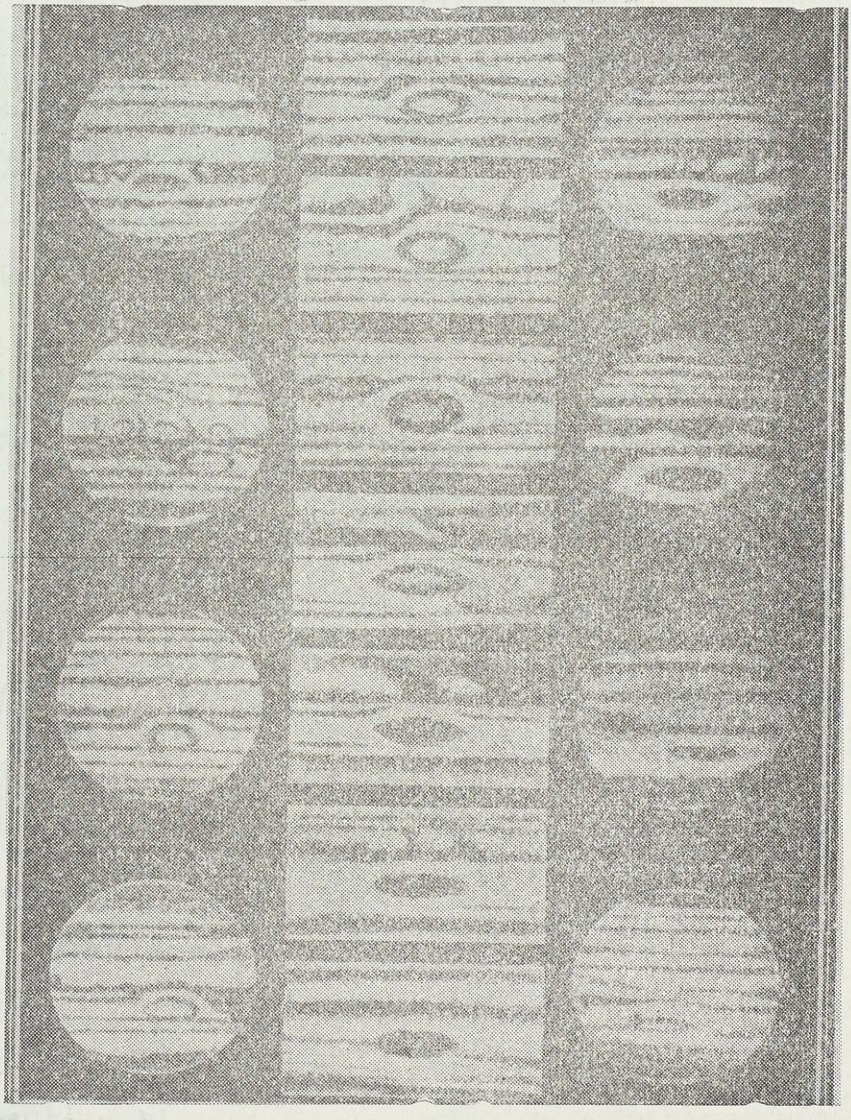

(ش ١٢) المشترى ومناطقه وبقعه

وفى بعض نسخ الحديث - كما فى تفسير القمى - جاء (الكتفين) بدل التكفين ، وهذا المعنى ايضا يناسب نجمة زحل لأن الحلقات تبدو حولها كالكتفين حول الرأس - كما ترى فى القسم الثانى من الشكل المذكور .

٩ - (ضروح) اسم لارانوس . وهو فى اللغة اسم للقصر العالى ، والمضرح : العلو ، وينطبق هذا المعنى على أرانوس تمام الانطباق ، خاصة وقد صرح الفيروز ابادى فى القاموس بأن الضراح اسم للسماء الرابعة ، وإذا عددنا السيارات التى فوقنا لكانت سيارة أرانوس هى الرابعة .

وفى بعض نسخ الحديث جاء (صروح) بالصاد المهملة ، ويقرب هذا أيضا مما ذكرنا سابقاً .

١٠ - (وثاب) اسم لنبتون ، والوثاب فى اللغة يطلق على الذى يقفز ويطفر فى المشى أو يمشى سريعاً ، وهذان المعنيان ظاهران فى سيارة نبتون

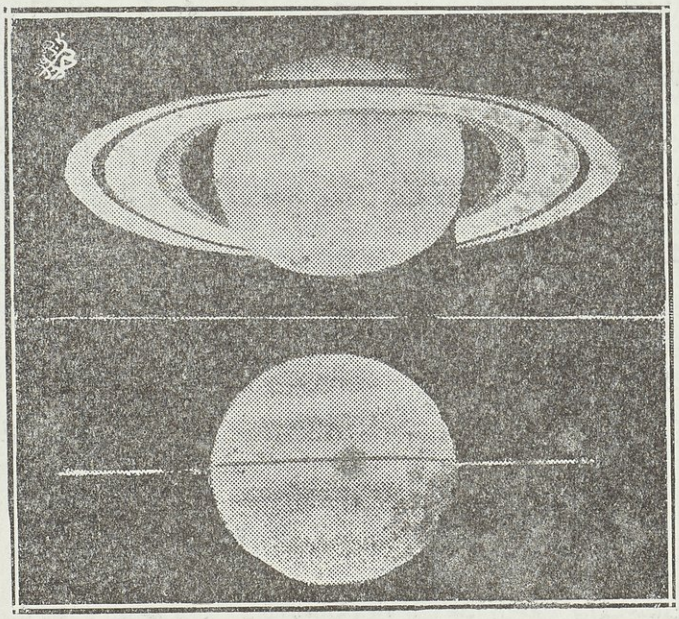

(ش ١٣) زحل وحلقاته

لأنها فى سيرها تسرع وتقفز لان الشمس والسيارات الجاذبة لها تقع على جانب واحد منها وليس على جانبها الآخر غير نجمة بيلاتو وهى بعيدة عنها وضعيفة الجذب لها ، فتسير غير معتدلة لقوة الجذب فى أحد جانبيها وضعفه فى الجانب الآخر . فعلى هذا تنجذب الى السيارات السفلى لقوة جذبها وعندما تبعد تكر راجعة الى الفوق بسرعة شديدة ، وهذا السير أشبه شىء بالقفز والطفرة أو المشى السريع ، ويناسب حينئذ أن يطلق اسم الـ (وثاب) على هذه السيارة .

١١ - (فرع) اسم لبيلاتو ، والفرع جزء من الاصل كالغصن من الشجرة ، وبيلاتو - على مايدعيه مكتشفه - أول قطعة انفصلت عن الشمس .

وأيضا العرب تسمى أول يوم من الجوزاء بالفرع ، وكذلك تسمى أعلا الجبل بالفرع ، وهذان المعنيان أيضا موجودان فى بيلاتو :

(أما الاول) فلأنه أول قطعة انفصلت عن الشمس - كما قلنا .

(وأما الثانى) فلأن مقام بيلاتو أرفع المقامات فى نظامنا الشمسى ، فاطلاق هذا الاسم على بيلاتو مناسب جداً من كل الجهات .

يقول المؤلف : ان هذا الخبر الشريف مشتمل على أسرار غامضة فى صفات السيارات وحقائقها التى لم تكن معروفة قبل هذا ، وقد كشف هذه الاسرار وهاتيك الرموز القرآن الكريم والنبى العظيم وأهل بيته الميامين - عليهم أفضل الصلاة والسلام - قبل ثلاثة عشر قرن ونصف ، وبينوا للعالم هذه المخبآت حتى تبقى آية ساطعة ومعجزة باهرة لهم .

(تنبيه)

ان هذه الوجوه التى ذكرناها فى تأويل هذا الخبر والمناسبات اللغوية

والفنية التى استشهدنا بها انما هى غاية ما ندركه نحن فى هذا اليوم ، وهـــذا التحقيق مبنى على أن يكون المذنب خارجاً عن عداد السيارات الاحدى عشر وفلكان داخلا فيها ، لاننا نحتمل وجود الكرة البخارية فى فلكان وعدم وجودها فى المذنب .

وأما إذا فرضنا عكس هذا - أى نعد المذنب داخلا فى عداد السيارات وفلكان خارجاً منها - فلابد وان يسمى المذنب طارق والزهرة ذبال وعطارد قابس ، وذلك لأن ذبال فى اللغة يطلق أيضاً على شعلة السراج وتشبه الزهرة شعلة السراج فى تلألؤها ، كما ان عطارد لشدة قرب فلكه من الشمس يكتسب من نورها وشعلتها - والله تعالى أعلم بأسرار الكائنات التى خلقها] .

والحاصل ان هذا الخبر القدسى قابل للانطباق على سيارات شمسنا على النظام السابق المبدو من أرضنا ثم الزهرة ، ثم عطارد ، ثم فلكان ، ثم المريخ ... وهكذا .

وانى احتمل توجيهاً آخر للخبر ، وهو : ان النجوم الأحد عشر هى سيارات نظام شمسنا لكن عشرة منها أسماء للاشخاص وواحد منها اسم نوع وهو الطارق اسم لنوع المذنب ، نظراً الى انه من سيارات عالم شمسنا ، كما احتمل أيضاً ان يكون (وثاب) اسماً نوعياً للشهاب الراجم ، فانه ايضا من توابع شمسنا .

* * *

فان قلت : ان سيارات شمسنا ليست اكثر من تسعة فلماذا تعـــد احدى عشر سيارة ؟

قلت : لسنا على يقين من هذا التطبيق ولكن التسعة بعد زيادة السيارة المنفلقة الى النجيمات تكون عشرة ، ولا يضرنا عدم اندراجها الآن فى عداد

السيارات لأنها كانت فى عدادها سابقاً ، وهو كاف فى المقام إذ نظر هـذه الظواهر الى ما كان لشمسنا من السيارات بقيت أو عدمت عرفت أو جهلت .

وأما الحادية عشر فقد جاء ذكرها وكشف الستر عنها فى الأخبار ، كما ذكرت ذلك فى تتمة المسألة الخامسة ، ولم تكشف النظارات وجه تلك السيارة الخفية حتى الآن ، ونحن فى أمل عظيم أن تنكشف لنا فى المستقبل عند بلوغ الأدوات كما لها .

وقد ذكرت مجلة الضياء المصرية للشيخ ابراهيم اليازجى مقالة تحت عنوان (السيار الجديد بين الارض والمريخ) ولفظها : « انه بعدما اكتشف هـذا السيار على احدى الصفائح التصوير الشمسى خطر لبعض علماء الهيئة ان يتفقد الصفائح التى أخذت فى السنين الماضية للمواضع التى يقدر انه كان فيها من السماء ، فوجد رسمه فى بعض الصفائح التى أخذت سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٦ فى اثنى عشر موقعاً ، فحسب بموجب هذه المواقع ان سنة هذا السيار تكون ٦٤٣ يوماً ، وهى أقصر من سنة المريخ ٤٤ يوماً ، ومباينة فلكه تبلغ ثلاثة أضعاف مباينة فلك المريخ . ولما كان (المسيو ويت) هو المكتشف لهذا السيار كان له الحق الاول أن يختار له أسما يميزه به ، وقد سماه (ايروس) وهو اسم آله الحب (١) » .

---

(١) وقريب من هذا خبر على عليه السلام للشامى فى أسماء السماوات وألوانها فانه قال : « واسم السماء السادسة عروس » . وإنما جعلها سادسة لانك ان حسبت نبتون أولا ونزلت كانت ايروس سادسة .

والعجيب الغريب ان علياً عليه السلام يخبر باسمه مع ان الذى سماه بعد ألف سنة حسب مشتهى نفسه ، وهذا والله علم الغيب الذى لم يوفق اليه إلا المقربون الى المبدأ الاعلى ، فكأن علياً عليه السلام لم يكن مالك عين ويت السبكترية وحدها ، بل كان مالك قلبه أيضا .

(ومنها) ما وجدته فى البحار للمجلسى (ره) والانوار النعمانية للجزائرى وكتاب النجوم للسيد ابن طاوس قال : روينا باسنادنا عن معاوية بن حكيم فى كتاب أصله عن أبى عبدالله (يعنى الوصى السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام) انه قال : « فى السماء أربعة نجوم ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب، وأهل بيت من الهند يعرفون منها نجما واحداً ، فبذلك قام حسابهم » .

والظاهر انه عليه السلام قصد من أهل بيت فى العرب أوصياء النبى الامى صلى الله عليه وآله وعترته الذين امتازوا بحفظ أسراره وحمل علومه .

ويؤيده مافى كتاب النجوم أيضا وكتاب دلائل الحميرى بأسانيد صحيحة عن الوصى السادس عليه السلام انه قال فى ضمن خبر له : « ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند » .

ومعلوم انه لم يكن فى قريش قديماً أهل بيت يحملون العلم والفلسفة غير أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله، فالامام عليه السلام حصر العلم بالنجوم الاربع فى آل محمد صلى الله عليه وآله وخص بعض الهنود بمعرفة واحدة من تلك الاربعة .

والسماء جهة العلو ، كما قال اللغويون : « كل ما علاك فهو سماؤك »، وقد مر ان السماء يطلق فى شرعنا بالاشتراك على ثلاثة : الكره البخارية ، والاجرام السامية ، وجهة العلو - فتدبر .

ثم الظاهر كون المقصود من هذه النجوم هى سيارات شمسنا دون الكواكب الثابتة لقرائن فى الكلام ، مثل تحديدها بالاربعة مع ان الكواكب الثابتة المجهولة فى تلك العصور كانت اكثر من المعلوم منها ، إذ القدماء لم يرصدوا من الثوابت غير الف ونيف وعشرين، ولقد بلغ المرصود من الكواكب الثابتة المبصرة فى عصورنا المتأخرة قريباً من ستة آلاف كوكب .

وأيضا تخصيص بعض الهنود بمعرفة الواحدة من الثوابت أمر فى غير

محله ، لان كثيراً من الثوابت كانت معروفة عند جمع ومجهولة عند آخرين ، إذ لم يكن بين الراصدين وسائط أو روابط ولا مراسلة أو مواصلة ، فلا يطلع أحد من حكماء الفرس أو اليونان أو الهند أو مصر أو غيرها على ما استخرجه الآخر إلا بعد قرون متطاولة .

وهذا بخلاف عصرنا الزاهر الذى تبلغ أخبار كل راصد الى البقية فى الساعة ، سواء كان فى أمريكا أو فى فينا أو فى الجرمان أو فى فرنسا أو فى بريطانيا أو فى اليابان أو غيرها .

وأيضا حكم الامام عليه السلام باستقامة حساب أولئك الهنود بسبب معرفة نجم واحد من تلك الاربعة يناسب كونها من السيارات لا من الثوابت ، إذ الشائع من المحاسبات إنما هو للسيارات أولا وارتباط حساب كل واحد منها بالاخرى ثانياً خصوصاً على النظام الجديد . فيختل حساب جملة لو جهل حساب البقية ويستقيم بمعرفتها - كما لا يخفى على الفلكى ، ودوران الاحكام النجومية على دوران السيارات ثالثاً ، فيحتاج حكم المنجم بشىء أن يعرف زمان دور السيارات ومكانها ومقابلاتها ومقارناتها والاجتماع والتربيع ، الى غير ذلك من الاطوار الحاصلة لها فى الادوار ، فتعين كون المقصود من هذه الانجم الاربعة سيارات شمسنا .

وأما تطبيق هذه النجوم الاربعة على سيارات شمسنا فواضح فى الجملة ، حيث ان الوصى عليه السلام يخبر عن نجوم سيارة فى عالمنا غير معلومة للناس ، والذى كان معلوماً لديهم من السيارات السماوية خمسة ، مع قطع النظر عن أرضنا التى كانوا على ظهرها ، وتلك الخمسة هى : الزهرة ، عطارد ، المريخ ، المشترى ، زحل ، والثلاثة التى اختص علمها بهم هى : فلكان ، نبتون ، السيارة الخفية التى لم تنكشف لنا حتى الآن وقد ذكرناها فى تتمة المسألة الرابعة .

وإنما اختص علمها بهم - عليهم السلام - إذ لم يتمكن من ادراكها بصر مجرد من الآلات ، وهى لم تكن فى عصرهم عليهم السلام قطعاً وإنما اخترعت فى حدود الالف الهجرى ، فالمجموع مع الاراضى تسعة .

وأما الواحدة التى عرفها بعض الهنود فهى (أرانوس) التى كانت ترى كنجم من القدر الخامس بين النجوم ، فيجوز أن يكون بعض حكماء الهند (وحدة أبصارهم معروفة) قد راقبها ورصدها حينما كان علم الفلك بين الهنود راقياً ذا أهمية ، فعرف كونها من السيارات وقوم حسابها .

وعدم شيوع تلك المحاسبات بين الناس قد يكون لانقراض ذلك البيت أو لعروض الحوادث التى تعرض على اكثر العائلات .

وبعض الاخبار - كما سيأتى فى صدر الخاتمة - يشعر بكون أرانوس مرصوداً عند بعض الحكماء من غير العرب ، حيث يستعظم الوصى عليه السلام انكار السائل لنجمة أرانوس ويقول: « أفأسقطتم نجما برأسه » ، فبضميمة أرانوس يكون المجموع عشرة ، وباضافة الفليق - أعنى السيارة المتفسخة بين المريخ والمشترى - يكون المجموع أحد عشر - كما أفادته الآية السابقة والخبر المتقدم .

وإنما لم يذكر الوصى عليه السلام نجمة الفليق فى هذا الخبر لانه لم يكن فى صدد بيان جميع سيارات شمسنا ما كان منها وما هو كائن ، بل كان عليه السلام فى صدد ذكر الموجود من السيارات الخفية والنجوم التى لا يعرفها أصحابه عليهم السلام ، وعندئذ لا يكون عليه أن يذكر الفليق لانه فى زمان نطق الوصى عليه السلام لم يكن نجما لشمسنا ، بل كان منحلا الى نجيمات ومتفسخاً قطعاً ، ولا عليه أن يذكر غير الانجم المعروفة .

«المسألة الثانية عشر»

(فى وجود جنس الحيوان فى السيارات)

نسمع بعض الحكماء المتأخرين يقصون علينا أعاجيب عن الكرات السماوية ، من قبيل ان كل واحدة منها كأرضنا هذه ذات جبال وبحار وهواء وبخار وليل ونهار ومخلوقات حية من جنس الحيوانات الارضية، فهل يوافقهم شرع الاسلام على هذه العقائد والمقالات أو يخالفهم كالمتقدمين أو هو ساكت عن مطلق النفى والاثبات لمصالح خفية كسكوت باقى الديانات ؟ .

(الجواب)

قد اعتقد السالفون من الفلاسفة وغيرهم انفراد جرم الارض - كما ذكرته مراراً - وان الطبائع المتفاعلة والعناصر المتقابلة مختص بعالم الارض، وهذا الاختصاص ينتج بتاً اختصاص وجود الحيوان الكائن الفاسد النامى المتحرك المغتذى بهذه الارض ، فان وجوده كبقائه مشروط بهذه الامور ولا توجد فى غير أرضنا ، فيختص وجود الحى المغتذى بها قطعاً .

وكذلك سائر العنصريات ولوازم المعيشة لا تكاد توجد فى غير أرضنا ضرورة انها مشروطة جميعاً بتفاعل العناصر الأربعة والكون والفساد .

فاذا اختصت الشروط بأرضنا يختص المشروط بها أيضا ، وتكون

النتيجة حينئذ ان لا يكون غير أرضنا أرض ولا غير ماهو حول أرضنا من الماء والهواء والبخار والبحار والحيوان والنبات شيء من أمثالها .

نعم ، كان المليون منهم يثبتون مخلوقات جوهرية كاملة كالملائكة من غير جنس الحيوان والبشر ، لاعتقادهم تجرد أولئك الجواهر من الطبائع والعناصر وعلى أى حال لم يذكر أحدهم هذا المعنى المذكور فى السؤال .

* * *

وأما حكماء الغرب فقد اتفقوا ظاهراً فى أن الكرات السيارة حول شمسنا أراض كأرضنا ذات رمال وجبال وهواء وبخار وليل ونهار وفصول وأقمار ، كما فصلته فى غرة المسألة الثالثة ، وذكرت المقالات الوافرة المتواترة عن نبي الاسلام وأوصيائه - عليهم السلام - المصرحة بهذا الرأى الجديد .

وذكرت هناك أيضاً ان وجود هذه الامور المسلمة لديهم لو صح فى السيارات لكان اطلاق اسم الأرض عليها صحيحاً بالحقيقة لا بالتجوز .

وأما وجود الحيوان والكائنات النامية المغتذية المدركة فلم يستند فيه أحد حتى الآن الى حسه المسلح بأكمل النظارات فضلا عن الحس المجرد .

نعم ، حكم الحدس من جماعة من الأواخر بوجود الكائنات الحية فى الأجرام السماوية ولم يحصل عليه الاتفاق ، بل لم يزل النزاع فيهم على ساق ، وانما حدست تلك الجماعة من وجهين وجيهين وأيدتهم بعد حدسهم شواهد قوية :

الوجه الأول

هو انا نقطع بوجود الجبال فى تلك الكرات ، فان الجبال وأشباهها تظهر فى النظارات ، ولا تتكون الجبال إلا من صخور ورمال - كما نطقت به مبانى علم الجيولوجيا - فيتعين كون أراضى السيارات مثل أرضنا ذات جبال

ورمال تصلح للغرس والزرع ونمو النبات .

وأيضاً نقطع بوجود الكرة البخارية لكل سيارة من البراهين والأدلة القوية ، كانكسار النور وشهود الشفق والظواهر الجوية وغيرها، وكيف تكون الكرة البخارية والظواهر الجوية والسحب والهواء واختلاف الفصول ونحوها من دون الأمطار والثلوج وهبوب الرياح ، فان نظام الكون لا يختل والطبيعة لا تخرق نواميسها ، والمعلول لا يتخلف عن علته، فلا محيص من هطلان الأمطار بتردد السحب حول البحار بهبوب الرياح بتغير الفصول، وحصول المد والجزر هنالك اكثر من أرضنا لكثرة الاقمار وسرعة دورانها وشدة اقترابها ،وهذه الامور بأسرها لا تنفك عن تكون النباتات المختلفة فى هاتيك البقاع القابلة للأسباب المذكورة .

ثم ان الشجر والخضر متفرقة أو مجتمعة فى الآجام والسواحل لا تنفك عن الحيوانات الخلقية التكوينية كالحشرات والهوام، وهى لا تنفك عن الحيوانات النسلية برية وبحرية ، لا سيما على مذهب النشؤ وارتقاء الانواع وانتخاب الطبيعة

الوجه الثانى

هو ما اعتمد عليه فى موافقة أصحاب هذا الحدس بعد اعتمادى على مقالات هداتى المعصومين - عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وذلك ان الامور الخمسة المسلمة عند الفلكيين المتأخرين إذا تمت وزال عن أفقها الريب فلا يبقى هنالك مانع حسب القوانين العلمية يمنع عن وجود المخلوقات الحيوية ،وتكون موادها وماهيتها فى تمام القابلية والصلاحية ،وعندئذ يستحيل قصور فيض الوجود عنها ، إذ المبدأ للوجودات عندنا فى غاية الجود والسخاء يفيض بالوجود على كل ماهية بلغت حد قبول الوجود ، فيوجد كل

شيء حسب قابليته ، ولا يبخل عن الفيض أبداً تعالى شأنه .

ومع ماقدمت كيف يجوز على المبدأ الفياض على الاطلاق أن يهيء في موطن كل المعدات وجميع لوازم العيش والحياة ثم لا يوجد من يستعملها وينتفع بها من الحيوان والنبات ، ولا يخلق ثمة من يعرفه ويعبده ويستكمل بفيوضاته ومواهبه مع قابليته للوجود وصلاحيته للخلق - جل شأن الحكيم عن ذلك .

أقوال الحكماء في مسكونية السيارات

والأحرى بمقامنا هذا أن نذكر آراء المتأخرين ومرئياتهم في السيارات ثم نفصل الآيات والروايات الموافقة لهم ، فنقول :

قال العلامة فانديك في اصول هيئته في الزهرة : ان من نقصان النور بالتدريج نحو الخط الفاصل وبعض الكلف ظهرت لها كرة هوائية وبخارية . وقد حسب علو بعض جبالها ٢٧ ميلا ، غير ان ذلك تحت الشك من صعوبة رصد هذا السيار لشدة لمعانه ...

وقال في المريخ : ان حول قطبيه مساحة بيضاء تزيد في الشتاء وتصغر في الصيف يزعم انه الثلوج القطبية ، والسبكترسكوب أيضا يدل على بخار ماء فيه ، والأقسام المصفرة اللون محسوبة براً والمخضرة بحراً ، والبر فيه اكثر من البحر عكس مافي الارض ، ولم يكشف عن تسطيح قطبي هذا السيار ، وليس لهذا السيار قمر معروف ، فلا نعرف مادته إلا تقريباً .

يقول المؤلف هبة الدين الحسيني : استكشف الاستاذ (اساف هال) قمرين للمريخ سنة ١٢٩٤هجـ بعد طبع أصول هيئة فانديك ، ولأجل ذلك ذكرهما فانديك فى سائر كتبه المتأخرة .

وقال فانديك فى المشترى : وبواسطة نظارة قوية يرى على وجهه مناطق توازى خطه الاستوائى مختلفة العرض ، والألوان غير ثابتة على هيئة واحدة وتارة تتغير تحت نظر الراصد ... الى ان قال : ذكر (صوت) بقعة طولها بالأقل ٢٢٠٠٠ ميل تلاشت فى نحو ثلاثين دقيقة ، وذلك دليل على حدوث ظواهر وتغيرات على سطحه من قبل مياه وغيوم وأمطار وأبخرة وهواء وما يشبه ذلك .

وقد زعم بعضهم ان هذه الظواهر ليست من فعل الشمس به بل من حرارته الذاتية والتغييرات الحادثة على سطحه فى أبخرته كثيرة جداً ، حتى انه شوهد قمر من أقماره يختفى وراؤه ثم يظهر عند المحل الذى اختفى فيه ، وذلك من قبل تمدد الكرة الهوائية أو البخارية المحيطة بالسيارة ثم تقلصه .

أما نواحى خطه الاستوائى فغالباً أنور من باقى سطحه وقد يرى على سطه حلقات غير ثابتة وحدود المناطق المشار اليها غير واضحة ، وهى مزرقة اللون تمتاز بسهولة عن لون جرم السيار ...

وقد قال فى زحل : وزعم هرشل وجود كرة هوائية فى زحل ، وان فصوله تشبه فصول المريخ ...

وقال أيضاً فى أبواب طيف السيارات : ومن رصود (سكى) و(جانس) ترجح وجود البخار المائى فى المشترى وزحل كليهما .

وقال فى النقش فى الحجر فى المريخ : وحول كل قطب من قطبيه قطعة بيضاء تضيق مساحتها فى صيفه وتتسع فى شتائه ، وإذا صغرت الواحدة تتسع

الأخرى ، مثل الثلوج حول قطبى الأرض .

وقال : المناطق والمعالم على سطح المشترى تدل على انه محاط بالسحب والمناطق اثلام فى سحبه يرى فيها جرم السيار نفسه ، وتلك المعالم غير ثابتة على حال بل سريعة التمدد والتجمع والتقلص والانفصال والاتصال ، وذلك برهان كونه سحباً عائمة فوقه .

وقال فى زحل : والظاهر من المناطق والمعالم على سطحه انه شبيه بالمشترى فى كونه محاطاً بالسحب والبخار .

وقال فى كتاب ارواء الظماء فى عطارد : وقد حكم بأن له كرة هوائية كثيفة تجعل الحد بين القسم المنور والقسم المظلم منه غير واضح ، وزعم بعضهم بوجود جبال فيه .

وقال فى المريخ : وقد صنع بعضهم خارطة سطح المريخ ، وعين لاقسام اليابسة والمياه أسماءً ، مثل قارة ميدلر وقارة سكى وجزيرة لوكير وبحر كنوبل وخليج برتن وبوغازداوس وبحيرة سكيا برلى وبوغاز اراكو وغيرها ... الى أن قال : وان وجود مياه وجليد فى المريخ يستلزم وجود كرة هوائية . ثم قال : وظهر بواسطة السبكترسكوب ان الكرة البخارية للمريخ شبيهة بما للأرض .

أقول : ان الذى صنع الخارطة الخيالية للمريخ هو الفلكى الشهير الاستاذ (لول) كما تراها فى شكل (١٤) .

وقال فى المشترى بعد ذكر ظواهره الجوية : وكل هذه المناظر دالة على كرة هوائية وبخارية ...

وقال فلامريون الفلكى الفرنسى الشهير فى كتابه ما معناه : ان جبال عطارد أعظم من جبال أرضنا وأرفع ، واكثر أحجارها معدنية ، وان كرة زهرة مثل الارض إلا انها أخف من الارض بقليل واكثر أحجارها معدنية

وان الغيم ينقص حر الشمس فى هواجر صيفنا ، وقد وجدنا الغيوم كثيرة التراكم فى هواء تمسفر عطارد دائماً، فيجوز ان يكون ذلك لاعتدال الحر فيه

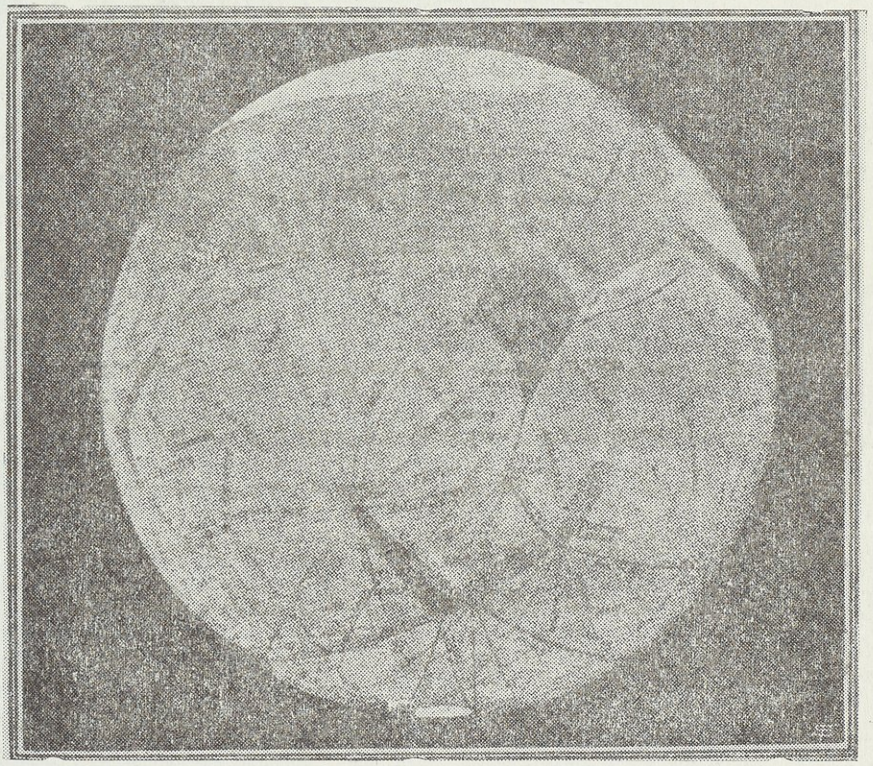

(ش - ١٤)

خارصة المريخ كما صورها الاستاذ لول وتظهر فيها ترعه المختلفة

وعليها سلاسل جبال ممتدة ومبسوطة ، والغيوم قد تتراكم فى هوائها الآتمسفر وهى من جميع الجهات صالحة للسكنى والحياة . واحتمل ان يكون سكانها أناساً متمدنين وفيهم فلكيون يرصدون أرضنا كما نرصد أرضهم أو تكون لهم أدوات اكمل من أدواتنا .

وقال فى المريخ : ان فيها أناساً متمدنين كاملين فى الصنائع عرف تمدنهم من استخراج ترع وكانالات عظيمة عرضها مائة الف متر وطولها خمسة ملايين أمتار فى مواضع مفيدة لدفع فساد مياه البحار عند المد .

وفى دائرة المعارف فى الزهرة : قد تحقق ان لها كرة هوائية محيطة بها ، كثافتها مثل كثافة الكرة الهوائية للأرض ، وبعضهم حكم بأن قوتها على تكسير النور أقل من تلك القوة لهواء الأرض ، وحكم بعضهم بأنه اكثر ، وزعم بعضهم بأنه رأى ثلجا على قطبى الزهرة كما يظهر فى المريخ .

وقال ميخائيل فى مشهد الكائنات فى المريخ : وفى جو هذا السيار غيوم وضباب من أبخرة ماء كما شوهد ذلك بالمنظر الطيفى ، ومن هذا استنتج الجوابه ان فى المريخ أنهراً تجرى فيها المياه المتساقطة من هذا البخار وأودية وجبالا ومجارى هوائية ، فيكون جوها كجونا مركباً من مواد واحدة ، وبره كبرنا آهلا بخلائق تتمشى على سنن خلائق أرضنا .

وقال فى هامشه : فاكتشفوا على كثير من بقاعـــه وخططوا قاراته ورسموا بحاره وبحيراته وسموها بأسماء خاصة ، أما لونه الأحمر فقد ذهب الأكثرون إلى انه خاص بتربته .

ثم قال فى المشترى : وفى المشترى حلقات موازية لخط استوائه ، منها نيرة ساطعة ومنها مظلمة كالحة سريعة التنقل ، لأن جو هذا السيار كثيف كثير الأنواء وكثافته تضارع كثافة الماء .

وفى حدائق النجوم قال فى عطارد : وأطول جباله أحد عشر ميلا بريطانياً ، وقد يعرض على وجه عطارد شبه الكلف والشامة من ظلال جباله وحدوث السحب فى جوه .

وقال : جزم هرشل والحكيم دن وغيرهما بوجود كرة بخارية لزهرة ارتفاعها خمسون ميلا جغرافياً ، والميل الجغرافى ٣٩٨٢ ذراع بريطانى .

ونقل عن كتاب ميكرين المؤلف سنة ١٧٩٢ م ان (شراطر) رصد بنظارة هرشل جبلا فى كرة زهرة علوه خمسة أميال ، وقد ثبت ان طول جبال زهرة ٢٢ ميلا بريطانياً .

وأما المشترى فعلى سطوحه الاستوائية كلف وشامات تتغير وتنعدم بأسرع من الشامات القريبة من نواحى قطبيها فهى سحبها والغيوم التى يغيرها افراط الحرارة فى الحدود الاستوائية من سرعة حركته الوضعية ، ودوام محاذات الشمس بسمت الرأس من تلك السحب .

وقال أيضا : وارتفاع الكرة البخارية فى زحل يقرب من الف ميل .

وفى مجلة الهلال المصرية المجلد الحادى عشر ص ٨٧ : ان الاستاذ (هوف) الأمريكى ألقى خطاباً من عهد قريب فى اعتقاده ان المريخ والزهرة وعطارد آهلة بالناس وسائر الأحياء ، وان سكانها أرقى من سكان الارض بدناً وعقلا .

قال : ولما كان المريخ اكبر سناً من الارض وقد جمد وبرد قبل الارض بأزمان فالانسان وجد فيه قبل وجوده فى الارض وارتقى اكثر من ارتقائه فيها .

وفى تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ هـ لمحرره الفاضل محمد مسعود افندى ماخلاصته : «ان الحكماء اختلفوا فى مسكونية الكواكب ، والمشهور عدمها

وذهب هرشل وأراغو من أكابرهم الى مسكونية الجميع حتى الشمس بذاتها ومرجع المشهور فى عدم المسكونية هو الرصد واستبعاد العقل ، اللهم اذا كان بعض شروط الحياة وافرة فى بعض النجوم فالأمر تحت الشك . والقمر خلو من الجو والماء وعناصر الحياة وشروط المعيشة ، ولكنهم يحتملون السكنى فى المريخ إذ الجو فيه منشبع ببخار الماء وسائر شروط الحياة كافية فيه ، ولو اختلف سكانها مع سكان الأرض فانما هو فى الشكل » .

« المقرر الآن ان زهرة وعطارد نظراً لحداثة عهد وجودهما بالنسبة الى أرضنا غير قابلتين للسكنى ، ولو وجد فيهما فهم كسكان الأرض قبل خلق الانسان » .

« أما المشترى فجوه مشحون بالسحب وأغلب سطحه سائل ، فلو كان مسكوناً فسكانه من الحيوانات البحرية » .

« وأما زحل وأرانوس ونبتون فلا يحكم عليها بشىء ، لبعدها المانع عن الرصد وضعف النور والحر فيها ، إذ هما فيه بجزء من ٩٠٠ جزء مما فى الارض وطول مدة الفصول . ورأى الحكماء فى المريخ خطوطاً فزعموا انها ترع وبحار وقالوا : ان الثقل فى المريخ ثلث ماعلى الأرض فيختص سكانها بالخفة والرشاقة » .

وقال الكاتب (برناردن دوسان بيتير) ان سكان الزهرة يشبهون سكان الأرض وبعض رعاة الأغنام والماشية على قمم الجبال والبعض الآخر يقيمون على ضفاف الأنهار ، إذ يقضون أوقاتهم فى الرقص ومد الموائد والتغنى والتسابق فى السباحة .

وقال فونتنل عن سكان عطارد : انهم يسكنون أصغر المنازل لصغر أجسامهم ، وانهم لشدة حر الشمس مصابون بالجنون .

وقال آخر فى كتابه المطبوع سنة ١٧٥٠ بعنوان (سياحة عطارد) ان العطارد بين كالملائكة لهم أجنحة يطيرون بها فى الجو وان جسومهم أصغر من جسومنا .

وقال السير همفرى دلنى : ان سكان زحل يتنقلون فى الفضاء بواسطة ستة أغشية رقيقة ، وان ألوان جلودهم اما سنجابية واما وردية ، وان غذاءهم العناصر الغازية ، وهم كبار الجسم يتوغلون فى الفضاء ويجولون حول السحب كالمناطيد الجوية إذا حلقت فى السماء .

وقال الفلكى الألمانى (وولف) ان المشترى أو ما بعده لا يصلها من نور الشمس كثير ، فلابد ان تكون أعين سكانها كبيرة لاستيفاء حاجتهم من النظر .

وقال : ان سكان المشترى يبلغ ارتفاع الواحد منهم خمسة أمتار ، وسكان نبتون سبعة عشر متراً .

وذكر الكاتب (نيقولا كليميوس) عجائب فى هذا الباب فى رواياته عن الانسان النباتى ..

أقول : وبعض هذه المنقولات مناسب لما ورد فى أخبارنا الشارحة لأحوال الملائكة وسكان السماوات (١) .

وقال المحرر المذكور أيضا فى عطارد: ان جباله مرتفعة وجوه سحابى وقال فى الزهرة بمشاهدة أراض وبحار على سطحها وجو كثيف وجبال شاهقة والانتقال بها من فصل الى فصل دفعى لا تدريجى ، وفى المريخ ان به بحار وأنهار وجزر وثلوج وجو كجو الأرض ، وفى نبتون ان جوه غازى يختلف عن جو الأرض ...

(١) لا يظنن أحد مما جاء فى هذه المسألة وسائر مسائل هذا الكتاب -

وفي المقتطف صفحة ٨٣ من المجلد الثاني بعد شرح المشترى قال : فقد

ـ اننا لا نريد تصحيح الآثار الاسلامية المقدسة بعرضها على آثار الفلاسفة العصريين وعلماء العصر الحاضر ، وبالنتيجة نثبت حقانية الشريعة الاسلامية الغراء بواسطة الاستمداد من عقائد هؤلاء ومكتشفاتهم الحديثة ، لأننا إذا صنعنا هذا نكون كمن يريد اثبات وجود الشمس المضيئة المتلألئة في كبد السماء بوجود نجمة خافية لم ترها العين بل لم يثبت وجودها خارجا بعد .

نحن نؤمن ايماناً قوياً لا يشوبه شك ولا ريب بديننا القويم ، ونقطع بأن الأخبار والآثار الصادرة حقاً عن النبي والأئمة عليهم السلام كلها مطابقة للواقع ومبينة للحقيقة .

وعلى هذا ليس لنا أن نزيل يقيننا بما يقوله فيلسوف لا نعرف شخصيته ولا حقيقته ، بل ولم نتثبت وجوده الخارجي ، ولم نعلم ـ على فرض وجوده ـ مبلغ حظه من العلم ومقدار تنزهه عن الكذب والافتراء وتشويه الحقائق .

ان أبعد غرضنا من نشر هذه المعلومات انما هو تحرير أفكار أولئك السذج الذين يتبعون آثار القدماء خطوة خطوة ويقلدون الفلاسفة المتقدمين تقليداً أعمى .

اننا نريد أن تتحرر أفكار هؤلاء فيتعمقوا أكثر من ذي قبل في الأخبار والآثار الاسلامية وينظروا اليها بنظر استقلالي لا اتكالي حتى يستفيدوا منها الحقائق الحقة بلا تشويه أو تبديل .

نريد أن لا يكون هؤلاء كالمتقدمين مقيدين محدودين ، والذين حاولوا بما أوتوا من حول وقوة أن يوفقوا بين ما أتى به الشرع الاسلامي الحنيف ومعتقدات الفلاسفة الأقدمين ، فكأنما الشارع الاسلامي المقدس كان مبعوثاً من جانب بطليموس وأصحابه الآخرين .

ـ

ظهر مما ذكر ان هذا النجم الذى تراه العين صغيراً هو عالم كبير فيه هواء وماء

- وبعكس هؤلاء جماعة من المتحمسين للفلسفة الغربية المعاصرة ، حيث انهم اتبعوا آثار الغربيين أشد اتباع وتركوا كل ما هنالك من التراث القديم واستسلموا للفلسفة الجديدة استسلام العبيد للسادة ، فطفقوا يخطون خطاهم طابق النعل بالنعل ، انهم يجدون ويجتهدون بكل امكانياتهم أن يوفقوا بين الآثار الاسلامية وآراء الغربيين ، ويجعلوا الشارع الاسلامى المقدس رهيناً لما يتفوه به هرشل وكبلر وغاليله وغيرهم .

وعلى ماذهب اليه اتباع الفلسفة القديمه ومايرتئيه أصحاب الفلسفة الجديدة فليس للاسلام فلسفة ومبدأ يخصه ، بل انه يتبع الآراء ويميل مع الأهواء ويوافق الفرضيات الخيالية بأى شكل يفرضه الناس .

حاشا وكلا : إن هذا أخذ جانب الافراط وذاك اتبع جانب التفريط ، وكلاهما مال عن طريق الهداية وسبيل الحق والحقيقة وانحرف عن الصراط المستقيم ، وليس هذا إلا من نتائج عدم الاستقلال فى النظر وسلب حرية الفكر وإلا فليس للشارع الاسلامى وآرائه اتكال على مايقوله بطليموس أوكوبرنيك أو غيرهما .

يجب على الرجل الذى له الاستقامة فى عقله والحرية فى فكره ان يتدبر فى كل كلام يرد عليه غاية التدبر بلا اتكاء ولا اتكال على كلام غيره حتى يظفر على حقيقة الموضوع وواقعه ويجد ضالته المنشودة .

وغرضنا من هذه التعليقة الطويلة أن نقول للقارىء الكريم : ان المقصود من نشر هذه المعلومات ليس إلا تقوية النظر الاستقلالى فى محبى العلم والحقيقة ، واخراج الآثار والأخبار الاسلامية من تحت ضغط النظريات الاتكالية التى سبقت وان وقعت تحت ضغطها .

وغيوم وأمطار ... الى أن قال : من يفكر فى كبر المشترى وفى خلق أربعة أقمار له (١) ويتدبر حكمة خالقه الظاهرة فى كثير من تفاصيله قلما يشك فى كونه مسكوناً بخلائق حية كأرضنا هذه الصغيرة بالنظر اليه ، بل لو حاول غيره ان يبرهن له خلوه من المخلوقات لضحك منه ، إذ المرء يستغرب أن يرى فى الكون عالماً كبيراً كالمشترى مخلوقا عبثا ، وهو يعلم ان البارى سبحانه لم يخلق شيئاً فى هذه الأرض إلا لقصد ومنفعة .

وفى المقتطف أيضا صفحة ٥١٥ من المجلد الرابع والثلاثين وضع الأستاذ (لول) الأمريكى كتاباً عن المريخ وترعه سنة ١٩٠٦ م بعد ان بحث فيه بحثاً علمياً دقيقاً واستنتج انه مسكون بمخلوقات عاقلة ، فخالف بذلك الدكتور ولس الذى كتب سنة ١٩٠٣ مرجحا ان الأرض هى الجرم الوحيد المؤهل لسكنى الانسان ثم كتب ولس مبينا ان المريخ لا يصلح للسكنى لأنه خال من الماء ، لكن المستر سليفر أثبت بالبحث السبكترسكوبى وجود بخار الماء فى المريخ ، فاذا كان فيه ماء فليس ما يمنع وجود الحياة فيه . وقد وضع الاستاذ لول كتابا آخر الآن عن المريخ كمقر للحياة أقام فيه الأدلة على انه مسكون بمخلوقات بالغة درجة

- ان هذه التطبيقات غير جائزة إلا فى حقيقة ظهرت كالشمس فى رائعة النهار وجاء حديث اسلامى مطابق لتلك الحقيقة ، فهنالك تظهر المعجزة النبوية وتزيد فى نشاط المسلمين واطمئنانهم وتنبه المخالفين وترشدهم الى الصراط المستقيم - (ف) .

(١) ذكر ذلك قبل اكتشاف بقية أقماره ، فكيف به لو كان يعلم بأن حول المشترى تسعة أقمار أو اكثر .

عالية جداً من الارتقاء العقلى والصناعى (١).

أقول : وعمدة استبعاد الحكماء وجود الحيوان فى الكرات القريبة من الشمس كعطارد وفلكان وبعيدة عنها كزحل وأرانوس ونبتون إنما هو من جهة افراط الحر فى الأولى من كثرة الاقتراب من الشمس وافراط البرد فى الثانية من كثرة البعد عنها . وترى نسبة قرب السيارات وبعدها عن الشمس فى شكل (١٤).

ولرفع هذا الاستبعاد عندى وجوه من القول :

(الوجه الأول) ان ذلك ينافى حياة حيوان فيها يماثلنا فى الطبع والمزاج ولا ينافى وجود حيوانات فيها توافقنا فى الحقيقة والحياة وتخالفنا فى الطبع والمزاج وبعض الشكل ، كما ان الله تعالى خلق فى أرضنا بشراً فى نواحى الخط الاستوائى قوى الجسم غليظ الجلد يتحمل من الحر مالا نتحمله ، وخلق فى أرضنا بشراً فى حدود القطبين على خلاف الخلق الأول ويتحملون من البرد مالا نتحمله، ولو

---

(١) نشر كتاب الاستاذ لول المذكور هنا فى المقتطف يناير سنة ١٩٠٨ ص ١٢ وقد جاء فيه بتسع وثلاثين شاهد على وجود الحياة فى المريخ ، وهاك أصنافها :

(منها) تشابهه مع أرضنا فى اليوم وميل محوره .

(ومنها) ثلوج قطبيه التى تتغير حسب فصوله ومداره قلة وكثرة .

(ومنها) كرته البخارية المحيطة بجوه وتغيراتها حسب فصوله وأحواله.

(ومنها) وجود الشفق والنور والعناصر فى جوه .

(ومنها) التغيرات الشبيهة بالغيوم والكلف والغبار فى جوه .

(ومنها) شواهد النبات والبحار والجبال فيه .

ولو استشهد بالأقمار أيضا لكمل أربعون شاهداً .

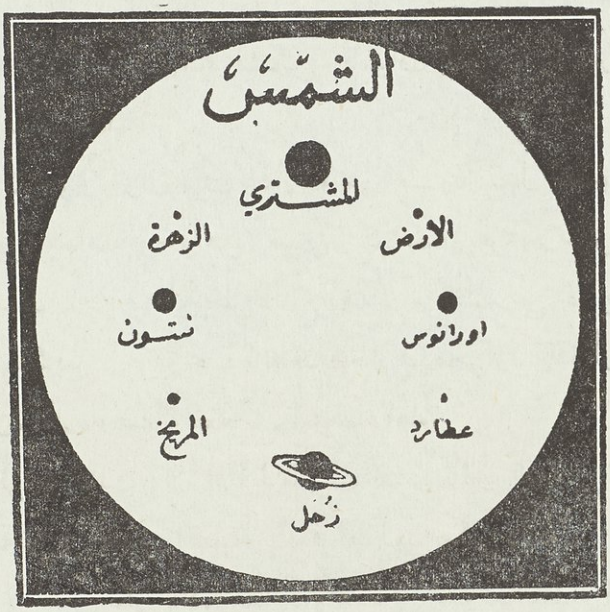

(ش - ١٥) نسبة بعد السيارات عن الشمس

بقى الخلق الأول فى مكان الخلق الثانى يوما لهلك من شدة البرد ، كما ان الخلق الثانى لو بقى فى مكان الخلق الأول يوما لهلك من شدة الحر ، وهذا التفاوت العظيم نجده فى باقى الحيوانات الموجودة فى أرضنا أيضا .

وحسبك المنقول عن السمندل وتعيشه فى النار من دون أن يحترق ، وكذا بعض الدود الذى يتولد فى الثلوج العتيقة ويموت بأدنى حرارة يمسه .

(الوجه الثانى) ان مجرد القرب والبعد عن الشمس لا يكون دليلا قاطعاً على شدة الحر أو البرد ، إذ قد يقترن القرب المفرط من الشمس بأمور تستوجب البرد ، وكذلك البعد المفرط عنها قد يقترن بما يستوجب الحر من لطافة الهواء أو كثافتها ، كما نرى فى أرضنا ان جبال هملايا مع ارتفاعها المفرط وكونها فى أواسط المنطقة الحارة لا تنفك رؤوسها أبداً عن الثلوج المتراكمة فيها ، ولا يطاق البرد هنالك ، مع كونها أقرب مناطق الأرض الى الشمس .

وأما أوهاد تلك الجبال وسواحل البحار وحصباء العرب وقفار الهند فلا يطاق حرها مع كثرة بعدها عن الشمس ، فأسباب الحر والبرد غير محصورة فى مجرد القرب أو البعد عنها .

فلم لا يجوز اقتران قرب عطارد ونحوه بسرعة تبدل الفصول وبمياه جارية وأهوية مساعدة وخواص أخرى ، كما سمعت عن فلامريون الفرنسى آنفا ، فيضعف الحر فيه أو خلق طبائع أهله وأمزجتهم على نحو يتحمل ذلك وكذلك بعد زحل ونحوه فانه قد ينجبر بشدة حرارة مادة أرضه وكثافة جوه وكثرة أقماره وصقالة بطحائه واستعداد أهله .

(الوجه الثالث) ان افراط القرب يقوى تأثير الحر فى الحـــدود الاستوائية لا فى الحدود القطبية ، وافراط البعد بعكس ذلك .

فلم لا يجوز سكنى سكنة عطارد ونحوه فى حدوده القطبية الضعيفة فيها حر الشمس وسكنى سكنة زحل ونحوه فى حدوده الاستوائية المجتمع فيها الحرارات .

(الوجه الرابع) ان الاغذية المفرطة فى البرودة وكذلك الأغذية المفرطة فى الحرارة قد يجبران الحر والبرد الشديدين ، فيجوز على سكنة عطارد ونحوه المعالجة بواقيات الحر مأكلا وملبسا ومسكنا ، وكذلك على سكنة زحل ونحوه أن يعالجوا البرد بالدوافع وما يقى عنه فى الأكل والملبس والمسكن - فتفطن ولنطوى اكناف المقال إذ قرب الخروج من وضع الكتاب ، ولقد ذكرنا لك خلاصة مذهب القدماء وآراء المتأخرين وأقوالهم المستغربة ، ورفعنا استبعادها بوجوه صحيحة ، فالواجب علينا الآن نقل الظواهر الشرعية التى نحسبها موافقة لآراء المتأخرين ، فنقول :

أما الظواهر الشرعية الاسلامية فى هذه المسألة فكثيرة جداً ، ذكرنا

جملة منها فى مسألة تعدد الأرضين كالمقالة الرابعة والعاشرة والحادية عشر والرابعة عشر والخامسة عشر والسادسة عشر - فراجعها وخذ البقية ههنا :

١ - قال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والارض وما بث فيهما من دابة ﴾ (١) وهذه الآية ظاهرة فى وجود الخلق والدواب فى السماوات مثل ما فى الأرض ، لأنه لم يفرق بين الأرض والسماوات ، إذ قال تعالى: ﴿ بث فيهما من دابة ﴾ .

والدابة ظاهرة عرفا ولغة فيما يدب على وجه الارض ويمشى عليها حتى الانسان ، كما قال تعالى فى آية أخرى : ﴿ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (٢) والمراد بـ﴿ الذين لا يعقلون ﴾ هم المشركون ، ويؤيده الموصول المخصوص لذوى العقول ، واتفق المفسرون أيضا - كاللغويين - على ان الدابة كل ما يدب ويمشى على وجه الأرض من انسان وحيوان غير الطيور ، كما قال سبحانه : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ (٣) .

وقد ذكرنا فيما سبق أيضا أن السماء اسم لكل جوهر علوى ، وان كل ماعلاك فهو سماؤك ، حسبما اتفق عليه اللغويون .

ومن الآيات المؤيدة لفحوى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة ﴾ (٤) وعطف الملائكة يدل على ان تلك الدواب هى غير الملائكة ، ويحتمل أن يكون الكلام قد جرى

(١) سورة الشورى آية ٢٩ .
(٢) سورة الأنفال آية ٢٢ .
(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .
(٤) سورة النحل آية ٤٩ .

على ترتيب اللف والنشر المشوش ، بأن تكون الملائكة هى ما فى السماوات والدابة هى ما فى الأرض .

فاذا ورد فى الشرع كلمتا الأرض والسماء معاً مفردين كان الظاهر من الأرض أرضنا ومن السماء مطلق ماعلاها من الاجرام والهواء والفضاء ، وإذا ورد لفظ الأرض مفرداً مع لفظ السماوات بجموعة كان الظاهر من الارض أرضنا ومن السماوات الاجرام العالية والكرات السامية كما فى هذه الآية ، وإذا ورد لفظ الارضين مع لفظ السماوات بجموعتين كان الظاهر من الارضين الاراضى السبع السيارة الشاملة لارضنا والسماوات كراتها البخارية المحيط كل منها بكل من تلك الأرضين وهذه القاعدة قليلة التخلف فى ظواهر شرعنا الأقدس ، وعليك بالاستقراء

وبناءاً عليها يكون المقصود من السماوات فى هذه الآية الكرات السامية والدواب فيها أشارة الى مايدعيه المتأخرون من وجود الكائنات الحية فيها . وقد ورد هذا المعنى فى اكثر الاخبار صريحاً كما ستتلى عليك .

والمفسرون إذ لم يتعقلوا وجود الدواب فيما عدا الارض تأولوا فى الآية بما وسعه علمهم وصرفوا ألفاظ الآية عما كانت ظاهرة فيه ، ولكنهم مع ذلك اعترفوا بظهور الآية فى وجود الحيوان فى الكرات السامية ، ونفى الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما استبعادان يخلق فى السماوات حيوانات يمشون فيها مشى الاناس على الارض ، وقالوا : سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم من من أصناف الخلق - انتهى .

فلو صحت الآراء الأخيرة أخذنا بظاهر الآية وفاقاً للمتأخرين ، ولو ظهر بطلانها واستحالتها وافقنا القدماء فى تأويل هذه الظواهر وصرف وجوهها إلى معان مناسبة .

٢ ـ قوله سبحانه : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً ﴾ (١) فان جمعاً من المفسرين أخذوا البروج فى هذه الآية بمعناه اللغوى ـ أعنى القصر والبناء الرفيع ـ لا بمعناه الاصطلاحى الحادث بعد النبى (ص) ، أعنى به منزل الشمس من فضاء النجوم المعدودة اثنى عشر . وقال الرازى : « البروج هى القصور العالية » .

فعلى هذا يجوز أن يكون إشارة الى الاراء الحديثة من وجود الاهالى والأبنية والقصور والمدن فى الكرات السامية .

وتنكير البروج فى الآية مؤيد لعدم كونها إشارة الى منازل الشمس المعروفة الاثنى عشر ، إذ لو كان لفظ البروج إشارة اليها لكان الأنسب تعريفها حسب كونها معهودة بين الناس .

٣ ـ فى البحار والكافى للكلينى والوافى للعلامة محمد محسن الفيض وبصائر الدرجات والانوار النعمانية وغيرها بالأسانيد إلى عجلان بن أبى صالح قال : دخل رجل على أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال له جعلت فداك هذه قبة آدم عليه السلام ؟ قال : « نعم ، ولله قباب كثيرة ، ان خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً ، أرضاً بيضاء مملوة خلقاً يستضيؤن بنوره (هاخ ل) لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ، مايدرون خلق آدم عليه السلام أم لم يخلق » .

أقول : كأن هذا السائل كان مسبوقاً بخبر القباب الذى شاع عن محمد الباقر عليه السلام والد جعفر الصادق عليه السلام فقصد سماعه من الصادق أيضاً ، وسنروى خبر القباب فى باب تعدد العوالم وانه عليه السلام نظر الى السماء وقال : هذه قبة أبينا آدم عليه السلام ولله سواها كذا وكذا قبة .

وقوله عليه السلام : « أرضاً بيضاء » ظاهر فى كونه بياناً للمغرب ، فيكون

---

(١) سورة الفرقان آية ٦١ .

الغرض - والعلم عند الله - بيان كثرة الاراضى فى الفضاء وامتلاء الكل خلقا كما يراه جملة من المتأخرين . والضمير فى بنوره راجـــع الى الله ، ونور الشمس أيضا نور الله تعالى وفيضه المقدس الاشراقى .

والسر فى تنزيه أولئك المخلوقين عن المعصية نذكره فى أجوبتنا عن المسائل المتفرقة .

وفى كتاب (فلك السعادة) للفاضل اعتضاد السلطنة ابن الخاقان فتح على شاه القاجار قال ما معناه : انى عرضت هذا الخبر على بعض حكماء اروبا فقال - بعد استغرابه - : لو كنت على يقين من صدور هذا الكلام من وصى نبيكم لامنت به وأسلمت .

أقول : وانما عجز الفاضل المذكور من توضيح صحة اسناد هـذا الخبر لأجل انه لم يكن ذا حيطة بأسانيد الاخبار ، ولا كان كثير الاطلاع على الكتب . وحسبك ان هذا الخبر المستفيض نقل فى كتب الحفاظ - كما ذكرنا بعضا منها - ولم ينقله هذا الفاضل إلا من كتاب غير معروف ، إذ صرح فى فلك السعادة بأنى وجدت هذا الخبر فى كتاب نظام الدين احمد الكيلانى تلميذ سيد الحكماء محمد باقر الداماد .

فلو اطلع على وجود هذا الخبر فى الكافى فقط لكفاه فى اتمام الحجة على من أراد ، لتواتر كتاب الكافى بين المسلمين ووفور نسخه العتيقة جداً .

وأما نحن فبفضل من الله تعالى ورحمته ننقل اكثر هذه الاخبار من الكتب الشهيرة والنسخ المتقدم تأريخها على الاعصار الاخيرة ، ومن شاء الثقة وتكميل الحجة فليراجعنا وله الفضل .

٤ - فى ينابيع المودة ص ١٦ من طبع بمبىء عن احمد بن حنبل وعن ابنـــه وعن الحموينى فى فرائد السمطين وعن الحاكم وعن الصواعق وعن

نوادر الأصول ، وهؤلاء الستة بأسانيدهم عن على عليه السلام وعن ابن عباس وعن أنس وعن جابر وعن أبى سعيد الخدرى وعن سلمة بن الأكوع وعن أبى موسى الأشعرى ، وهؤلاء السبعة عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : « النجوم أمان لأهل السماء ، فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء ، وأهل بيتى أمان لأهل الأرض ، فاذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض » .

وهذا الخبر دليل على وجود الأحياء العاقلة بل على البشر فى الكرات السامية ، بقرينة وحدة السياق فى أهل السماء وفى أهل بيته صلى الله عليه وآله ، وبقرينة ان المراد من أهل السماء لو كانوا هم الملائك الذين سموهم الفلاسفة أرواحا مجردة لزم الكذب ، لأن النجوم ليست أماناً للملائكة بل الملائك هم أمان للنجوم .

وفى هذا الخبر المستفيض بل المتواتر اشعار بالجاذبية العمومية أيضا بين أجرام السماء كما لا يخفى على من تدبر .

٥ - فى البحار للمجلسى والأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائرى وكتاب الفتوحات المكية لشيخ العرفاء محيى الدين المتوفى سنة ٦٣٨ فى الباب الثامن عن عبدالله بن عباس صاحب النبى صلى الله عليه وآله وابن عمه فى حديث الكعبة « انها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً وان فى كل من الارضين السبع خلقاً مثلنا ، حتى ان فيهم ابن عباس مثلى » .

وهذا الخبر صريح فى وجود البشر فى الكرات السامية ، وان لله تعالى أمثال هذه الكعبة المشرفة غيرها ، قد جعلها مطافا لعباده فى سائر الاراضى السيارة ، وليس هذا بمستبعد وليس على الله تعالى بعزيز .

٦ - روى الشيخ رجب البرسى فى مناقبه المؤلف سنة ٨٠٠ والشيخ ابراهيم الكفعمى من علمائنا فى القرن العاشر والعلامة المجلسى فى البحار

بالاسانيد عن الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ان جبرئيل قال للنبي (ص) والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله تعالى يعبدونه ولا يعصونه، قد تمزقت لحومهم ووجوههم من البكاء. قال أمير المؤمنين على عليه السلام: قلت يارسول الله ليس هنالك ابليس أو أحد من بنى آدم؟ فقال صلى الله عليه وآله: «والذى بعثنى بالحق نبياً ما يعلمون ان الله خلق آدم ولا ابليس، ولا يحصى عددهم إلا الله تعالى».

أقول: وهذا الخبر الشريف يدل أيضا على وجود الكائن الحى فى غير أرضنا من نوع البشر لاختصاص البكاء بالانسان واللحم بالحيوان والعبادة ونفى العصيان وعدم العلم بشىء خاص بأسرها متفرعة على العقل والقدرة.

وقد ذكرنا مراراً أن أخبار الامامية ومختار جملة من علمائنا المتقدمين يقتضى عدم انحصار مبدأ البشر بآدم عليه السلام بل هو أبونا فقط، وستأتى الاخبار المصرحة بتعدد أمثال آدم فى كل عهد وعالم.

٧ - روى الشيخ محمد الحر العاملى فى الصحيفة الثانية السجادية عن الامام السجاد على بن الحسين السبط عليه السلام فى صلاته على آدم انه قال: «فصل عليه أنت وملائكتك وسكان سماواتك وأرضك».

فان عطف سكان السماوات على الملائكة ظاهر فى مغايرتهما على ما هو مقتضى العطف، وإذ لا يوجد حى بعد الملائكة غير أمثال الكائنات الارضية الحية أفاد المطلوب، وهو وجود الحيوان فى الكرات السامية.

٨ - فى بحار الانوار للمجلسى والدر المنثور للسيوطى عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الارض مثلهن﴾ قال: «سبع أرضين فى كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسى».

وبهذا وأشباهه ندفع كثيراً من الشبهات الدينية المستحدثة، ولما كان

الالتفات اليها خارجا عن نظام هذا الكتاب ذكرناها فى غيره من أجوبتنا للأسئلة التى ترد علينا ورسائلنا الخصوصية .

٩ - فى معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ مسنداً الى عطاء ابن يسار وفى دائرة المعارف أيضا ناقلا عن الشيخ سراج الدين فى عجائب المخلوقات (١) أيضا عن عطاء وهو من تبعة أصحاب النبى (ص) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ قال : « وفى كل أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم » .

١٠ - فى تفسير سورة الصافات من تفسير القمى وفى المجلد الرابع عشر من البحار بسند صحيح إلى على أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : « هذه النجوم التى فى السماء مدائن مثل المدائن التى فى الارض ، مربوطة كل مدينة بعمود من نور ، طول ذلك العمود فى السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة » .

وروى هذا الخبر بعينه الشيخ فخر الدين الطريحى المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ فى مجمع البحرين فى لغة (كوكب) مرسلا عن على عليه السلام ، إلا انه روى فى آخر الخبر قوله عليه السلام : « ان كل مدينة منها مربوطة بعمودين من نور » .

وعلى أى تقدير فظاهر الخبر يرشدنا إلى وجود مدن وعمران فى الكرات السامية ، وهو مستلزم لوجود الاهالى والسكان المتمدنين - كما ظهر ذلك للمتأخرين فى نجمة مريخ ، فتذكر ما قدمناه .

وقوله عليه السلام : « مربوطة بعمود من نور » قد يكون اشارة إلى تأثير جاذبية الشمس فى حفظ نظام السيارات ، واتصال حامل الجاذبية بالنجوم على نحو الخط العمودى - كما اتفق عليه الحكماء المتأخرون أجمع .

وقوله عليه السلام فى الرواية الاخرى : « بعمودين من نور » يمكن أن يكون

---

(١) الظاهر انها خريدة العجائب كما سيأتى دون عجائب المخلوقات .

اشارة الى ما تقرر أخيراً ان نظام السيارات تحفظه قوتان من الشمس : أحدهما قوة جذب الشمس لها ، والثانية قوة اندفاعها عن الشمس بسبب التحرك الدورى. فلو انفردت الاولى فى التأثير ولم تكافئها الثانية لهوت جملة السيارات فى كورة الشمس ، ولو انفردت الثانية ولم تكافئها الاولى لرميت النجوم الى خارج نظام الشمس من الفضاء الوسيع .

وانما استقرت السيارات فى أفلاكها المعينة وانضبط نظامها بواسطة ارتباطها مع الشمس بعمودين وانقيادها بين جاذب ودافع والعلم عند الله تعالى وأوليائه عليهم الصلاة والسلام (١) .

١١ - فى البحار عن مفاتيح الغيب للرازى محمد فخر الدين المتوفى سنة ٦٠٦ قال : قال رسول الله (ص) : « ليلة أسرى بى الى السماء رأيت فى السماء السابعة ميادين كميادين أرضكم هذه » .

وروى هذا الخبر أيضا الحافظ الشيخ رجب البرسى من أبناء المائة الثامنة عن الرازى فى مفاتيح الغيب انه قال : « فى السماء الرابعة » بدل السماء السابعة - فتدبر .

وعلى أى تقدير فظاهر هذا الخبر يدل على مشابهة الكرات السامية

---

(١) هذان تفسيران وجيهان للعمود والعمودين وجالبان للنظر جداً ولكن بقى اشكال فى تحديد على أمير المؤمنين عليه السلام طول كل عمود بمسيرة مائتين وخمسين سنة لم ينحل بعد ، ووجه الاشكال من جهتين :

(الاولى) يلزم أن يكون بعد كل سيارة عن الشمس مسيرة مائتين وخمسين سنة ، وهذا التحديد لم يقل به أحد حتى الآن .

(الثانية) مساواة كل السيارات فى بعدها عن الشمس ، مع العلم ان بعد السيارات عن الشمس يختلف كثيراً - (ف) .

لأرضنا ووجود الميادين عليها لجولان كائناتها الحية .

١٢ - فى البحار والدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة - والظاهر انه الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله فى شرح الارض البيضاء خلف مغربنا الى ان قال صلى الله عليه وآله : « فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين » فقيل : يانبى الله أهم من ولد آدم ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « مايدرون خلق آدم أم لم يخلق » قيل : يا نبى الله فأين إبليس عنهم ؟ قال صلى الله عليه وآله : « ما يدرون خلق إبليس أم لم يخلق » .

وقد ذكرت ما يتعلق بهذا الخبر فى شرح الخبر الخامس وغيره ، فراجع تنتفع .

١٣ - فى كتاب الفقيه أبى الليث السمرقندى المتوفى سنة ٣٧٣ هجرية وعندى نسخة منه عتيقة جداً عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : « خلق الله تعالى أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة الى أن قال : « محشوة خلقاً من خلق الله لا يعلمون ان الله تعالى يعصى طرفة عين » قالوا : يارسول الله أمن ولد آدم هم ؟ قال صلى الله عليه وآله : « لا يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلق » قالوا : يارسول الله فأين إبليس عنهم ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « ولا يعلمون ان الله تعالى خلق إبليس » ثم قرأ صلى الله عليه وآله قوله تعالى : ﴿ ويخلق مالا تعلمون ﴾ .

١٤ - فى تفسير الفاضل النيسابورى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ ناقلا : ان فى كل أرض منها خلق . قال : حتى قالوا إن فى كل منها آدم وحوا ونوح وابراهيم وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم ويشهدون الضياء منها أو جعل الله تعالى لهم نوراً يستضيؤن به .

وذكر النقاش فى تفسيره فصلا فى خلائق السماوات والارضين وأشكالهم وأسمائهم أضربنا عن ايرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات - انتهى .

١٥ ـ الحديث المتواتر عن النبي ﷺ انه قال : « أن النجوم أمان لأهل السماء ، وان أهل بيتي أمان لأهل الأرض » .

وهذا الخبر مشعر بأن السماوات آهلة بالخلائق ، فيكون معنى أمان النجوم لهم انها كالسفينة قرارلهم ومسكن، ولولاها لساخوا في بيداء الفضاء أوغاصوا في أعماق جو بعيد الانتهاء ، كما ان أهل بيت النبوة أمان لنا وسفينة لنجاتنا من الغرق في بحر الظلمات ، وقد قال ﷺ في خبر آخر : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق » .

أقول : ليس عدم وثوق العلماء بمثل هذه الاخبار من جهة خلل في اسنادها ، إذ فيها أخبار صحيحة السند قوية النسبة أيضا ، وانما ضعف وثوقهم بأمثالها من جهة غرابة مضامينها ومخالفتها للقواعد الفلسفية التي كانت مسلمة لديهم في العصور المتقدمة ـ كما حققناه في المقدمة الرابعة.

ولقد كان المحققون من علمائنا يستنكفون من نقل هذه الاخبار ويرون نقلها وهناً للدين في أنظار عقلاء عصرهم .

نعم كان بعض الحفاظ والمحدثين يحدثون بجميع ما وصل اليهم تعبداً بأوامر الشريعة وتجمداً على ظواهر ما جاء منها .

ونسأل الله تعالى أن يجازيهم أحسن الجزاء ،ونحمده جل ذكره حيث أنعم علينا في هذه العصور برفع الخجل والفشل عنا من كشف أسرار بعض أخبار حجبنا الاطهار بسبب ارتقاء الكمالات والعلوم ونمو فن الهيئة والنجوم فظهرت لنا حقائق الكون ودقائق الطبيعة وأضحت المستكشفات الحديثة أحسن ترجمان للقرآن والحديث ، وخير نظارة نبصر بها أسرار شرعنا المقدس ، وأفصح لسان ينطق بصحة الدين والمذهب ـ ولله المنة ولهم الشكر .

«المسألة الثالثة عشر»

(فى الشهب والمذنبات وأحجار الجو)

قد بدل البحث والتدقيق رأى الحكماء فى حقيقة ذوات الاذناب والرجوم فقد كان القدماء منهم يعتقدون جميعاً ان الرجوم والمذنبات ليست من مقولة الانجم والفلكيات بل هى من حوادث جونا المتكونة من الابخرة والادخنة، وهم اليوم متفقون ظاهراً على ان المذنبات والرجوم بأسرها من مقولة الكواكب والنجوم .

وتحقيق هذه المسألة - ولو لم يكن من وظيفة الدين - لكننا نحب العلم بأن الشريعة هل وافقت المتأخرين أو القدماء ، أو اتخذت كسائر الشرائع سكوتها مغنما ؟

(الجواب)

اعلم ان الشعل الحادثة ليلا فى جو السماء المشابهة للشهب والسهام الثاقبة لا يرتاب أحد فى وجودها ، وانما قام الخلاف بين الحكماء فى مادتها ومنشأ حدوثها فالفلاسفة السالفون كأرسطو وأتباعه وبطليموس ومن بعده زعموا أن الدخان اللزج الدهنى إذا تصاعد من أرضنا واقترب من الكرة الناريه المتصلة بفلك القمر ولم تنقطع مادته عن هواء الارض أخذت النار تشتعل وتسرى فيه الى آخر مادته ، فيرى كالخيط المشتعل أو كالشهاب المنفصل . فاذا كانت مادة

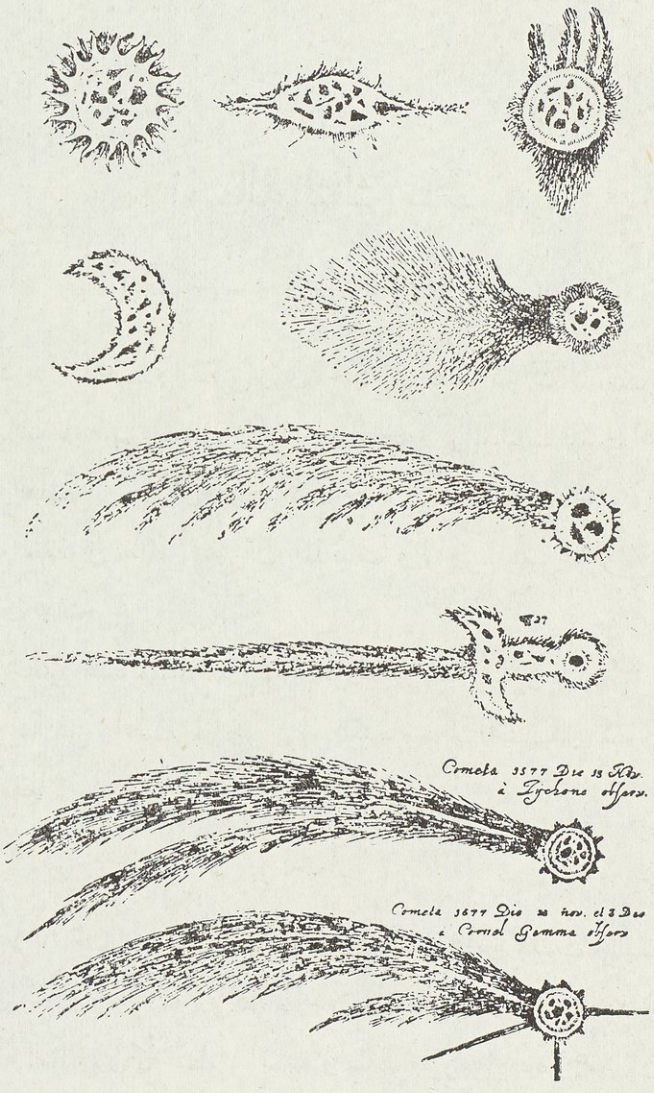

(ش - ١٦) صور المذنبات من الكتب القديمة

الدخان لطيفة كانت عند الاشتعال ناراً صرفة غير مبصرة ، وإذا كانت كثيفة بقيت مبصرة بعد الاشتعال ، وربما مكثت على غرائب الأشكال على اختلاف مواد الدخان وصوره .

قالوا : وربما شابهت كوكباً ذا لحية أو ذؤابة أو قرون أو ذنابه أو شكل تنين أو كرة أو مخروطياً أو غيرها ، وربما تكثر المادة فتضيء باشتعالها وجه الأرض .

فالشهب وذوات الاذناب بأسرها عندهم كائنات من أدخنة الارض وحوادث جوها ، ولو أطلقوا عليها اسم النجم نادراً فتجوز بعيد .

وإنما لم يجوزوا عدها من الفلكيات لوجود الميل المستقيم فيها وتطرق الكون والفساد اليها ، والفلكيات بأسرها لديهم منزهة من هذه الامور .

ولم يخالف هؤلاء الحكماء أحد غير (سنيكا) الحكيم الروماني ، فانه أنكر على أرسطو رأيه في المذنبات واحتمل كونها من مقولة السيارات .

والمحققون من علماء المسلمين - كابن سينا والرازي والطوسي والجرجاني والتفتازاني وغيرهم - وافقوا الفلاسفة من اذعانهم بأصولهم .

وقد أوجز الرازي كلامه في مباحثه الشرقية فقال : « إذا ارتفع بخار دخاني لزج دهني حتى وصل الى حيز النار من غير أن ينقطع اتصاله عن الارض اشتعلت النار فيه فازلة فيرى كأن تنيناً ينزل من السماء » .

* * *

وأما الحكماء المتأخرون عن الالف الهجرى فمن بعد تحرير الأفكار وارسالها جولة في كل مضمار مع موافقة الأسباب ومساعدة الأدوات أجمعوا ظاهراً على ان الشهب والمذنبات من مقولة السيارات ، وان مادة الكل واحدة وليس شيء منها ناشئاً عن أدخنة الارض ، وانما هي اجرام سيارة

فى جو السماء مستقلة كأجرام السيارات العظام مادة ومنشأ .

وأول من قاس بعدها عن الأرض هو (جون ملر) الفلكى الألمانى الملقب برجيو منتانوس فى القرن الخامس عشر الميلادى ، فوجد ان زاوية اختلاف المذنب الذى ظهر سنة ١٤٧٢ م نحو ستة درجات .

ويظهر من حدائق النجوم وغيره أن تيخو براهه الدانيمركى المتوفى سنة ١٦٠١ هو أول من علم بكون المذنبات سيارة فى خارج فلك القمر بسبب اختلاف منظرها اليومى ، لكنه زعم ان فلكها مستدير .

ثم من بعده أعلن تلميذه الاستاذ (كبلر) الجرمانى القائم سنة ١٦٥٤ بأن المذنبات هى كالحيتان الصغار والكبار تسبح فى بحر الفضاء الوسيع وتسير فى خط مستقيم ، قد نراها من القرب أو الكبر وقد لا نراها من البعد أو الصغر

ثم تلاه درفل ونيوتون فبرهنا على ان أفلاكها بيضوية كالأنجم السيارة ذاتاً وفلكاً ، ولكنها تتفاوت عن السيارات المصطلحة المعروفة بفروق أربعة:

(الأول) ان السيارات تدور حول الشمس ، والشمس متوسطة فى مداراتها البيضوية أو فى أحد الكانونين المحترقين (الفوكزين) وأما المذنبات فتدور غالباً والشمس فى ناحية من أفلاكها المستطيلة .

(الثانى) ان أحد القطرين فى أفلاك السيارات لا يقصر غالباً عن القطر الآخر بأكثر من ربعه ، وأما المذنبات فيقصر غالباً أحد قطرى فلكها عن الآخر بأكثر من ذلك جداً .

(الثالث) ان اجرام السيارات جامدة فعلا غير مذابة متبردة غير حارة ، وأما المذنبات فشدة الحر والاحتراق فى جرمها قد جعلتها فى الاكثر مشتعلة ملتهبة ترشح بالغاز والبخار حول نفسها ، وقطر الارتفاع منه اثنى عشر مثل قطر الجرم نفسه بل اكثر .

وقدر الاستاذ نيوتون حرارة مذنب سنة ١٦٨٠ اكثر من حرارة الحديدة المحمرة بألفى مرة ، فاستبراد مثل هذا الجرم يقتضى أن يمر عليه ألوف من السنين . ومن هنا زعم البعض - كما فى حدائق النجوم - ان المذنبات جحيم المذنبين والمذنبات .

(الرابع) ان أفلاك السيارات مرتبة على نظام متطابق لا يخرق فلك احداهن فلك الأخرى ، وأما المذنبات فان أفلاكها مرتبة على غير نظام أفلاك السيارات ، ولأجل ذلك يخرق كل فلك منها أفلاك السيارات بل هى تخرق أفلاك أنفسها أيضا .

فالمذنب فى سيره يخرق فلك نبتون مثلا عند نزوله ثم يخرق فلك أرانوس ، وهكذا يخرق أفلاك السيارات حتى يطوف حول الشمس ثم يصعد راجعاً فيخرق فلكا فلكا حتى يخرج من فلك نبتون .

وهذا الفرق هو أحسن فروق المذنبات عن السيارات وقد ذكره على ﷺ ، فراجع الدليل الثامن من هذه المسألة .

واكثر فروق الأنجم المذنبة عن الانجم السيارة وصفى لا جوهرى ولذلك تكون المذنبات من النجوم حقيقة .

* * *

وأما المنشأ لحدوث المذنبات فمختلف فيه الأقوال وملخصها :

١ - انها بقايا شمس تفسخت بعد قيام قيامتها وموتها .

٢ - أجزاء سيارة متفسخة بتأثير بعض علل كونية لا يعلمها غير بارئها تعالى .

٣ - اجرام مستقلة تسبح فى بحر الفضاء كسبح السيارات ، غاية الأمر مع اختلاف فى نظامهما .

٤ ـ هى أقمار سيارة عظيمة أبعدمن نبتون بأكثر من بعده عن الشمس بألفى مرة . الى غير ذلك من الآراء .

ولكن المشهور هو القول الثالث وان أصل المذنب هو جرمه المتلألىء الكوكبى المسمى (نواة المذنب) ويحيط بها ضباب غازى ينشأ منها عند اقترابها من الشمس ، ويسمى ذلك الضباب ذنباً ، ويكون على أشكال غريبة كاللحية والقرون والذؤابة والذنب وغيرها بحسب أوضاعه من مقابلة الشمس ـ كما ترى فى شكل (١٧) .

وتقع أشعة الشمس فى ذلك البخار فيضىء فيوهم انه ذنابة أو ذؤابة ، ولذلك تراه مستطيلا دائماً الى خلاف جهة الشمس يطول بالقرب منها ويقصر بالبعد عنها حتى ينعدم .

وجميع المذنبات خاضعة لنواميس الجـــذب ، فالكبير منها يؤثر فى سير السيارات إذا اقترب منها ، والصغير منها يتأثر بها فى سيره ، وربما ينحرف عن مجراه بسبب انجذابه للسيار .

وقد رصد الفلكيون حتى الآن زهاء ١٢٠٠ من المذنبات وضبطوا حركاتها ومداراتها فيخبرون عن ظهورها ثم لا يكذبون ، ولا يأمن الحكماء دائماً من تصادم أرضنا ببعض المذنبات حال المسير ، فيحدث فى ثراها أو مائها ضرب من التغيير .

أقوال الحكماء في الشهب والنيازك

وإذا استفدت شرحا من حقيقة المذنبات ومنشأ حدوثها فاستمع الى

أقوال المتأخرين فى حقيقة الشهب والنيازك ومنشأ حدوثها :

١ - بعض منهم يعتقدانها أحجار وقطع نارية ترميها وتلفظها أفواه براكين كرة القمر ، فتخرج من حدتها عن حيطة جذب القمر وكرسيه فيدخل فى

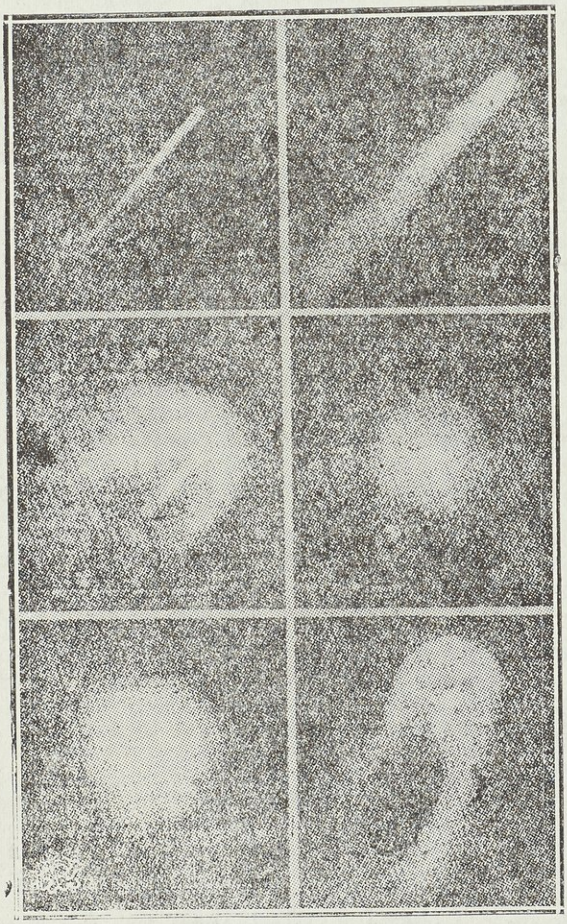

(ش-١٧) أقسام المذنبات والشهب

حيطة جذب الأرض .

٢ - وبعضهم يعتقد انها قطع وأجزاء من سيارة متفسخة منفلقة اندكت ببعض العلل الكونية .

٣ - وبعضهم يقول بكونها مستقله فى الخلق والنظام ، فهى توافق السيارات فى الحقيقة والمادة وتفارقها فى الاوصاف والنظام .

٤ - ومنهم من يعتقد انها قطع وأجزاء من مذنبات متفسخة انفلقت وتحللت بأسباب طبيعية يعلمها صانعها المتعال .

ففى آيات البينات : والشهب - على ماذهب اليه كثير من متأخرى الفلكيين - قطع من أذناب النجوم التى تجذبها الارض عند اقترابها .

وفى المقتطف السنة الثانية ص ٦٧ : ان الحجارة التى تتساقط من الجو هى نيازك دائرة حول الشمس تقترب الارض اليها أحياناً وتبتعد عنها أخرى فاذا قاربتها بحيث تغلب الشمس فى جذبها اليها ، وان النار الحادثة من التقاء المجارى الكهربائية بمواد فى الجو تلتهب وتسقط الى الأرض ناراً .

وقال فانديك فى باب النيازكات من النقش فى الحجر : الحجارة الجوية والنيازك أجسام دائرة حول الشمس، وعندما تقرب الى الارض بحيث تغلب جاذبيتها جاذبية الشمس تنحرف عن أفلاكها وتنجذب نحو مركز الارض ، ومن سرعة حركتها تولد بمرورها فى الهواء الكروى حرارة كافية لاحتراق الصغار منها تماماً وتحمى الكبار منها الى درجة اللمعان ويحترق بعضها وينتهى الى الارض قبل ما يحترق كلها (١) .

---

(١) وعليه نفسر قوله تعالى فى سورة الرحمن: ﴿ يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس ﴾ والشواظ جمع شظية بمعنى القطعة المنفصلة من الحديدة المحماة عندما تصير تحت المطرقة، فما أجود تشبيه الرجوم بشواظ من النار والنحاس الملتهب -

وقد أوضح الاستاذ (سكيابرلى) من ميلان ان أفلاك بعض النيازك توافق أفلاك بعض المذنبات .

وفى هامش مشهد الكائنات : ان المسيو بارفيل ذكر أخيراً فى جريدة صباح الأفرنسية ان المسيو سكيابرلى الايطالى قد كشف سر الرجوم، فعرف (أولا) ان خط مسير بعض المذنبات يوافق الخطوط التى كانت تتبعها بعض الرجوم ، وهذا حمله على القول بأن الرجوم والمذنبات ليست سوى طائفة واحدة وذلك لان المذنبات هى كواكب تتحلل بسهولة من تأثير السيارات التى تمر بجوارها فتفتت النواة وتنقسم الى ألوف من الأجزاء التى تجتمع أو تنفرد وتتقارب أو تتباعد على مسافات طويلة تابعة كلها نفس الخط الذى يسلكه المذنب الذى تولدت منه .

وقد استشهد المسيو بارفيل على صحة قوله بمذنب بيالا ، فان هذا المذنب البادى دائماً للعيون فى أيامنا قد تقسم الى مذنبات صغيرة لا عداد لها (١) بل الى رجوم تسير جميعاً فى خط مسير المذنب الأصلى والخط المذكور يقطع مسير الأرض فى احدى النقط وتمر الأرض فى شهر تشرين الثانى ... الى أن قال : ولا شك ان تساقط الرجوم الكثيرة فى ليالى تشرين الثانى ماهى إلا زيارة ووداع من الرجوم المتولدة عن مذنب (بيالا) ... الى أن قال : ولكن كم من هذه

ـ ولقد حللوا الشهب المرجمة اليوم فوجدوا فيها النحاس والحديد وأقسام الفلز، والآية بمناسبة سابقها : ﴿ يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السماوات والأرض ﴾ نص فى الشهب المرجمة لشياطين الجن .

(١) هذا مصدق لقوله تعالى فى سورة الجن: ﴿وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾ ولو كانت الشهب أدخنة أرضنا لم يصح امتلاء السماء منها ـ فافهم .

المذنبات المتوارية قد تحللت وتفككت وعادت فزارتنا بصورة شهب فقط .

وقد حسب المسيو (كالندرو) فلكى مرصد باريس ان المذنبات ذات الدوائر الشلجمية هى التى تتحلل بسهولة ، وعنها ينتج ما نراه بعض الليالى من الرجوم الكثيرة .

الرأي الاسلامى في الشهب والمذنبات

وبعد ما تلوت عليك آراء الحكماء جميعاً فى هذا المقام أتلو عليك الأدلة الواردة فى الشريعة الاسلامية الظاهرة فى موافقة المتأخرين ومخالفة الأقدمين.

الدليل الأول

قوله تعالى : ﴿ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد . لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحوراً ﴾ (١) فان الظاهر من سياق الآية يعطى ان الكواكب التى بها زين الله السماء الدنيا هى التى بها قد حفظها عن الشياطين المفسدين وبها يرميهم .

ولا يرتاب من استأنس بمقالات الشرع ان الشياطين لا يرمون إلا بالنيازكات فقط ، ولذلك تسمى شهباً ورجوماً ونيازكا .

وبعد النظر الى هاتين المقدمتين - أى كون النيازكات رجوماً للشياطين وكون رجوم الشياطين هى الكواكب المزينة للسماء الدنيا - ينتج كون الرجوم الشهبية من مقولة الكواكب والنجوم ، وان المادة فى الجميع واحدة ، وهو رأى المتأخرين فقط .

---

(١) سورة الصافات آية ٦-٩ .

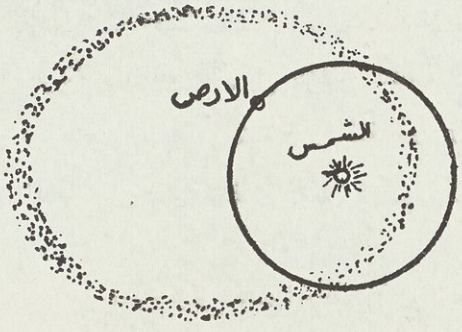

(ش-١٨) مجموعة من الشهب على فلك اهليلجى وهى مع فلك الأرض

فان قلت : الكواكب التى بها زين الله تعالى السماء هى الانجم الثابتة والرجوم هى النيازكات .

قلت : نعم اعتقاد هذا الامر هو الذى أوقع قدماء المحققين والمفسرين فى قيل وقال ، فانهم كانوا لا يطلقون الكوكب إلا على الاجرام الفلكية ، وكانت النيازكات والمذنبات عندهم من الحوادث الأرضية كما سبق ، ولذلك أضحوا حيارى ، إذ لو فسروا الكوكب بمعناه الظاهر الحقيقى وقعوا فى محاذير : (منها) دخول الشهب والرجوم فى الأجرام الفلكية مع انها حوادث أرضية عندهم . (ومنها) كون الكواكب فى السماء الدنيا مع انها فى السماء العليا عندهم .

فالأحرى بنا هو الأخذ بظاهر الآية على رأى المتأخرين والقول بأن النجوم المزينة هى الأنجم الشهبية المرجمة (١) .

(١) ولقد وجدت هذا الرأى فى البحار أيضا فانه قال عند تفسيره آيات السماوات من باب أخبار السماوات وكيفيتها من كتاب السماء والعالم من موسوعة

وقد عرفت صحة اطلاق النجم والكوكب على الرجوم حقيقة .

* * *

فان قلت : الزينة انما تحصل بالكواكب الثابتة لا بغيرها .

قلت : تحصل الزينة بها وبغيرها ، بل الزينة الكاملة هى التى تحصل من الشهب الثاقبة الملتهبة والرجوم المتعاقبة والنيازكات المتقاطعة يميناً وشمالا وذوات الأذناب والذوائب المظهرة فى السماء منظراً جميلا ومشهداً معجباً . كما ترى فى شكل (١٩) .

ولذلك ترى الفرس يعبرون عن هذه الحالة بـ (چراغبانى جهانى وآتش بازى آسمانى) . وسنحقق السماء الدنيا عن قريب .

الدليل الثانى

قوله تعالى : ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز

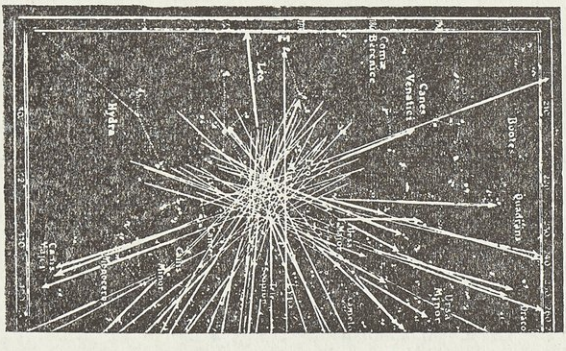

(ش-١٩) من مناظر الشهب والنيازك

بحار الانوار مانصه : (الوجه الرابع) أن يكون المراد بالكواكب فى الآية الكريمة - يعنى آية ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ - الشهب المنقضة قريباً منها ، ولما كانت ترى حساً على سطح السماء فهى زينة لها ، وتؤيده تتمة الآية ... الخ .

العليم ﴾ (١) وكلمة ﴿ حفظاً ﴾ منصوبة بفعل مقدر ، أى وزينا الدنيا بمصابيح زينة وحفظناها بها حفظاً .

وتقريب ظهور الآية فى المطلوب تقدم فى الآية السابقة .

الدليل الثالث

قوله تعالى . ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ (٢) وهذه الآية الكريمة صريحة فى ان المصابيح التى بها زين الله تعالى السماء الدنيا هى الشهب التى بها يرجم الله الشياطين - كما حققته فيما سبق.

وأما السماء الدنيا التى تظهر زينة الشهب والمذنبات فيها لأبصار العباد فهى الكرة البخارية المحيطة بأرضنا .

وقد قدمت الأدلة الواضحة فى المسألة السادسة على انها هى السماء الأولى فراجع البتة .

وقد صرح فانديك الامريكى وفلامريون الفرنسى وفيلكس ورنه وغيرهم ان الشهب لا تشع ولا تظهر للعيون إلا فى مرورها فى كرتنا البخارية .

فظهرت - ولله الحمد - حقائق ما ورد فى القرآن العظيم من كون الرجوم من مادة النجوم ومن كونها فى السماء الدنيا ومن كونها زينة للناظرين .

وسأشرح فى غير هذا الكتاب معنى كونها رجوماً للشياطين - وبه نستعين .

الدليل الرابع

فى أواخر مدح البلدان من كتاب البحار ج ١٤ وكتاب الخصائص

---

(١) سورة فصلت آية ١٢ .

(٢) سورة الملك آية ٥ .

وكتاب أقاليم البلدان فى ضمن مسائل عبدالله بن سلام اليهودى انه سأل النبى الأمى (ص) عن النجوم كم جزء (قسم) هى ؟فقال النبى (ص) : « ثلاثة أجزاء : جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها الى السماء السابعة ، والجزء الثانى بسماء الدنيا كأمثال القناديل المعلقة وهى تضىء لسكانها وترمى الشياطين بشررها ، والجزء الثالث معلقة فى الهواء وهى ضوء البحار وما فيها وما عليها » .

أقول : ظاهر الخبر يقسم الأجرام السامية الى ثلاثة أقسام :

(الأول) الكواكب الثابتة الكائنة فى خارج عالم شمسنا ، وقد أشرنا الى ان الشرع يطلق العرش غالباً على محدد نظام الكون بأسره المحيط بالشموس والعوالم ، كما يطلق الكرسى على محدد نظام عالمنا الشمسى ، فالكرسى يسع السماوات والارضين من عالمنا والعرش يسع الكرسى وعوالم أخرى . فقوله ﷺ : « بأركان العرش » أى فى خارج عالمنا الداخل تحت بواطن العرش .

وقوله (ص) : « يصل ضوؤها الى السماء السابعة » أى لا نرى ضوءها القوى أو مطلق ضوئها فى أرضنا من شدة بعدها .

نعم نراها بأبصارنا المجردة لو صرنا فى السماء السابعة - أعنى كرة زحل - أو فوقها ونراها فى الارض بأقوى النظارات .

ولا يخفى عليك ان المبصر من الثوابت إذا قيس بغير المبصر منها كان أقل نسبة من الواحد بالنسبة الى آلاف الملايين .

(القسم الثانى) هو النجوم الشهبية والرجوم النيازكية التى تظهر لنا فى السماء الدنيا - أى كرتنا البخارية - كأمثال القناديل المعلقة (بتخفيف اللام) أى المسرجة ، من أعلقت النار الحطب . فهذه النجوم تضىء سكان الكرة البخارية فقط ، وهم أهل الأرض أو مخلوقات جوهم .

(القسم الثالث) النجوم السيارة الممتازة عن القسمين الثوابت والرجوم فى أوصافها لا فى مادتها ، والنجمة السيارة مطلقاً معلقة (بتخفيف اللام) أى مسرجة منيرة فى جوف هوائها الكروى ، كما قال (ص) : « الثالثة المعلقة فى الهواء » ، أو بتشديد اللام من التعليق أى مربوطة ومعلقة فى هوائها الكروى كما يراه الاواخر - غير مركوزة فى ثخن الفلك كما زعمه المتقدمون .

وجميع ماسمعت من مضامين هذا الخبر الشريف منطبق على الاراء المستحدثة ، لكن ما يناسب هذا المقام انما هو قوله (ص) الجزء الثانى الى قوله الجزء الثالث .

الدليل الخامس

قول على أمير المؤمنين عليه السلام فى حديثه الطويل المروى فى البحار ج ١٤ وتفسير الفرات ومن جملته : « وجعل فى كل سماء شهباً معلقة » بتخفيف اللام أو تشديدها كما مر آنفاً ، فيدل على وجود الشهب والرجوم فى سماء كل أرض أى فى كل كرة بخارية محيطة بالأجرام السامية ، وهو الرأى المختار عند المتأخرين فانهم لا يخصون سماء أرضنا بالشهب والنيازكات بل يدعون انها أجرام تسبح كالحيتان الصغار فى أبحر الفضاء ، فقد تصادف أرضنا أو سيارة أخرى فتخرق كرتها البخارية بصورة شهاب لامع .

وليت شعرى ما كان يصنع المتقدمون بأمثال هذا الخبر غير الطرح أو التأويل البعيد الذى لا يساعده شاهد ؟

فهذا الخبر يخالف ترتيب القدماء خلافاً واضحاً أشد من وضوح موافقته لنظامنا السديد ؟.

وفى بعض خطب على عليه السلام المروية فى نهج البلاغة كلمات تناسب هذا

المقام. مثل قوله عليه السلام فى وصف السماء الدنيا: «ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب».

وقد تلونا عليك فى هذه المسألة كثيراً مما يؤيد ترتيبنا المذكور فى المسألة السادسة، فارجع البصر هل ترى من فطور.

الدليل السادس

فى بعض أخبار البحار والدر المنثور: «ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا».

أقول: وظاهره ينافى مبانى القدماء، لان السماء الدنيا عندهم فلك القمر ويستحيل لديهم وصول الرجوم اليه فضلا عن النفوذ فيه أو التفوق عليه، لكون الرجوم من حوادث أرضنا والفلك مطلقاً منزه لديهم عن الارضيات ولكن البانى على مبانى الهيئة الجديدة يمكنه الاخذ بظاهر ذلك، فان الرجوم سباحة فى الفضاء الوسيع وجمهورها فوق كرتنا البخارية - أى السماء الدنيا - غاية الامر انها غير ظاهرة لابصارنا، وانما تظهر لنا عندما تخرق سماءنا لامعة مشعشعة حتى تخرج من الطرف الاخر أو تمس الارض فلا تفارقها، فجميع النيازكات غير الظاهرة فوق السماء الدنيا.

الدليل السابع

فى البحار ج ١٤ باب السماوات والنجوم واعدادها وكتاب النجوم لابن طاوس مسنداً الى الوصى الثانى الحسن السبط عليه السلام انه قال فى خطبة وصف النجوم: «ثم أجرى فى السماء مصابيح ضوؤها فى مفتتحه وجعل شهابها من نجومها الدرارى المضيئة التى لولا ضوؤها ما أنفذت ابصار العباد فى ظلم الليل».

أقول : كأن هذا الخبر القدسى يشير الى ما نقلته عن (سكيابرلى) وغيره ان الشهب النيازكية أجزاء المذنبات المنحلة ، وتفصيل ذلك ان المصابيح التى ضوؤها جميعاً فى مفتتح منها انماهى المذنبات بحسب الظاهر إذ هى كمصباح مستطيل ، وعمدة ضوء المذنب فى رأسه ومفتتحه المسمى (نواة المذنب)

وقوله عليه السلام : « وجعل شهابها من نجومها الدراری » أى جعل شهب السماء من نجوم تلك المصابيح ، فالمذنب كمصباح مستطيل له رأس - أعنى أصل النجمة - وذيل - أعنى البخار المتصل بتلك النجمة .

والخبر دل على ان الشهب تتكون من نجوم تلك المصابيح ونواتها عند تفتتها وتفككها لا من غير النواة ، وهو الرأى المختار جديداً بعينه .

وقوله عليه السلام : « الدراری المضيئة » يجوز أن يكون توصيفاً لنجوم المصابيح أو لنفس المصابيح . ونحن لا نجزم بهذه التفاسير وان كانت ظاهرة ، لجواز أن يكون هناك تفاسير تفضل عليها .

الدليل الثامن

فى كتاب العلل لابن بابويه والبحار ج ١٤ وتفسير البرهان والأنوار النعمانية للسيد الجزائرى مسنداً عن أمير المؤمنين على (ع) انه سئل عن (الطارق) الذى فى القرآن ؟ فقال : « هو أحسن نجم فى السماء وليس يعرفه الناس ، وانما سمى الطارق لأنه يطرق نوره سماءاً سماءاً إلى سبع سماوات ، ثم يطرق راجعاً حتى يرجع الى مكانه » . وفى نسخة من علل الشرائع : « ثم يطرق سماءاً سماءاً راجعاً حتى يرجع الى مكانه » .

أقول : وهذا الخبر ظاهر فى تعريف المذنب من جهات :

(منها) قوله عليه الصلاة والسلام : « أحسن نجم فى السماء » فان

النجوم ثوابتها وسياراتها فى مرتبة واحدة فى الحسن والشكل لا يفوق بعضها على بعض إلا فى مقدار الضوء ومقدار الجسم لا فى حسن الشكل بخلاف المذنب فانه ممتاز من جميع نجوم السماء فى حسن الصورة وبهجة المنظر وطرافة الشكل مع ذوائب مرسلة أو أذناب مخروطية أو غير ذلك ، فهى لدى الانصاف إذا قيست بأنجم السماء كانت أحسنها من كل الوجوه . والعجب ممن فسر الطارق بنجمة زحل مع انها ليست بأحسن النجوم قطعاً لو لم تكن بأسوئها .

(ومنها) تسميته بالطارق ، فانها تشعر بشدة السير والطروقة بغتة وغفلة ، وذلك مختص بالمذنب .

(ومنها) قوله (ع) : « وليس يعرفه الناس » فالمذنب - كما عرفت - لم يفطن أحد من الخلق بأنه نجم سماوى حتى ظهر تيخو براهه بعد الألف الهجرى ، فكان على (ع) أول من وصفه للناس وتيخو براهه أول من برهن أمره ، وكان السابقون عليه يعدونه من حوادث الارض حتى فى عصر النبى وقبله وبعده ، فهو أحق بهذه الصفة من غيره .

(ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام : « يطرق نوره سماءاً سماءاً الى سبع سماوات ، ثم يطرق سماءاً سماءاً راجعاً حتى يرجع الى مكانه » فان هذه الصفة مختصة بالمذنب كما ذكرته فى الفرق الرابع فى صدر هذه المسألة .

وطروق نوره كناية عن أصل جرمه المنير ، وإلا فنفس النور من كل جرم ينفذ فى جميع جهاته - ثابتا كان أو سياراً أو مذنباً .

ولعمرى ان المتأمل فى مطاوى هذا الخبر الشريف يجده كافلا لشرح المذنب بأوجز بيان وأقربه ، ناطقاً بصحة النظام الجديد وصدق هذا الشرع السديد ﴿ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

« المسألة الرابعة عشر »

(فى تعدد العوالم والنظامات)

بلغنا عن حكماء عصرنا مقالة غريبة خلاصتها : ان هذه الثوابت على كثرتها وبعدها البعيد شموس مستقلة عظيمة ، حولها سيارات كبرى اكثر من سيارات شمسنا منظمة الحركات ذات حيوان ونبات ، فهل نطق شرع الاسلام بما يوافق هؤلاء أو خالفهم كالقدماء أو سكت كأكثر الشرائع ؟ .

(الجواب)

قد مر غير مرة ان القدماء من الفلاسفة والحكماء ذهبوا الى ان العالم الجسمانى كرة واحدة منضدة من ثلاثة عشر كرة تسعة منها أفلاك كلية وأربعة طبقات العناصر الاربعة ، وأرضنا هذه مركز الحركات ثابتة فى وسط العالم الجسمانى تحيط بها الكرات الاثنتى عشرة .

وزعموا أن الكواكب التى نسميها (الثوابت) أجرام عظام مظلمة فى نفسها وانها اجمع تكسب النور من شمسنا المبصرة ، وجميع تلك الاجرام مركوزة بأسرها فى ثخن الفلك الثامن (١) وليس فى الفلك التاسع جرم ، ولذلك يعرف بالأطلس ، فانه غير منقوط الاسم ولا بمنقوش الجسم ، وأقاموا

---

(١) كان القدماء يحددون اجرام الثوابت بمقادير حقيرة جداً ، كما نقل عن البر جندى عن ابرخس وبطلميوس فى ص ٢٢ من زيج اصفهان .

البراهين على ان العالم الجسماني منحصر الفرد بما هو في جوف هذا الفلك ، وانه يستحيل وجود عالم غيره .

ووافق هؤلاء جمع من علماء المسلمين ، ففسروا بالاطلس عرش الله تعالى الوارد اسمه في شرعنا وبفلك الثوابت كرسيه المحيط بالسماوات والأرضين

وأما حكماء الهيئة العصرية فقد ثبت لديهم ان سيارات شمسنا وأقمارها تكتسب الأنوار طراً من شمسنا وان سعة عالم شمسنا المحدود بمدار نبتون ألف وخمسمائة مليون فرسخاً ، فترى شمسنا العظيمة عند نبتون كنجمة صغيرة بقدر الجوزة ، ومقتضى ذلك اضمحلال نورها فيما بعد نبتون .

وعلى هذا يستحيل ان تكتسب الكواكب الثابتة أنوارها من شمسنا إذ هي في منتهى البعد البعيد عن نبتون .

ألا ترى ان بعض المذنبات يبتعد عن شمسنا اكثر من بعد نبتون بأربعة عشر مرة ، وهو مع ذلك مجذوب لشمسنا لا تغلب عليه جاذبية كوكب آخر لكثرة ما بقي من البعد بينه وبين الكواكب الأخرى .

وحسبك أن النظارات التي تكبر زحل مع بعده البعيد في منظرنا اضعاف ما يبصر بألف مرة لا تتمكن من تكبير الثوابت مما ترى بالبصر ، غاية الامر تجليها وتظهر خافيها لكثرة البعد البعيد .

قال فانديك في ارواء الظماء : ان أقرب الثوابت الى نظام شمسنا بعيد عنا أكثر من بعدنا عن شمسنا بتسعمائة ألف مرة .

وفي مجلة الهلال المصرية ص ٤٧٨ من سنة ١٩٠٩ : ان أقرب الثوابت الى أرضنا هي «دلفا» (١) وهي بعد الدقة الأكيدة تتخذ فرقاً في موقعها باختلاف

---

(١) لعل (دلفا) كلمة عربية ، وهي بفتح الدال وآخرها الف مقصورة بمعنى القريبة ، من « دلف » و « ازدلف » بمعنى قرب وتقرب ، حيث ان هذه أقرب الثوابت الى عالمنا الشمسي .

المنظر السنوى بمقدار الثانية ، فعلم ان بعدها ٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميلا ، أى عشرون مليون مليون ميلا ، وتوصل نورها الينا فى ثلاث سنين ، والنور يسير فى الثانية مائة وتسعون ألف ميل - انتهى .

فما تقول فى ثابتة يصل نورها الينا فى مائة سنة أو ألف سنة أو اكثر؟!

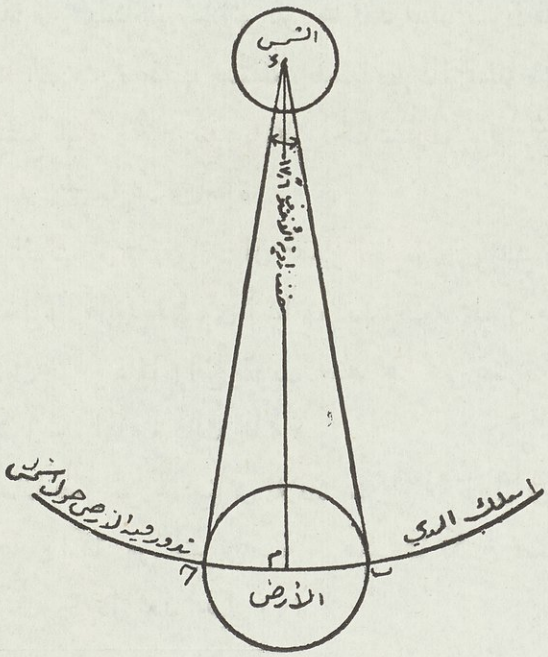

(ش - ٢٠) مقياس بعد الارض عن الشمس

فى ارواء الظماء : ان النجم من القدر السادس عشر لا يكون بعده عنا أقل من ثلاثمائة وثلاثة وستين مثل بعد الشعرى ، فينتهى نوره الينا فى خمسة آلاف سنة - انتهى .

أقول : فما ظنك بالنجم من القدر الثامن والعشرين .

* * *

فاذا عرفت بعد الثوابت عنا هذا البعد العظيم قلنا : فكيف يمكن أن تكتسب أنوارها عن شمسنا التى يتلاشى نورها بعد مدار نبتون فلا محيص من الالتزام بأن الثوابت منيرة بذاتها مستقلة بأنفسها عن عالم شمسنا ، وإذا ثبت انها منيرة بالذات تشع النور والنار بنفسها نحو الجهات ثبت كونها شموساً مستقلة أصغرها أعظم من شمسنا بألوف مرة .

ولأجل اثبات كبرها نقول : ان شمسنا العظيمة ترى عند نبتون كنجمة صغيرة ثم يضمحل نورها بعده فلا ترى أبداً مع انها لم تبتعد بمليون مليون فرسخاً ، وعليه فماتقول فى نجمة (دلفا) التى يقرب بعدها عنا نحو عشرة أضعاف بعد الشمس عن نبتون ونراها مع ذلك جلية ؟

ثم ان دلفا يصل نورها الينا فى ثلاث سنين ، فما تقول فى الشعرى التى يصل الينا نورها فى اكثر من عشرين سنة ، وهكذا فما تكون شمسنا عند هاتيك الشموس إلا كحبة خردل عند الجبل (١) .

---

(١) جاء فى المقتطف المجلد ٤٥ ص ٣١٠ مقالا بعنوان (نور النجوم) وفيه :

قال الدكتور دبزون فى خطبة تلاها فى المعهد الملكى بمدينة لندن : انه يظهر فى مقابلة أبعاد النجوم بمقدار اشراقها أو النور الواصل منها الينا ان فى الفلك بيننا وبين ما بعده عنا مائة برسك (برسك اسم لمسافة مائتى الف مرة -

وبالجملة قد غدى اليوم مسألة كون الثوابت شموساً عظيمة عند الحكماء تعد

ـ كبعد الأرض من الشمس) نجوماً يختلف عددها واشراقها حسب ما ترى فى الجدول التالى :

٢٤	نجماً اشراق كل منها مثل ١٠٠ شمس
٣٤٠	» » » » » ٥٠ »
١٣٥٠	» » » » » ٢٥ »
٤٨٤٠	» » » » » ١٠ »
٢٣٢٠٠	» » » » » شمس واحدة
٩٣٣٠٠	» » » » » ١٠/١ شمس

فنجم القطب من النوع الأول لأن بعده عنا عشرون برسكا أى أربعة ملايين مرة كبعد الشمس من الأرض فلو كان بعده عنا مثل بعد الشمس فقط لظهر لنا مشرقا كمائة شمس مثل شمسنا وهو الآن من القدر الثانى .

وفى السماء نجوم أبعد من نجم القطب وأشد منه اشراقا فى ذلك ٢٦٩ فى النجوم الحمراء اللون بعدها عنا الف برسك أى ٢٠٠ مليون مرة كبعد الشمس عن الأرض فلو كانت الشمس بعيدة عنا كذلك لظهرت لنا مثل نجم بين القدر الخامس عشر والسادس عشر ولكن هذه النجوم بين القد ٩٢/١ والقـــدر الحادى عشر ، ولذلك فاشراقها أشد من اشراق شمسنا ٢٥٠ مرة الى ٦٣ مرة .

وتختلف كثافة النجوم باختلاف بعدها عنا فاذا حسبنا كثافة التى على مائة برسك منا واحداً فالتى على خمسين برسكا كثافتها ١٫٣٠ والتى على ٢٠٠ برسك كثافتها ٠٫٧٠ والتى على ٣٠٠ برسك كثافتها ٠٫٤٨ والتى على ٤٠٠ برسك كثافتها ٠٫٣٢ والتى ٥٠٠ برسك كثافتها ٠٫٢١ .

والنجوم الصفراء اللون هى أقرب النجوم الينا غالباً والعشر منها بعده عنا ـ

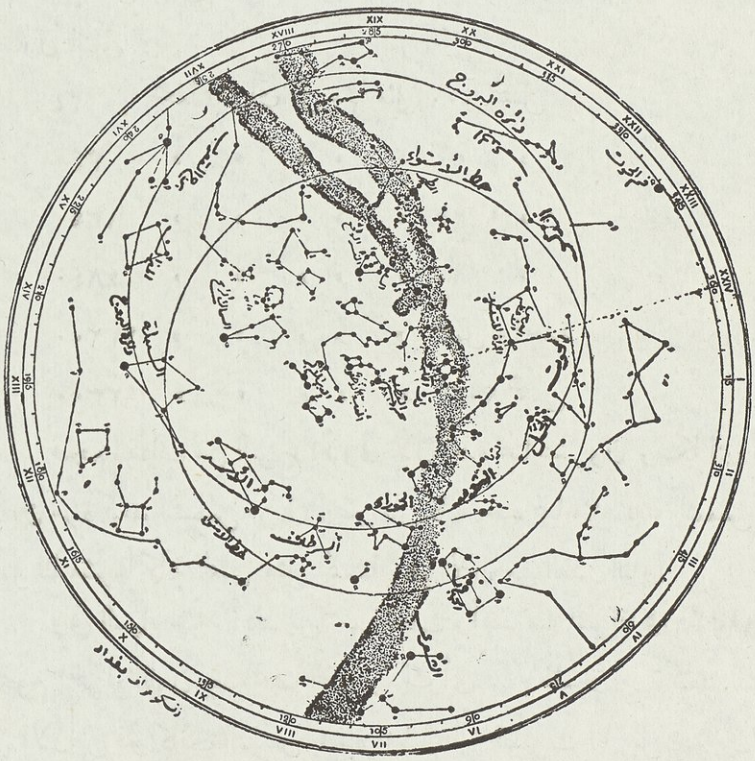

(ش - ٢١) البروج الاثنى عشر ونجوم المجرة

- أقل من مائة برسك والعشر منها بعده عنا اكثر من ٥٠٠ برسك والثمانية الاعشار الباقيه بين بين .. وإذا تقدمنا من النجوم التى لونها أصفر الى النجوم التى لونها أزرق أو برتقالى رأيناها تزيد بعداً عنا ٩٠٠ الى ٩٥ فى المائة فى النجوم أشد اشراقا - انتهى.

من المسائل الواضحة ، وان شمسنا المبصرة أيضاً كنجمة من الثوابت إذا كثر ابتعادك عنها .

فى كتاب النقش فى الحجر فى الفصل الرابع عشر : الشمس انما هى نجم من النجوم وهى أنور النجوم واكبرها (أى فى نظرنا المجرد) لأنها أقرب الينا من سائر النجوم ، والنظام الشمسى انما هو عدة أجرام باردة دائرة حول جرم حام ، وأرضنا مثال السيارات الباقية والشمس مثال النجوم الدرارى المائلة للكون الوسيع على أبعاد لا تدركه عقول البشر ، سواء منها صور النجوم أو نجوم البروج الاثنى عشر ونجوم المجرة التى تشبه درب التبانة من تلاصق نجومها الصغار - كما فى شكل (٢١) .

« وقد قالوا : ان هذه النجوم المتلاصقة بعيد كل منها عن الآخر بأكثر من بعد شمسنا عن ما وراء نبتون » .

« وكل نجم من النجوم الثوابت شمس تدور حولها سياراتها كما تدور سيارات شمسنا حولها . أما تلك السيارات فلا تظهر لنا لكونها اجراماً مظلمة وتظهر شموسها لكونها أجراماً نيرة مثل شمسنا » - انتهى .

وفى دائرة المعارف : « وهذه الثوابت يبعد أقربها عن أبعد السيارات بعداً شاسعاً وكل نجم منها نراه فى السماء فى ليل صاف هو شمس نورها ذاتى يضىء على عوالم ونظامات كما تضىء شمسنا على العوالم فى نظامها » .

أقول : هذا مطلب يتفرع على كون الثوابت شموساً - أعنى به وجود سيارات أخرى تدور حول الثوابت بنظام يشبه نظامنا وعالم يشبه عالمنا ، فى حين ان بعض الثوابت لا تزال فى دورها السدمى على شكل لولبى ، كما تراه فى شكل (٢٢) .

وتعد هذه شمسا غير ناضجة ، لكنما الناضج منها شمس نيرة دوارة على نفسها كشمسنا هذه ، ولم يهتد الحكماء اليه بعد إلا بالحدس والظن ، لاسيما على

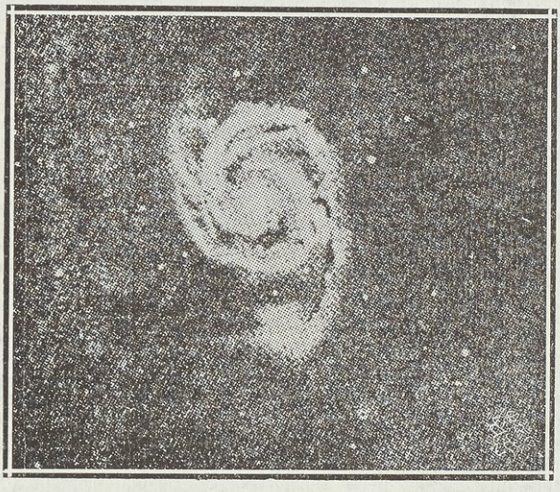

(ش - ٢٢) السديم اللولبى

المذهب المتقرر فى مبدأ تكوين الشمس والسيارات ، راجع مبحث تكوين العالم وأجرامه ، فان الخصائص والعوالم التى أثرت فى شمسنا أثر خلق الأراضى والأقمار وتكوين الحيوان والنبات فى تلك الأراضى هى بالظن القوى موجودة لباقى الشموس ، فلا يبعد أن يكون لها نظامات كنظامنا وعوالم كعالمنا . وهذا الظن موافق لمقتضيات حكمة الخالق تعالى وفضله .

وحيث ان الله تبارك وتعالى لم يترك شمسنا هذه مهملة الوجود معطلة الفيض بل استعمل ماأودع فيها من القوى والطبائع والأنوار والحرارات وخلق منها أراض كثيرة كبيرة سيارة حولها تستعطى من فواضلها واستولد من ذلك أصناف المواليد والمواد وأنواع الحيوانات والجماد مما يعجز الناس عن

بيانه ، فاستخرج هذه الثمرات الوجودية من شمسنا الحقيرة ولم يتركها كبثر معطلة اذ لم يخلقها سدى .

ومن سنة الله تعالى شأنه أن لا يبخل من الفيض إذا صار المورد قابلا له صالحاً ، فاذا كانت سنة البارى تعالى على هذا مع أرضنا الحقيرة وشمسنا الصغيرة التى ليس لهما قدر محسوس بالنسبة الى سائر الاراضى والشموس فكيف يترك الله تعالى تلك الشموس الكبيرة والكواكب الكثيرة مهملة الوجود معطلة الطبيعة (سبحانك ما خلقت هذا باطلا) .

كيف يدعها وليس لديها أجرام تتكامل من خيراتها ولا يتربى حى فى حجرها بعواطف تأثيراتها (نحاشى فضل الله وحكمته عن ذلك) ، فظنهم بوجود نظامات حول الكواكب الثابتة قريب بعد اثبات كونها شموساً تشبه شمسنا

وقد تأكد ظنهم المذكور بعدما اكتشفوا سيارة حول كوكب الشعرى - كما ادعاه فيلكس ورنه الفرنسى - وسيارة أخرى فى برج السنبلة سموها (اونوريا) كما فى هامش مشهد الكائنات ص٧٦ ، وهى كنجمة من القدر الثانى عشر اكتشفها الحكيم باليزا فى مرصد فينا .

ثم حدسوا من هذه المبانى والتى ذكرناها فى مسألة وجود الحيوان فى السيارات ان سيارات تلك الشموس أيضاً ذات نبات وحيوان وادارات معاش كامل ، وان حيواناتها تختلف مع حيوانات أرضنا كمية وكيفية وشكلا وغير ذلك بحسب فضيلة شمسها على شمسنا .

* * *

وأما الديانة الاسلامية فمقالاتها ظاهرة فى موافقة الهيئة العصرية ، بل صريحة فى ان الكون لا ينحصر بعالم واحد أو نظام فرد لشمس واحدة ، بل الله تعالى قد خلق بفيضه الكامل شموساً كهذه الشمس المبصرة لها مخلوقات حية كمخلوقات

شمسنا لا علم لهم بنا كما لا علم لنا بهم لفقد الروابط ، وان الكون مؤلف من عوالم و نظامات غير محصورة كل عالم منها يشتمل على أراضي وسماوات وحيوان ونبات كما قرره الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى .

وهذه المقالات الاسلامية كثيرة متوافرة نكتفى بسرد بعضها فنقول :

المقالة الأولى

فى الخصال والبحار ومنتخب البصائر والمحتضر والأنوار النعمانية وشرح الصحيفة السجادية للجزائرى وتفسير نور الثقلين وغيرها من كتب قدماء الامامية باسناد قوى الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال: « ان لله عز وجل اثنى عشر ألف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم ان لله عز وجل عالماً غيرهم » .

وانطباق هذا الخبر واضح على رأى المعاصرين القائلين بأن الكون مؤلف من عوالم تنوف الألوف ، كل عالم منها عبارة عن سماوات وأرضين اكبر من عالمنا المؤلف من سماوات وأرضين .

وفى هذا الخبر اشارات الى اشتمال تلك العوالم على كائنات حية عاقلة :

(منها) ارجاع ضمير ذوى العقول الى العوالم باعتبار من فيها .

(ومنها) نفى الرؤية الخاصة والعلم المخصوص عن أهل تلك العوالم ، فان ذلك لا ينبغى إلا فيمن هو شأنه العلم والرؤية - كما لا يخفى .

المقالة الثانية

فى الاحتجاج والاختصاص ومنتخب الاختصاص والبحار ج ١٤ و بصائر الدرجات بسند صحيح عن ابان بن تغلب عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال

للعالم اليمانى : « يسير عالم المدينة (يعنى نفسه) فى ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثنى عشر الف عالم مثل عالمكم هذا ، ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ابليس » .

أقول : احتمل بقرينة ما فى المقالة الثالثة أن يكون المراد من هذا السير السير الروحانى دون الجسمانى ، فتجول نفسه القدسية فى أعماق الكون وتحيط بعوالم غير متناهية ، واحتمل ان يراد بمسيرة الشمس سنة غير هذه السنة المعروفة للشمس ، بأن يراد سير الشمس بنفسها سنة كاملة بصحابة أطفالها حول مركزها المجهول بالحركة الانتقالية فى الفضاء المهول .

ويعلم باقى ما يتعلق بالخبر مما فى المقالة الأولى .

المقالة الثالثة

فى البحار وشرح الصحيفة السجادية وبصائر الدرجات ومنتخب الاختصاص وغيرها مسنداً الى الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال لمنجم : « هل أدلك على رجل (يعنى نفسه) قد مر منذ دخلت علينا فى أربعة عشر عالماً كل عالم اكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه ؟ » قال : من هو ؟ قال : انا .

أقول : تطلق الدنيا على أرضنا تارة وعلى عالمنا أخرى ، وعلى كلا الفرضين - سيما الأخير - يشعر الخبر بكثرة عوالم وسيعة منتظمة خارجة عن سعة علمنا .

وفى قوله عليه السلام : « لم يتحرك من مكانه » دلالة على ان مرور الامام (ع) فى هاتيك العوالم بسير معنوى وسفر روحانى - كما أشرت اليه فى المقالة الثانية .

المقالة الرابعة

فى تفسير القمى والبحار مسنداً عن ابن عباس صاحب النبى ﷺ فى تفسير ﴿ رب العالمين ﴾ قال : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالم وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفة عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده ، كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » .

أقول : قد ذكرت فى مسألة تعدد الارضين كـــون قاف اشارة الى مخروط ظل الارض القافى لنور الشمس ، وان البحار السبعة هى المجارى المتوسطة بين مدارات المحيط بها والسيارات الممتلئة من جوهر (اتر) المائع المواج ، وتسبح السيارات فى هاتيك البحار كالحيتان - على ما حققته وشرحته هناك فراجع حتى يتضح لديك ما أقول .

وبناءاً على ذلك تكون هذه العوالم خارجة عن نظام شمسنا من وراء سماواتنا .

وفى قوله : « كل عالم منهم يزيد ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » دلالة قوية على ان تلك العوالم خارجة عن عالمنا ، وان المبدأ الأول لأناسيهم غير آدمنا المعروف ، فان مدلول هذا الكلام انك لو جمعت جميع من ولده أبونا آدم عليه السلام فى طرف من بدو الخلقة إلى آخرها ثم جمعت عالماً واحداً من تلك العوالم فى طرف لزاد هذا العالم الواحد على آدم ومجموع من ولده آدم بأكثر من ثلاثمائة مرة .

فكيف يجوز بعد ذلك أن تأخذ أولئك الأناسى من ولد أبينا آدم ؟

والأخبار فى شريعتنا متواترة فى تعدد مثل آدم أبى البشر وان لافراد الانسان مبادىء غير منحصرة .

المقالة الخامسة

فى البحار وشرح الصحيفة السجادية للسيد الجزائرى وكتاب المحتضر للشيخ حسن بن سليمان مسنداً الى الامام الثامن على بن موسى الرضا عليه السلام انه قال : « ان لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فبالخضرة منها خضرة السماء » قلت : وما النطاق ؟ قال : « الحجاب . ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من عدد الجن والانس » .

وقد بينت فى رسالة جبل قاف تطبيق هذا الحجاب على ظل الأرض المخروطى وشباهته بالزبرجد الأخضر (١) وان المراد من وراء ذلك وراء نظام شمسنا ، والعوالم هى النظامات الشمسية التى أوضحتها أدوات العلوم العصرية ، وهى فوق الاحصاء كثرة ، ولذلك ورد عددها فى شرعنا على اختلاف حسب اختلاف المقامات .

وقوله عليه السلام : « عددهم اكثر من عدد الجن والانس » مبالغة فى الكثرة ، بمنزلة ان يقول : اكثر مما لا يرى ومما يرى .

(١) ان هذا التفسير مخالف لمنطوق الخبر حيث يقول : « خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء » فالزبرجدة غير النطاق والنطاق غير الزبرجدة ، ولكن سماحة المؤلف فى تفسيره هذا يريد أن يبين أن النطاق هو ظل الأرض المخروطى والزبرجدة أيضاً ذلك الظل المخروطى الذى اكتسب الخضرة من المجاورة واختلاط النور والظلمة - أى ان النطاق والزبرجدة شىء واحد لا شيئان - والحال ان الخبر يقول بتعددهما واختلافهما كما قلنا . وبالنتيجة لم يتبين معنى النطاق ولا معنى الزبرجدة ، وربما يراد من الزبرجدة فى هذا الخبر احدى السيارات الشمسية - (ف) .

المقالة السادسة

فى البحار وفرج المهموم لابن طاوس عن كتاب الأنبياء والأوصياء لمحمد بن على ان الامام الرابع على السجاد عليه السلام قال للمنجم فيما قال : « هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا فى أربعة آلاف عالم » .

المقالة السابعة

فى كتاب الشيخ أبى الليث السمرقندى ان النبى صلى الله عليه وآله قال : « ان لله تعالى جده ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد » .

ورواه السيد نعمة الله الجزائرى فى شرحه على الصحيفة بزيادة قوله صلى الله عليه وآله « الدنيا من مشرقها الى مغربها عالم واحد » .

ورواه الشيخ سراج الدين ابن الوردى فى كتاب خريدة العجائب عن ابى سعيد الخدرى صاحب النبى صلى الله عليه وآله : « ان لله تعالى أربعون ألف عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد » .

وعن تفسير ابن شهراشوب عنه صلى الله عليه وآله : « ان لله ثمانية عشر ألف عالم واحدها الدنيا » .

واختلاف بعض الألفاظ كاختلاف العدد محمول على عوارض مقامية أو شخصية كما مر مراراً .

ولعمرك ان عدد العوالم فى غاية الاختلاف فى مقالات الشريعة : ففى بعضها أربعة عشر ، وفى بعضها أربعون ، وفى بعضها سبعون ، وفى بعضها ثلاثمائة وبضعة عشر ، وفى بعضها برواية سعيد بن المسيب ألف عالم ، وفى بعضها أربعة آلاف ، وفى بعضها سبعة آلاف ، وفى بعضها عشرة آلاف ، وفى بعضها اثنى عشر ألفاً ، وفى بعضها ثمانية عشر ألفاً كما رواها وهب بن منبه وابى بن كعب وهما من

أصحاب النبي ﷺ ، وفى بعضها أربعون ألفاً ، وفى بعضها سبعون ألفاً كما رواها ابن عباس أيضاً ، وفى بعضها ثمانون ألفاً عن مقاتل بن حيان ، وفى بعضها مائة ألف ، وفى بعضها ستمائة ألف ، وفى بعضها ألف ألف ، وفى بعضها كلمة (مالا يحصى) .

فاذا رأينا ذلك كله علمنا ان المتكلم لم يقصد بذكر هذه الأعداد تشخيص المعدود ، بل كان غرضه مجرد بيان كثرة المعدود والمبالغة فيه ، لاسيما على القول بأن العدد لامفهوم له - كما اختاره جمع من الفقهاء واللغويين - أو نقول فى ذلك : ان الصحيح عدم تناهى عدد العوالم كما أشار اليه بقوله: « مالا يحصى » ، لكن السامعين يختلفون فى تحمل الغرائب وتصديق العجائب فكان الامام عليه السلام ونحوه يلقى الكلام على حسب استعداد المخاطب ويذكر له عدداً يطيق سماعه - كما مر فى آخر المقدمة الرابعة انهم (ع) أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وأحوالهم ، أو لجهات غير ذلك ذكرت بعضها فى المقالة الأولى من المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس .

المقالة الثامنة

فى الكافى والوافى لمحمد محسن الفيض والبحار وغيرها بسند قوى عن ابى حمزة الثمالى قال : قال لى أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر الى السماء فقال : « يا أبا حمزة هذه قبة أبينا آدم ، وان لله عز وجل سواها تسعة وثلاثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين » .

وهذا الخبر الشريف مشهور بحديث القباب ، وأرجح حمله على الأراضى المتعددة المنتشرة فى الفضاء الواسع جملة منها تتبع الشمس وجملة أخرى تتبع نظامات أخرى غير عالمنا ، وحول كل أرض منها سماء غازى محيط به كالقبة .

وقد تقدم فى مسألة ترتيب السماوات السبع فى حديث الرضا عليه السلام ان سماء كل أرض محيط بها كالقبة فوق الشيء - والله أعلم .

المقالة التاسعة

فى البحار والأنوار النعمانية والاحتجاج وشرح السيد الجزائرى على الصحيفة السجادية وفرج المهموم للسيد ابن طاوس بأسانيد قوية عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قال للمنجم الفارسى (سرسفيل الدهقان) : « فى البارحة سعد سبعون ألف عالم وولد فى كل عالم سبعون ألفاً والليلة يموت مثلهم » .

أقول : هذا الاحصاء قريب من الاحصاءات الأخيرة فى عصرنا على ما قاله الفاضل جورجى زيدان فى ص ٦٦٨ من أهلة سنة ١٣١٥ : انه يموت على وجه أرضنا كل ليلة تسعون ألفاً .

فيظهر من هذا الخبر ان لله تعالى سبعين ألفاً من العوالم كعالم أرضنا - (وهو رب العالمين) .

وروى ابن طاوس هذا الخبر أيضاً بسند آخر ، وفيه : « ان ألف ألف من البشر يولدون اليوم والليلة ويموت مثلهم » . وفى خبر آخر : « كلهم مولدون فى يوم واحد ومائة ألف من البشر كلهم يموتون الليلة وغداً » الى ان قال عليه السلام لسرسفيل : « ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل قصبة فى هذه الاجمة » ، وكانت عن يمينه أجمة قصب .

المقالة العاشرة

فى التوحيد للصدوق والخصال وبحار الأنوار والأنوار النعمانية وشرح الصحيفة ونور الثقلين وغيرها مسنداً عن جابر ان الامام الخامس محمد الباقر (ع)

قال له : « ولعلك ترى ان الله تعالى انما خلق هذا العالم الواحد أو ترى ان الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ؟ بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وأنتم في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين » .

وهذا الخبر المقدس صريح في المقصد محقق المضمون بالايمان والمؤكدات

وقوله عليه السلام : « في آخر العوالم » ليست الآخرية مختصة بالتأخر في الزمان ، بل تستعمل كثيراً في التأخر الشأني والطبعي والمكاني وغير ذلك . يقولون : زيد في آخر قومه عصراً أو مجلساً أو شأناً أو رتبة .

المقالة الحادية عشر

في البحار ومشارق الانوار للحافظ البرسي عن أبي حمزة الثمالي عن الامام الرابع علي السجاد عليه السلام انه قال : « أتظن ان الله تعالى لم يخلق خلقاً سواكم ، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وأنت والله في آخر تلك العوالم » .

المقالة الثانية عشر

في كتاب بحار الأنوار عن ابن عباس في حديث طويل عن النبي (ص) فيما وراء السماء انه قال صلى الله عليه وآله : « ومن وراء ذلك ظل العرش وفي ظل العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ولد آدم ولا ابليس ولا ولد ابليس ، وهو قوله تعالى : ﴿ ويخلق مالا تعلمون ﴾ .

وهذا الخبر الشريف صريح في ان الله جلت قدرته خلق من وراء أرضنا وسماواتنا - أعني خلف عالم شمسنا - مخلوقات كثيرة وأمماً وأقواماً حية ناطقة هم في ظل العرش أي تحت احاطة العرش .

والعرش فى الشرع كناية عن محدد عوالم الكون ، كما ان الكرسى كناية عن محدد عالم شمسنا خاصة .

* * *

وانى بعد الخوض فى بحار مقالات شرعنا الأقدس ظهر لى ـ والحمدلله ـ وفاقاً للهيئة العصرية ان الله عظمت قدرته جعل ما ينتظم به أمر معاشنا فى كرة الأرض وفى كرتنا البخارية ، وسمى مايحيط بالجميع سماءاً فهو المحدد والمنتهى لنظام أرضنا . ثم جعل أرضنا واخواتها السيارة حول شمسنا ومايلوذ بها من الأقمار والرجوم فى سعة هذا الجو المستدير من مركز الشمس إلى وراء نبتون بكثير .

فكما ان لجرم أرضنا هواء لطيف إلى بعد خاص تجرى فيه السحب والرجوم كذلك لجرم شمسنا هواء ألطف منه يسمونه (جوهر اتر) . وقد ذكرته فى المقالة السابعة من مسألة تعدد الأرضين .

وتجرى السيارات واتباعها فى أفلاك جو هذا الهواء كالسحب فى أفلاكها والذى يحيط بهذا الجو المحدد لنظام الشمس يسمى فى شرعنا (كرسيا) و (سرادقا) وهو كالسقف والفسطاط للسماوات والارض .

وقد تكرر فى كلام على عليه السلام والأئمة من بنيه : « ان الله جعل السماوات لكرسيه عماداً » وفى القرآن : ﴿ وسع كرسيه السماوات والارض ﴾ .

قال فى حدائق النجوم ما معناه : ان ارصاد الثوابت من القدر الأول ارشدتنا الى وجود دائرة تشبه اللبن ، وعرفتنا ان الشموس محاطة بمثل ما يحيط السيارات من الأبخرة اللطيفة لكن فى لطافة تقربها من العدم ، وتنتهى إلى حيث يجرى حكم الشمس وتؤثر عوامله الجاذبة والقاهرة » .

فنسبة الكرسى الى مجموع النظام الشمسى كنسبة الاتمسفر إلى الأرض وكذلك نسبة العرش إلى الجميع .

ثم خلق الله تعالى شموسا نيرة وجعل لكل منها سيارات ونظاما يخصه، ونحن نسمي تلك الشموس كواكبا ثابتة - أي في نظرنا العاجز - مع انها سياحة وسيارة أيضا في بيداء الفضاء الواسع حول مراكز لم تعرف حتى الآن

والمحدد الحقيقي لجميع هذه العوالم المادية يسمى في الشرع (عرشا) كما ورد في الشريعة « ان السماوات السبع في الكرسي كحلقة تلقى في فلاة والكرسي في العرش كحلقة تلقى في فلاة » وظل العرش (أي سلطته وحيطته) منبسط على جميع الاجرام والنظامات القاطنة في بطنان العرش السابحة في بحار فضائه حاملة بأمر الله تعالى عباده على كواهلها وظهورها تنتظر أحكامه التكوينية .

فاتضح بعد هذا البيان مقصود نبينا محمد ﷺ من قوله : « ومن وراء السماوات ظل العرش ، وفي ظل العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ولده » .

المقالة الثالثة عشر

ما اشتهرت روايته عن النبي ﷺ انه قال : « خلق الله العرش وللعرش سبعون ألف ساق كاستدارة السماء والارض » .

وقد روى هذا الخبر العلامة المجلسي في البحار ج ١٤ باب العرش والكرسي عن وهب بن منبه صاحب النبي ﷺ .

وفي تفسير العلامة فخر الدين الرازي : « ان العرش له ستمائة ألف سرادق وطول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والارضون وما فيهما وما بينهما فانها كلها تكون فيها شيئاً يسيراً وقدراً صغيراً » .

وفي النهاية لابن الاثير : السرادق كلما أحاط بشيء من خباء أو حائط .

أقول : هذه الظواهر بأسرها تحكي لنا ما تقتضيه الهيئة العصرية ، وهي

برمتها مخالفة لآراء القدماء والهيئة البطلميوسية . وقد ذكرت قبيل هذا أن الظاهر من مقالات شرعنا الأقدس هو ان لله عظمت قدرته سماءاً تحيط بأرضه .

وأما مايحيط بجميع سماواته وأراضيه ويحدد نظام شمسنا فهو الكرسي ويعبر عنه بالساق والسرادق والحجاب والركن والقائمة وغيرها ، بحسب اختلاف الملاحظات ، والمراد واحد والألفاظ شتى .

ولا يحصى عدد هذه السرادقات إلا الله تعالى ، وجميع هذه السرادقات ممهدة تحت العرش فى ظله المنبسط ، والعرش هو المحدد لجميع العوالم التى لاغاية لها ولا نهاية بالنظر الى وجداننا العاجز ، ويختص معرفة حدوده والعلم بخصوصيات وجوده بالخالق الحق ، فانه أيضاً غير متناه فى ذاته العظمى وصفاته الحسنى ، وهو المحيط بعرش العوالم لا غيره ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾

ولا تذهب عنك لطيفة فى قوله ﷺ : « كل ساق كاستدارة السماء والأرض » فافهم واسلك سبيل الحق لترقى .

المقالة الرابعة عشر

فى البحار ومناقب ابن شهراشوب عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير عشرة آلاف عام » .

وفى شرح السيد الجزائرى على الصحيفة السجادية والبحار وروضة الواعظين عن الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال فى حديث طويل : « ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ألف عام » ، وفى نسخة « عشرة آلاف عام » ، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور » الى ان قال : « ان لله ملكا يقال له (خرقائيل) له ثمانية عشر جناح مابين الجناح الى الجناح خمسمائة عام ، فخطر له

خاطر هل فوق العرش شيء فزاده الله تعالى مثلها أجنحة أخرى فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام . ثم أوحى الله تعالى اليه : أيها الملك طر ، فطار مقدار عشرين ألف عام فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش . ثم ضاعف الله تعالى له فى الجناح والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام فلم ينل أيضاً ، فأوحى الله تعالى لو طرت الى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ الى ساق عرشى . فقال الملك : سبحان ربى الاعلى » .

أقول : ومضمون هذا النبأ العظيم لا يجسمه رومان فيلسوف ماهر أحسن مما أداه هذا التمثال الدقيق المحيط بلباب التحقيق .

ويكفيك فى تباعد النظامات وطول المسافة بين عالم شمس وعالم شمس أخرى ان النور يسير فى كل ثانية ولمحة اكثر من ستين ألف فرسخاً ، وأقرب الشموس الى عالمنا ما يصل نوره الينا فى ثلاث سنين ، ومثل ذلك بعيد عنا بأكثر من سبعة آلاف ألف مليون فرسخاً .

وقد صرح الحكماء بوجود شموس تصل أنوارها الينا فى خمسة آلاف سنة واكثر (جلت قدرة الله تعالى والله اكبر) .

ولعل المراد من قوائم العرش نظاماته وسرادقاته كما مر ، أو يكون ساق العرش اشارة الى وسط دائرته التى لا حد لمحيطها ولا غاية .

واطلاق القائمة والساق على محور العرش وقطره مناسب أيضاً . فاستعمل النظر وآمن بعظمة الله تعالى وعلم أوليائه .

المقالة الخامسة عشر

فى البحار ومناقب الحافظ الطبرسى محمد بن شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨ عن ابن عباس عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قال فى جملة خبر الطويل : « وأما

الاربعة عشر فأربعة عشر قنديلا من النور معلقة بين السماء السابعة والحجب تسرج بنور الله تعالى الى يوم القيامة » .

ورواه فى البحار ج ١٤ والاختصاص من جملة مسائل ابن سلام اليهودى عن نبينا، وان النبى ﷺ قال له : « وأما الاربعة عشر فهو أربعة عشر قنديلا من نور معلقاً بين العرش والكرسى طول كل قنديل مسيرة مائة سنة » وفى بعض النسخ « ثمانية عشر حجاباً والطول مائة ألف سنة » .

أقول : القنديل فى العرف اسم سرج ومصابيح على شكل البيضة خصوصاً إذا اعتبرت خيوطها وسلاسلها التى تعلق بها . وبناءاً على هذا يكون القنديل شبيهاً بالنظام الشمسى من جهة الشكل ، حيث انه بيضوى كالنظام الشمسى .

ومن جهة تظمنه لجسم نارى فى وسطه يشع بذاته نوراً ونارا كالنظام الشمسى المتضمن للشمس فى وسطه وهى تشع بذاتها نوراً ونارا ، فيصح اطلاق القنديل على النظام الشمسى تشبيهاً ومجازاً .

وأما تطبيق هذه المضامين المقدسة المفهومة من هذه الالفاظ الكريمة على تعدد العوالم فيقويه :

(أولا) قوله عليه السلام : « معلقا بين العرش والكرسى » فانا ذكرنا فى المقالة الثانية عشر ان العرش كناية عن مجدد نظامات العوالم جميعا ، والكرسى كناية عن مجدد نظامنا ومحيط عالم شمسنا ، فيكون مابينهما فراغ بيداء الفضاء الذى تهيم فى سفاسفه شموس كبرى بتوابعهن وارابيات حجورهن .

(وثانيا) قوله عليه السلام : « طول كل قنديل مائة ألف سنة » بناءاً على بعض النسخ ، وأنت تعلم سعة كل نظام شمسى ، وان شمسنا الصغيرة تفوق طول القطر من نظامها على ألف مليون فرسخ .

وقوله عليه السلام : « معلقة » يجوز قراءته بسكون العين وتخفيف اللام بمعنى

مسرجة ومشعلة، فيقوى كونها شموساً نيرة بنفسها، ويجوز بفتح العين وتشديد اللام من التعليق بمعنى وضعها فى الفراغ غير مركوزة فى ثخن جرم، فيتصف عندئذ بها كل جرم سماوى حسب المبانى الجديدة.

* * *

وبعد ذلك يجوز أن يكون الخبر اشارة الى المذنبات العظيمة القابلة للابصار ويؤيد ذلك من ألفاظ الخبر جمل:

(منها) قوله ﷺ: «أربعة عشر قنديلا»، فان المذنبات العظام التى يجوز ابصارها وإخبار الشرع عنها فى خطابه لا يبعد أن تكون أربعة عشر أو الكائن كذلك فى عصره.

(ومنها) تسميته قنديلا، فانها تشبه القنديل فى شدة الضوء والاشتعال والحرارة حسب ما شرحته فى مسألة المذنبات، مضافاً الى مشابهتها فى الشكل بالنظر الى ذؤابتها أو ذنابتها التى قد تبلغ ١٣٣ مليون ميل.

(ومنها) قوله ﷺ: «طول كل قنديل مائة سنة» على بعض النسخ، فان عظام المذنبات لا تقصر أقطارها عن ذلك، وإذا صحت نسخة مائة ألف سنة فيجوز حملها أيضاً على سعة فلك المذنبات البيضوية الشبيهة أيضاً بالقناديل. ولا نشك فى كثرة اتساعها.

(ومنها) قوله ﷺ: «بين السماء السابعة والحجب»، إذ المراد من ذلك - كما مر مراراً - هو ما بعد نظام شمسنا خلف أرانوس ونبتون الى أن ينتهى الى حدود سائر النظامات الشمسية الأخر المعبر عنها بالساقات والسرادقات والحجب.

وأنت تعلم ان مجال المذنبات هى ما بين هذه الفسحة المتسعة، وتعلم أيضاً ان المذنبات العظام تبتعد فى سيرها من فلك نبتون الى مثل بعد نبتون عن الشمس أربعة عشر مرة ثم ترجع لتشكيل فلك اهليلجى أو بيضوى فى مدة ستمائة سنة

تقريباً ، ومذنب سنة ١٨٨٢م يتم دورته فى ٨٠٠ سنة .

وبناءً عليه فكم تقدر سعة أفلاك المذنبات التى تكمل دورها فى ألفين سنة أو ثلاثة آلاف سنة ؟ فانظر الى تقاصى سائر النظامات الشمسية الأخر وكمال بعد دارها عنا ، إذ لا تلقف بجاذبيتها هذه المذنبات الهائمة فى حمى جاذبية نظام شمسنا ، ولا ترسل من جذبها شيئاً الى حدود سلطنة شمسنا فنختلس نفراً من شوارد رعاياها .

وانظر الى سعة ملك شمسنا المنبسط فى أقطاره عوامل جذبها وقهرها وطول المسافة من حدود رعايتها وكرسى سلطتها (جل ربنا العظيم الذى وسع كل شيء ولا إله سواه) .

المقالة السادسة عشر

فى الأنوار النعمانية وشرح الصحيفه السجادية للحافظ السيد نعمة الله الجزائرى بعد كلام له ينبيء عن جموده الممدوح على ظواهر الكتاب والسنة قال : وقد روى عن الطاهرين - يعنى النبى وأوصيائه المعصومين - : « ان الله تعالى خلق مائة ألف قنديل وعلقها بالعرش والسماوات والأرض ومافيهاحتى الجنة والنار كلها فى قنديل واحد ، ولا يعلم مافى القناديل الباقية إلا الله سبحانه» .

أقول : وقد أشرت وسأشير الى مشابهة النظام الشمسى بالقنديل من وجوه عديدة :

(منها) ان القنديل شكله بيضوى وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين مجموعة بمدارات سياراته بيضوى الشكل .

(ومنها) ان القنديل يتضمن جسماً لطيفاً فى وسطه يتوقد ناراً ويشع نوراً ، وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين فى وسطه كرة الشمس اللطيفة

التى بذاتها تثير النار وتشع الأنوار .

(ومنها) ان القنديل مربوط فى الهواء وليس بمركوز فى ثخن جرم وكذلك النظام الشمسى مربوط عند المتأخرين بجاذبية الثوابت وليس بمركوز فى ثخن جرم كما كان القدماء يزعمونه .

(ومنها) ان الجرم المضىء فى القنديل ليس فى وسطه الحقيقى بل هو أقرب إلى حد منه عن الحد الآخر ، وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين ولذلك تراهم يقولون فى دوران السيارات حـــول الشمس : والشمس فى أحد المحترقين .

قال فى حدائق النجوم ما معناه : ان المركز الحقيقى لعالمنا هو غير مركز الشمس وانما هو مركزه التقريبى ، بل المركز الحقيقى لعالمنا خارج عن الشمس بمقدار النصف من قطر الشمس تقريباً .

* * *

وبعدما ظهرت لك مشابهة النظام الشمسى مع القنديل ينطبق هـــذا النبأ العظيم على النظام الجديد دون القديم ويكون ناطقاً بوجود ألوف من العوالم والنظامات الشمسية الحاوية لأراضى سيارة وأقمار دوارة وعمار وديار وجنة ونار ونحوها من لوازم المعاش والمعاد .

وفى قوله ﷺ : « والسماوات والأرض وما فيها حتى الجنـــة والنار كلها فى قنديل واحد » دلالة واضحة على ان كلا من عوالم تلك القناديل يسع السماوات والأرض ، كما هو شأن النظام الشمسى عند المتأخرين خاصة .

وقوله عليه السلام : « معلقة بالعرش » يناسب رأى الأواخر على ما اشرت اليه فى المقالة الخامسة عشر ، سواء قرأنا المعلقة بتشديد اللام بمعنى الربط من التعليق أو بتخفيفها بمعنى التسريج والاشعال .

والعرش كما فسرته مرارا محدد جميع نظامات الكون ومحيط عوالمه الوافرة

وقوله ﷺ : « ولا يعلم ما في القناديل الباقية غير الله سبحانه » واضح على مباني المتأخرين أيضا ، فان البعد البعيد والفضاء المديد المبين فيما سبق مانع من اطلاع الحواس على ما في تلك العوالم ، بل ولا تحس بمبادىء أمور فيها حتى تعيين قوة الحدس أيضا .

وحسبك ان البعد وفقد الروابط والوسائط مانعان من اطلاعنا على ما في سيارات شمسنا التي تبعد عشرة ملايين فرسخا ، فضلا عما في شموس بعدت عنا بآلاف ألوف ملايين الفراسخ وعما في سياراتها الخفية ، ولا سيما في عصر صدور هذا الخبر ، أعني به زمان النبي محمد ﷺ وأوصيائه عليهم السلام إذ لم يكن وقتئذ ذكر من هذه الخواطر ولا أثر من هذه الحقائق في الدفاتر ، ولم تكن من أدواتنا الكشافة يومئذ شبح ولا سيماء ولا اسم فضلا عن المسمى .

ان العلم كان يومئذ كجنين في رحم ظواهر الشريعة الاسلامية المقدسة مثلما هي اليوم كطفل يرضع من ثدي الكتب والصحف لينمو في حجر الجمعيات الفاضلة ذو الأدوات والاسباب الكاملة ، وسوف يدرج مدارج الكمال ويبلغ مبالغ الرجال في مستقبل الأجيال - والله العالم بحقائق الأحوال .

فانظر الى قوة أنظار أولياء الحق وأمناء الاسلام وصفاء قلوبهم ، وانطباع أسرار الكون وحقائق العوالم القاصية في مرآت نفوسهم المقدسة بالوحي والالهام من الرب العلام .

فاذا ظهر صدقهم في هذه المقالات الغيبية التي لا يدركها حس ولا يهتدي اليها عقل فقد استراح القلب واطمأن في صحة سائر دعاويهم ومقالاتهم المربية للنفوس والطباع والمكملة لنظامات الصحة والاجتماع المطلوب منها حفظ الأشخاص مع الأنواع (هذا هو الدين القيم فلا تبتغ غير الاسلام ديناً) .

«خاتمة الكتاب»

(فى مقالات اسلامية توافق الهيئة العصرية)

المقالة الأولى

فى روضة الكافى والوافى وبحار الأنوار وغيرها بسند قوى عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فى خبر يسأل فيه منجماً عراقياً من أصحابه على سبيل الامتحان : كم السكينة من الزهرة جزءاً فى ضوئها : قال المنجم : هذا والله نجم ماسمعت به أحداً من الناس يذكره . قال الامام عليه السلام : «سبحان الله العظيم أفأسقطتم نجما بأسره فعلى ماتحسبون ؟» . ثم قال : فكم الزهرة من القمر جزءاً فى ضوئه ؟ فقلت : هذا شىء لا يعلمه إلا الله تعالى . قال : فكم القمر جزءاً من الشمس فى ضوئها ؟ قلت : ما أعرف . قال : صدقت .. الخ.

وفى باب تحريم النجوم من البحار ج ١٤ عن الكافى عن العدة بسند صحيح وفى غيره عن روضة الكافى والوافى عن عبدالله بن سيابة عن الصادق (ع) انه قال: أتدرى كم بين المشترى والزهرة من دقيقة ؟ قلت: لا والله . قال: أو تدرى كم بين الزهرة وبين القمر من دقيقة ؟ قلت : لا والله . قال : أو تدرى كم بين الشمس والسكينة من دقيقة ؟ قلت : لا والله ماسمعته من أحد من المنجمين قط . قال : أفتدرى كم بين السكينة وبين اللوح المحفوظ من دقيقة ؟ قلت : لا ما سمعته من منجم قط .

قال السيد ابن طاوس : وروى هـــذا الحديث أصحابنا فى المصنفات والاصول ، ورواه محمد بن أبى عبدالله فى أماليه ، ورواه محمد بن عيسى أخو مقلس عن حماد بن عثمان .

أقول :يفيدنا ظاهر هذين الخبرين الشريفين ان نجمة السكينة هى من جملة السيارات وليست من مقولة الثوابت ، وتنطبق بحسب الامارات على سيارة (أرانوس) المبصرة كنجم من القدر الخامس، اكتشفها سر وليم هرشل سنة ١١٩٥ هـ ١٨٧١ م . ويشهد على ما استفدته أمور ظاهرة :

(الأمر الأول) تكرارها فى أخبار الأئمة عليهم السلام فى عـداد السيارات ، كالقمر والمشترى والزهرة - كما لا يخفى على المطلع .

(الأمر الثانى) مقايسة ضوئها مع ضوء الزهرة ، وذلك انما يناسب كونهما من سنخ واحد يتفاضلان فى النور والضياء ولا يناسب مقايسة تفاضلهما فى الضياء مع كون احداهما سيارة مظلمة والأخرى ثابتة وشمساً من الشموس النيرة بنفسها ، بخلاف مالو كانا من سنخ واحد بأن تكون نجمة السكينة اشارة إلى أرانوس لأصبح التناسب فى المقايسة فى أجلى ألبسة الوضوح ، فانهما جميعاً أرضان سيارتان تختلفان فى الضياء والبرق اختلافا ظاهراً ، بحيث نرى الزهرة أشد السيارات ضياءاً وأجملها منظراً ، ونرى أرانوس أشدها خفاءاً وظلاماً . فيكون فى مقابلة أرانوس بالزهرة كمال المناسبة ، بحيث لا تحصل هذه المناسبة بمقابلته مع غيرها .

(الأمر الثالث) قوله عليه السلام فى هذا الخبر وفى غيره : « أفأسقطتم نجما بأسره فعلى ماتحسبون ، فان المحاسبات النجومية وأحكام السعـادة والنحوسة والشرف والهبوط والمقابلة والاجتماع وغيرها متعلقة بالسيارات من حيث الحالات والحركات والأدوار والأطوار ولا تتعلق بالثوابت ، إذ لا يظهر

فيها شيء من ذلك ولا ارتباط لبعضها ببعض حتى يحتاج الى ضبط حالة أو حركة أو يخل جهل أحدها بأحكام البقية بخلاف السيارات .

فلو كانت نجمة السكينة بناءاً على هذا من الثوابت لم يبق موضع مناسب لشدة تعجب الامام (ع) من محاسباتهم بقوله : « فعلى ما تحسبون » بعد اسقاط نجم بأسره ، وأما إذا كانت هذه النجمة من السيارات وقع تعجب الامام (ع) فى أنسب مواضعه - كما لا يخفى .

(الأمر الرابع) قوله (ع) : « سبحان الله العظيم أفأسقطتم نجما بأسره » فهذا الاستعجاب العظيم من الامام انما يناسب كونها سيارة لا ثابتة ، حيث لا موضع لاستعجابه من اسقاط نجمة ثابتة ، إذ الكواكب الثابتة التى ترى بالأبصار المتعارفة يربوا عددها على ألفين كوكب عند المتقدمين والمتأخرين ولم يرصد المتقدمون ولم يعينوا منها غير ألف ونيف وعشرين كوكب ثابت فى عصر الامام (ع) كان الساقط عن الحساب من ثوابت النجوم المبصرة بقدر ما رصدوه كثرة .

وبناءاً على هذا لا يبقى موقع مناسب لتعجب الامام (ع) من اسقاط واحد منها والحال انه يماثله المآت بل الألوف فى السقوط وعدم الضبط ، وأما إذا عدت نجمة السكينة من سائر السيارات صار لاستعجاب الامام (ع) موقع مناسب جداً .

فان الحكماء السالفين بذلوا أعز الاموال والأعمار فى مراقبة الانجم السيارة حتى حصروها فى سبعة وضبطوا حركاتها على أكمل ضبط ، وعينوا مواضعها وأفلاكها وترتيبها وبنوا على ذلك قواعدهم وأحكامهم النجومية جميعا فمع هذه المراقبة لو غفلوا عن سيارة واحدة مرئية بالابصار المعتدلة ولم يتفطنوا بها ولا بأحكامها كان تعجب العاقل من هذه الغفلة العظيمة مناسبا وفى

محله وصح قوله عليه السلام : « سبحان الله العظيم أفأسقطتم نجما بأسره » .

ويظهر من المقالة الثالثة من الطائفة الثانية فى مسألة عدد السيارات ان نجمة (أرانوس) كانت قديما مرصودة ومعروفة عند بعض حكماء الهند، ومن رصدهم اياها استقام حسابهم فى فن النجوم والفلك .

(نكتة)

كما تدل شدة تعجب الامام عليه السلام من اسقاط السكينة على كونها من السيارات كذلك تدل أيضا على كونها السيارة المعروفة اليوم بأرانوس ، وقد استفدت هذه الدلالة الثانية من جهات :

(الاولى) ذلك التعجب العظيم من اسقاط نجمة السكينة عن الحساب ، إذ نحو هذا التعجب انما يقع من العاقل مناسبا وفى محله إذا كانت النجمة صالحة للرؤية ، وأما إذا كانت غير مبصرة لم يصح من الغفلة عنها ، إذ الحكيم لا يعرف الانجم بالوحى ونحوه حتى تعد غفلته من خفايا الاجرام عجباً بل يعد اطلاعه عليها فى غاية الغرابة .

وإذا وجب على هذا كون النجم المغفول عنه سيارة مبصرة تعين كونه (أرانواس) ، إذ النجوم الصالحة يومئذ للرؤية إنما هى ستة من سيارات شمسنا فقط ، وهى : ١ عطارد ، ٢ الزهرة ، ٣ المريخ ، ٤ المشترى ، ٥ زحل ٦ أرانوس . وليس المغفول عنه من بينها غير الاخير فقط - أعنى أرانوس ، وأما الخمسة الباقية فقد كانت مرصودة معروفة عند الجميع بالخمسة المتحيرة فتنحصر اشارة الامام عليه السلام الى أرانوس لا غيره .

(الجهة الثانية) مقابلته فى المقايسة مع الزهرة - كما مر فى الأمر الأول حيث ان السيارات ليس لها حسبما نشاهد أضوأ من الزهرة حتى انها قد ترى فى النهار ، كما انه ليس فيها حسبما نراه أخفى من سيارة أرانوس حتى انها قد لا ترى فى الليل ، ولا يفوز كل بصر بابصاره لتناهيه فى الظلمة والصغر .

(الجهة الثالثة) تسمية الامام عليه السلام هذه النجمة بالسكينة التى هى فى العرف تلازم بطء الحركة وهدوء السير ، وليس فى سياراتنا المبصرة ابطأ سيراً من (أرانوس) حيث يكمل الدور فى اكثر من ثمانين سنة ، فكأنه يمشى بكمال السكينة ونهاية الطمأنينة - (والحق أعلم بالحق) .

المقالة الثانية

فى البحار ج ١٤ وفرج المهموم للسيد ابن طاوس قال : روينا بالأسانيد عن الحسين ابن الغضائرى ونقلته من خطه من الجزء الثانى من كتاب الدلائل لعبدالله بن الحميرى باسناده عن بياع السابرى قال : قلت لأبى عبدالله (يعنى الامام جعفر الصادق) : ان لى فى النظرة فى النجوم لذة ... الى أن يقول له الامام : كم تسق الشمس القمر من نورها ؟ قلت : هذا شىء لم أسمعه قط ! فقال الامام (ع) : فكم تسق الشمس الزهرة من نورها ؟ قال : قلت : ولا هذا . فقال (ع) فكم تسق الشمس من اللوح المحفوظ ؟ قلت : وهذا شىء لم أسمعه قط قال : فقال الامام (ع) « هذا شىء إذا علمه الرجل عرف اوسط قصبة فى الأجمة » ثم قال (ع) : « ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند » .

أقول : وقد استفدت من هذا النبأ القدسى معنى لطيفاً يوافق الهيئة العصرية ، وهو ان السيارات مظلمة بالذات وتكتسب الأنوار من الشمس كالقمر وفاقا للمتأخرين ، فانهم متفقون على ان اجرام السيارات والأقمار

أراض كأرضنا ذات رمال وجبال لا تقتضى النورانية بذاتها ، فلابد لها من أن تستعطى وتكتسب الأنوار من الشمس حتى تضىء ، بخلاف الثوابت فانها شموس نيرة كشمسنا لا تحتاج الى اكتساب الشعاع من الشمس (١) .

* * *

وأما قدماء علم الفلك فالنقل المشهور عنهم من لدن بطليموس الى الآلف الهجرى هو استغناء جميع السيارات من الشمس فى الضوء والنورانية ما عدا القمر (٢) وقد حكى ذلك عنهم فى حدائق النجوم وغيره .

ونقل العلامتان المجلسى فى البحار والشيخ البهائى فى الحديقة الهلالية عن المنجمين ان القمر يختص بخواص لا توجد فى غيره من الكواكب وأشهر

---

(١) إذا كان اكتساب النور دليلا على الظلمة الذاتية - كما يقول به سماحة المؤلف مستفيداً ذلك من الخبر حيث جعل كسب القمر والزهرة النور من الشمس دليلا على الظلمة الذاتية - فاللازم أن تكون الشمس أيضاً مظلمة بالذات ، لما جاء فى ذيل الخبر : « فكم تسقى الشمس من اللوح المحفوظ » ونستنتج من سياق هذا الخبر ان القمر والشمس والسيارات كلها تكتسب النور من غيرها وكلها مظلمة بالذات على حد سواء ، فاذن لابد من التأمل فى قول المؤلف : « بخلاف الثوابت فانها شموس نيرة كشمسنا ... » ، وهذا القول مناقض مع كيفية الاستدلال - (ف) .

(٢) هذا ضد ما اختاره محيى الدين وأضرابه ، فكأن القدماء كانوا بين قولين لا ثالث لهما : أحدهما استضاءة العموم من الشمس حتى الثوابت وثانيهما استغناء العموم عن الشمس حتى السيارات ما عدا القمر . وأما الهيئة الجديدة فاتخذت مسلكا وسطاً وقالت باستغناء الثوابت عموماً واستضاءة السيارات عموماً . وهذا هو مذهب الشرع المحمدى .

تلك الخواص ستة : سرعة الحركة ، واختلاف تشكلاته ، واكتسابه النور من الشمس ... الخ .

فاستعطاء الضياء من الشمس كباقى الخواص كان لديهم مخصوصاً بجرم القمر فقط ، وأضحى اليوم كباقى الخواص مشتركا بين جميع السيارات عند المتأخرين ، وان الجميع مظلمة ذاتاً لو لم تسق الشمس سطوحها من فيض أشعتها .

وهذا الخبر القدسى المعنون يشير بظاهره الى مذهب المتأخرين ، وان الشمس تسقى من فيض ضوئها جرم القمر كما هو المسلم بين من تقدم وتأخر ، وكذلك تسقى بقية السيارات مما أفاض الله تعالى عليها ، فتسقى الزهرة مثلا من أنوارها مقداراً لا يعلمه إلا الله تعالى وأولياؤه . واللوح المحفوظ كناية عن حقيقة خفية فى عالم الوجود نشرحها فى بقية كتبنا انشاء الله تعالى والشمس تستقى منها بل كل مافى عوالمنا مستفيض من بحار جودها (والله أعلم بما خلق وهو اللطيف الخبير) .

وقد ذكر الامام (ع) فى هذا الخبر القدسى استضاءة الزهرة والقمر من قرص الشمس وانها مقدرة بمقدار خاص ، أى يستضىء القمر من الشمس قدراً معيناً ، وكذلك الزهرة تأخذ من الشمس مقداراً معيناً من النور وهذه التقادير معينة فى نفس الأمر ولكن لا يعلمها إلا الله تعالى وأولياؤه المقربون اليه .

وقد بذل المتأخرون هما ناهضة وأموالا باهضة حتى عرفوا بمعونة الآلات الدقيقة على سبيل التقريب مقدار ما تستفيده السيارات من نور شمسنا ونارها ، فقالوا : ان الزهرة تكتسب من نور شمسنا ثلاثة أضعاف ما تفيضه على الارض ، ويكتسب منها عطارد ثمانية أضعاف ماتفيضه على

الارض ، واختصت القناعة بالسيارات العليا (والقناعة شأن الاعلون) فتكتسب نجمة زحل من نور الشمس بجزء من تسعين جزء مما تفيضه على الارض ، ويكتسب أرانوس منه بجزء من ثلاثة وستين جزء مما تفيضه على الارض ، ويكتسب نبتون منه بجزء من تسعمائة جزء مما تفيضه على الارض على ما صرح به فلامريون الفرنسى .

وعرفوا أيضاً مقدار شكل الشمس فى عين الناظر اليها من كل سيارة فقالوا : ان الشمس تتراءى كدائرة قطرها شبر لمن فى أرضنا ، وشبر ونصف لمن فى الزهرة ، وقدمان لمن فى عطارد ، ونصف قدم لمن فى المريخ ، وكرمانة لمن فى المشترى ، وكنارنجة لمن فى زحل ، وكبيضة لمن فى أرانوس ، وكجوزة أو لوزة لمن فى نبتون على ما قدره كثيرون .

ومعرفة هذه الاقدار تحقيقا وتقريبا كان فى القرون الماضية من غوامض الاسرار المختصة بالله جل علمه وبمن أوحى اليه ، ولذلك قال الامام (ع) « هذا شىء إذا علمه الرجل عرف أوسط قصبة فى الاجمة » . يعنى ان هذه الاسرار فى تلك العصور لا تعرف إلا باحاطة غيبية بالمبادىء القدسية .

فيكون بناءاً على ذلك عرفان هذه الاقدار وعرفان بواطن الاشجار متلازمان ، لكونهما معلولين لعلة واحدة هى المبدأ أو المنشأ لهما - أعنى بهما انكشاف ما فى الطبيعة لدى النفس المتصلة بما فوق الطبيعة .

(تتمة مهمة)

ويقرب من مضمون هذا الخبر المعنون خبر آخر وجدته فى البحار ج ١٤ والاحتجاج عن ابان بن تغلب ان الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (ع)

قال للمنجم اليمانى : كم ضوء المشترى على ضوء القمر درجة ؟ فقال اليمانى : لا أدرى . فقال أبو عبدالله (ع) : صدقت فكم ضوء المشترى على عطارد درجة ؟ فقال اليمانى : لا أدرى ... الخ .

أقول : وقد استفدت من ظواهر هذا الخبر لطائف :

(منها) كون السيارات المظلمة تكتسب الأنوار من الشمس ، فان الامام عليه السلام ذكر عطارد والمشترى والقمر بسوق واحد وقاس بين أنوارها. وقد أوضحنا فى المقالة الأولى من الخاتمة ان المقايسة انما تقع مناسبة وفى محلها إذا كانت بين المتجانسات ، مثل ان يكون الطرفان كلاهما منيرين بالذات كالثوابت ، أو يكون كلاهما مظلمين بالذات ويكتسبان النور من الغير كالسيارات ، فاذا كانت السيارات كالقمر تكتسب الأنوار من الشمس كما فى الهيئة العصرية ظهر لهذه المقايسة موقع مناسب جداً . وقد مر فى الامر الاول من مسألة القمر ما يشير الى استضاءة السيارة .

(ومنها) ان ضوء المشترى فائق فى نفس الأمر على ضوء القمر كثيراً وان كان النظر الحسى يفوق ضوء القمر عليه ، وكذلك بالنسبة الى عطارد فان ضوء المشترى فائق عليه ، فالشريعة والفلسفة متوافقان فى هذه المسألة أيضاً وان خالفهما الحس البدوى .

(ومنها) ترتيب السيارات ، فان ترتيب بيان الامام (ع) وذكره لأسماء السيارات موافق للنظام الحديث الموافق للقرآن والاحاديث كما مر فى الامر الاول من مسألة أوصاف القمر ، فانه (ع) ذكر المشترى أولا ثم عدد السيارات نازلا منه ، فسمى ما هو بعد المشترى بواحد أعنى القمر ، ثم ذكر ما بعد القمر بواحد أعنى عطارد على النظام الجديد ، فيتجه لهذا الكلام نظام . بخلاف مالو اعتبرنا الهيئة القديمة فانه لم يبق لهذا الكلام التام نظام

معه بل ينحل إلى ترتيب مشوش - كما لا يخفى .

المقالة الثالثة

فى كتاب فرج المهموم للسيد ابن طاوس والبحار بأسانيد كثيرة عن أمير المؤمنين على (ع) انه قال للمنجم الفارسى سرسفيل الدهقان على سبيل التعجيز والامتحان : « أخبرنى عن طول الاسد وتباعده عن المطالع والمراجع ، وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ » .

أقول : قد اشتهر بين المتأخرين اطلاق التوابع على الاقمار من جهة انها تابعة فى السير للكرات السيارة وفى المولد أيضاً على ما يقولون كتابعة السيارات للشمس . وقد يصفون الشموس بالجوامع نظراً الى انها هى الجامعة بنظامها شمل السيارات والحافظة بجذبها بناتها عن الشتات . ويعتقدون توسط عنوان السيارات بين عنوان الاقمار التابعة وبين عنوان الشموس الجامعة ، وان السيارات بنات الجوامع وأمهات التوابع ومجذوبات لتلك وجاذبات لهذه وهكذا فى اكثر الجهات ترتبط السيارات مع الجوامع والتوابع وتتوسط بينهما فى السير وفى الجذب وفى التكوين وفى المحل وفى الحجم وفى غير ذلك .

وعلى هذا يتضح معنى قول وصى النبى (ع) : « وما الزهرة من التوابع والجوامع » أى وما نسبه عنوان سيارة زهرة من عنوانيهما .

ولو كان سرسفيل عالماً بالهيئة العصرية لقال : نسبة عنوانها هى التوسط بين التوابع والجوامع ، أى ان نسبة الاقمار الى السيارات كنسبة السيارات الى الشموس كما فصلناه . وبناءاً على هذا يكون المقصود من ذكر زهرة مطلق السيارات وكافتها . وإنما خص زهرة بالذكر دون البقية لكونها أظهر أفراد السيارات لدى الحواس وأعرفهن بين الناس .

جبل قاف

بقلم

سماحة الامام الحجة
السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

عزيزي القارىء

(جبل قاف) اسم يتردد كثيراً فى آثار الشريعة الاسلامية ويلوح لنا من هنا وهناك فى الأحاديث النبوية وما ورد عن أهل بيته المعصومين (ع) . فهو جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء عليه كنفا السماء وطوله مسيرة ألف سنة ... الخ .

فاذن أين هذا الجبل ولماذا لم نصل اليه مع كثرة الوسائل النقلية ؟

ان هذا سؤال يتردد كثيراً على الألسن ويصحبه تبسم فيه شيء من التهكم والسخرية من الذين يريدون شن الغارات على الاسلام وعلى مقدساته وعقائده ، انهم يجدون طريقاً للغمز فى التعاليم الاسلامية الغراء ، ذلك لأنهم لم يطلعوا على هذه الاسرار التى كانت مخبوءة لهذا العصر وما بعده حيث يتطلبان معاجز غير تلك المعاجز التى أبداها الرسول الاعظم لأهل عصره وأظهرها أهل بيته المعصومون لزمانهم الذى كانوا يعيشون فيه .

ان (جبل قاف) ليس بشيء خيالى بعيد عن الواقع وانما هو ظل الأرض المخروطى المخضر من اختلاط النور والظلمة هكذا يفسر هذا الاسم سماحة العلامة الأكبر سيدنا السيد هبة الدين الحسينى الشهرستانى فى رسالته هذه التى نقدمها كتكملة لكتابه القيم (الهيئة والاسلام) ، راجين من المولى جل وعلا أن يديم حياة سيدنا ليكون نبراساً نستضيء به فى الظلم .

السيد احمد الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ، وعلى آله وأوليائه .

أما بعد : فان الأخبار المأثورة عن النبي والأئمة من أهل بيته الكرام - عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام - فى شأن (جبل قاف) لما كانت صادرة على طريقة الاشارة والتمثيل ، وهى الطريقة التى قال عنها المصطفى ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم » ، ومن أجله أصبحت ظواهرها غريبة الشكل تتباعد عنها الطباع والأسماع ، وصار من أجل ذلك يتخذ الذين فى قلوبهم مرض وزادهم الله مرضاً أمثال هذه الظواهر وسيلة الى التشكيك والتضليل والاستخفاف بالآثار الاسلامية .

ولذلك اندفعت الى تفسير تلك الظواهر المأثورة وكشف أسرارها المستورة ، والتوفيق بينها وبين الكشفيات الجديدة عند المتأخرين من علماء الهيئة والفلك .

فان أصبت الحقيقة فيما فسرت فذلك من فضل ربى ، وان أخطأت فان ربى غفور رحيم .

النجف الأشرف سنة ١٣٢٧ هـ — هبة الدين الحسينى

«الفصل الاول»

(الآثار الاسلامية حول جبل قاف)

ان الأخبار المأثورة حول جبل قاف وتفسير هذا الرمز الغريب تبلغ عشرين أثراً أو اكثر نوردها قبل الشروع فى تفسيرها :

١ ـ ما فى تفسير الحافظ على بن ابراهيم القمى من أبناء القرن الثالث الهجرى فى شرح قوله تعالى : (حمعسق) بسنده القوى عن الامام الباقر محمد ابن على بن الحسين عليهم السلام انه قال : « وق جبل محيط بالدنيا من زمرد اخضر، فخضرة السماء من ذلك الجبل » ـ الخ . وهو مروى فى البحار للمجلسى وفى البرهان للسيد البحرانى وفى مفتاح الجنان للشيخ البرغانى .

٢ ـ ما فى بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ وفى منتخب البصائر لحسن بن سليمان الحلى : « ان الله تعالى خلق جبلا محيطاً بالدنيا من زبرجد أخضر ، وانما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل » . وهو مروى فى البحار والبرهان والمفتاح أيضاً .

٣ ـ ما فى معانى الأخبار لصدوق المحدثين محمد بن على بن بابويه القمى المتوفى سنة ٣٨١ هـ مسنداً عن الامام الصادق جعفر بن محمد (ع) انه قال فى خبر طويل : « واماق فهو الجبل المحيط بالأرض ، وخضرة السماء منه ، وبه يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها » . وهو مروى أيضا فى البحار والبرهان وغيرهما .

٤ ـ ما فى الدر المنثور للحافظ السيوطى جلال الدين من أبناء القرن التاسع بسنده عن عبدالرحمن بن بريدة قال : « ق جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفا السماء » وهو مروى فى البحار أيضاً .

٥ ـ ما فى الدر المنثور وفى بحار الأنوار للعلامة المجلسى محمد باقر المتوفى سنة ١١١١ هـ عن مجاهد انه قال : « ق جبل محيط بالأرض » . ورواه الفيروز آبادى فى القاموس فى مادة (قوف) .

٦ ـ ما فى تفسير على بن ابراهيم القمى أيضا وفى غيره قال : « قاف جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج وهو قسم » . ورواه الطريحى أيضا فى مجمع البحرين فى مادة (قوف) عند تفسير آية ﴿ ق . والقرآن المجيد ﴾ .

٧ ـ ما فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس (رض) صاحب النبى (ص) وابن عمه قال : « خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم » .

٨ ـ ما فى مجمع البيان لأمين الاسلام الطبرسى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ عن الضحاك وعكرمة من أصحاب النبى (ص) : « ان قاف اسم الجبل المحيط بالارض من زمردة خضراء وخضرة السماء منها » .

٩ ـ المقطوعة المروية فى البحار وفى كتاب الاقاليم والبلدان : « ان جبل قاف محيط بالأرض كاحاطة بياض العين بسوادها » .

١٠ ـ ما فى باب البلدان من كتاب البحار من جملة مسائل عبدالله بن سلام الاسرائيلى عن النبى (ص) فقال فيما قال : أخبرنى ما بال سماء الدنيا خضراء ؟ قال (ص) : « يابن سلام اخضرت من جبل قاف » قال : صدقت يا محمد .

١١ ـ ما فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس قال : « خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيط بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له

(قاف) السماء الدنيا مترفرفة عليه ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أيضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، وهكذا حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل .

١٢ - ما فى البحار والدر المنثور أيضاً عن ابن عباس قال : دخل علينا رسول الله (ص) ونحن فى المسجد حلق حلق فقال لنا : فيم أنتم ؟ فقلنا : نتفكر فى الشمس ... الى ان قال (ص) : « ان من وراء قاف سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ، ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورنا لأهلها ، ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة » - الخبر .

١٣ - ما فى باب الجبل من كتاب البحار عن بعض المفسرين « ان الله تعالى من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس » - الخبر .

١٤ - ما فى تفسير القمى وغيره عن عبدالله بن عباس فى تفسير آية ﴿رب العالمين﴾ قال : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالماً وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفة عين قط ، ولم يعرفوا آدم ولا ولده ، وكل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » .

١٥ - ما فى كتاب المحتضر (بالضاد المعجمة) وفى البحار أيضاً عن الامام الرضا على بن موسى (ع) : « ان لله تعالى خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فبالخضرة منها خضرة السماء » قال الراوى : قلت : وما النطاق ؟ قال : « الحجاب ، ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من الجن والانس » وهو مروى فى تفسير البرهان أيضا .

أقول : وانما ذكرت هذه الرواية فى عداد اخبار جبل قاف مع انه لم يذكر اسمه فيها لأن الصفات المختصة بهذا الجبل قد ذكرت محمولة على موضوع

سمي بالنطاق تارة وبالحجاب أخرى ، مثل كونه من زبرجدة خضراء وكون اخضرار السماء من خضرته ، ومن وجود العوالم المتعددة خلفه ، ولا ينافي ذلك تسميته بجبل قاف أيضا إذ كل هذه الأسماء سمات وصفات بعضها أشهر من بعض كما سيتلى .

ولا يبعد ان يكون التعبير عنه بالنطاق اشارة الى كونه محيطاً بالأرض - كما مر عليك فى الأخبار السالفة . والنطاق والمنطقة الحزم المحيط بخصر المرء .

١٦ - ما فى الدر المنثور وغيره عن كعب الأحبار فى قوله تعالى فى سورة ص : ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ انه قال : « حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق ، فمنه اخضرت السماء الخضراء واخضر البحر من السماء ، فمن ثم يقال البحر الأخضر » .

أقول : والاعتراض الذى أوردته فى الخبر السابق وارد هنا أيضاً ، كما ان جوابنا عنه هنالك نافع فى هذه الرواية بالطريق الأولى - كما لا يخفى .

١٧ - ما فى البحار والدر المنثور عن ابن مسعود صاحب النبي (ص) انه قال بمثل ما نقلناه عن كعب الأحبار فى الحديث السالف .

١٨ - ما فى البحار وكتاب جامع الأخبار المنسوب الى شيخنا الصدوق ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن عرض قاف وطوله واستدارته ؟ فقال (ص) : « مسيرة ألف سنة » الى ان قال : « وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، والأخرى فى وسط السماء » .

١٩ - ما رواه المحدث الفاضل الفيض الكاشانى فى روضة الوافى والشيخ الصفار فى بصائر الدرجات بالاسناد عن الامام الباقر محمد بن على (ع) « ان الله تعالى خلق جبلا محيطاً بالدنيا من زبرجد أخضر ، وان خضرة السماء من

ذلك الجبل ، . وخلق خلفه خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة ... » .

٢٠ - ما رواه المجلسي في باب العوالم من كتاب البحار عن ابن عباس عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال : « ان من وراء قاف عالم لا يصل اليه أحد غيري ، وأنا المحيط بما ورائه وعلمي به كعلمي بدنياكم هذه » .

ومعنى « لا يصل اليه أحد غيري » ان في ذلك العصر لم يكن أحد يدرك هذا العلم غيره .

(خاتمة)

قد استفاضت هذه المضامين المروية في جوامع الحديث ، فلا يضرها ضعف أسانيدها ظاهراً ، ولكن هلم الخطب بغرابتها واستنكار العقول لجملة من ظواهرها ، لجزمها بانتفاء جبل من الصخر يحيط كالحائط بالأرض ويقدر بمسيرة ألف سنة ، وهو بعينه من زبرجد أخضر وتؤثر خضرته في السماء ، وخلفه كذا وكذا من العوالم والاقوام واشياء تنافي اصول الهيئتين (القديمة والجديدة) بل تناقض مقالات السواح والرحالة .

إذن فلا مناص من توجيه الظواهر وتأويلها الى معنى صحيح يتفق مع الفن ويصدقه العيان والبرهان ، وقد خطر لي توجيهها الى مثل هذا المعنى لكنه غريب لدى الناظر اليه لأول وهلة . نعم غريب لدى النظر لكن التأمل في شواهده وفي كمال توافقه مع المضامين المأثورة المذكورة يعطي العلم أحياناً بكونه المقصود لدى أصحاب تلك المقالات بطريق الاشارة والرمز .

« الفصل الثانى »

(تسمية جبل قاف)

ذهب البعض الى ان (جبل قاف) هو سلسلة جبال ممتدة من نواحى بحر قزوين - بحيرة خزر - الى سواحل البحر الاسود فى جنوب روسيا وشمال شرقى الاناضول وشمال غربى ايران حيث الاراضى الموسومة بـ (قفقاسية) . ويؤيد هذا الزعم ان كلمة قفقاز أو قوقاس منحوتة من لفظ قوه قاف ظاهراً ، وأصل هذه كوه قاف ، وهى فارسية معناها جبل قاف .

لكن هذا التفسير على فرض صحته لا يكفل شرح المأثورات الاسلامية التى أوردناها فى الفصل السابق ، ولا ينطبق على هذا الجبل شىء من تلك الصفات التى نحن بصدد شرحها وحلها ، اللهم إلا بعض تلك المأثورات كالرواية السادسة .

إذن فول وجهك شطر المعنى الذى يتفق مع المضامين المأثورة وأوصافها المذكورة ، وهو على غرابته فى بادىء النظر يفتقر الى تمهيد ، وهو :

انك لو تصورت كرة الارض مع ظلها الحادث من استتار الشمس خلفها لوجدت الظل شبحاً مظلماً على شكله المخروطى ، قاعدته الوسيعة عند الارض ورأسه الدقيق نحو السماوات على هيئة جبل عظيم - انظر شكل(١) .

أفلا يجوز لك اطلاق اسم الجبل على هذا الشكل المخروطى العظيم على

سبيل المجاز والتشبيه لتمام الشبه بين هذا الظل و بين الجبل فى الشـــكل ؟ بلى لاشك من منصف فى جوازه ، خصوصاً إذا قامت هناك قرينة لفظية أو عقلية.

فيصح بناءاً عليه أن يكون اطلاق الجبل على مخروط ظل الارض فى المقالات الاسلامية من هذا القبيل ، لا سيما وموارد استعماله مقرونة بالقرائن فلا مانع لنا من جهة الصدق العرفى فى هذا المقام ، وعليه فلنبحث عن تطبيق تلك العلامات ودلالة هاتيك القرائن والصفات ، وهى عشرة :

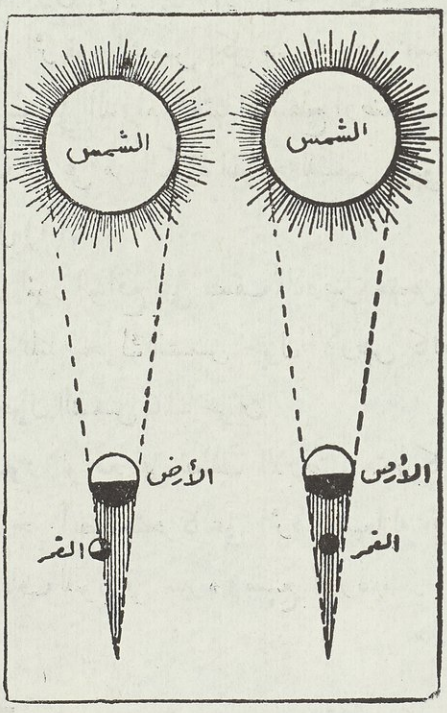

(ش - ١) كرة أرضنا ومخروط ظلها المتولد من مقابلة الارض لقرص الشمس وخسوف القمر داخل ظل الارض خسوفاً كلياً وخسوفاً جزئياً .

القرينة الأولى

توصيفه بالقاف حتى صار اسماً له ، وسيأتى ان الارضين السبع فى كل منها جبل قاف - كما مر فى الرواية الحادية عشرة - فلا يكون اسم قاف علماً شخصيا لشىء كما يظن ، بل يعتبر اسم جنس متكثر الافراد . ويقرب ما نبتغيه ذكر جبل قاف فى القاموس ومجمع البحرين وغيرهما فى مادة (قوف) بمعنى تبع ، وجواز أخذه من قفى يقفو فهو قاف بمعنى متبع الاثر فى المسير وظل الارض يتبع اثر نور الشمس بكل سرعة وعلى الدوام .

والشمس ترسل على الدوام أشعتها الى سطح أرضنا وسطوح بقية السيارات فيستنير بها النصف النوعى من الكرة المواجه للشمس ويبقى النصف الآخر فى ظلام - انظر شكل (١) .

ومعلوم ان النور الواقع على نصف الارض متحرك دائما من المشرق الى المغرب ، سواء قلنا بتحرك الشمس حول الارض كالقدماء أو قلنا بتحرك الارض حول الشمس كالمتأخرين .

فاذا كان النور الواقع على نصف الارض متحركا كان الظل الحادث منه فى النصف الآخر أيضا متحركا على أثره ومتبعا له فى سيره ، وصدق على هذا الظل انه قاف للنور فى سيره ومتبع لأثره .

القرينة الثانية

وصف هذا الجبل بأنه محيط بالأرض - كما فى الرواية الثالثة والخامسة والثامنة والتاسعة - أو انه محيط بالدنيا أو العالم ونحوه - كما فى الرواية الأولى والثانية والرابعة والسادسة والسابعة والسادسة عشرة والتاسعة عشرة .

ومعلوم ان مرادهم من الدنيا والعالم والخلائق هو هذه الأرض وما

عليها ، وان ظل الارض محيط بها وبما عليها على التوالى كاحاطة بياض العين بسوادها . فما ألطف هذا التشبيه الوارد فى نص الرواية التاسعة ؟ فى حين انه لا يوجد جبل من الصخر يحيط بالارض أو بالخلائق .

القرينة الثالثة

وصف هذا الجبل بارتفاع عظيم وانه كمسيرة ألف سنة فى المسافة - على ما فى الرواية الثامنة عشرة - وان السماء الدنيا طرفاها على هذا الجبل - كما فى الرواية الرابعة - مع ان أعظم جبال الأرض ارتفاعا كجبال هميالا لا تزيد على ثلاثة فراسخ البتة .

لكن ذلك البعد المأثور صالح للانطباق على مخروط ظل الارض ، إذ طوله عند القدماء يقرب من فلك الزهرة ، وعند المتأخرين يقرب من ثمانمائة ألف ، أى مائتى ألف فرسخ ونحو ستين ألف فرسخ .

وبعد اضافة ابعاد عرضه ومساحة استدارته - كما فى الخبر - يبلغ مسيرة ألف سنة أو اكثر ، على ان المسير المأثور مجهول القدر من حيث الآلة والزمان

وأما كون السماء الدنيا طرفاها عليه فان فسرت السماء بفلك القمر - كما إرتآه القدماء - فطرفاقوس من فلك القمر ملازم لهذا الظل - انظر شكل (١)

وبعد القمر عند القدماء قريب من اثنين وأربعين ألف فرسخ ، وعند المتأخرين قريب من اثنين وستين ألف فرسخ .

وان فسرت السماء الدنيا بما فى (الهيئة والاسلام) فانطباقه يصبح فى غاية الوضوح .

القرينة الرابعة

كون هذا الجبل ذا ذوائب ثلاث من نور : ذؤابه فى المشرق ، وذؤابة فى المغرب ، والأخرى فى وسط السماء - كما فى الرواية الثامنة عشرة .

وهذا الوصف أيضا لا ينطبق إلا على مخروط ظل الأرض ، فان شكله مثلث مستطيل محفوف بالخطوط النورية من كل جهة ، فلا يبرح مستنيراً وجهه الشرقى ووجهه الغربى ورأس مخروطه السماوى أما بنور القمر أو من احاطة الاشعة الشمسية ، فيصدق عليه عندئذ انه ذو ذوائب ثلاث من نور - انظر شكل (١) .

ولا يخفى لطافة تشبيه ذلك بالذوائب ، فان الجبال النورية والخطوط الظلامية مستر سلتان كالذوائب من جوانب هذا المخروط ومشتبكتان عليه .

القرينة الخامسة

تشبيه هذا الجبل بالزمردة الخضراء كما فى الرواية الاولى والرابعة والثامنة والثامنة عشرة ، وبالزبرجد الأخضر كما فى الرواية الثانية والخامسة عشرة والتاسعة عشرة ، وبالياقوتة الأخضر كما فى السادسة عشرة والسابعة عشرة

والفطن الخبير إذا اطلع على توصيف الشيء تارة بالزمرد الأخضر وأخرى بالزبرجد الاخضر ومرة ثالثة بأنه ياقوت اخضر عرف من ذلك ان المقصود انما هو توصيف ذلك الشيء بخضرة هذه الاعيان المختلفات فى ذواتها والمتحدات فى صفاء الخضرة ، إذ الشيء الواحد لا يكون زمرداً وزبرجداً وياقوتاً فى وقت واحد ، فليس الغرض إلا ان جبل قاف فى الخضرة كهذه الخضروات ، لا أنه من نفس هذه الأحجار الثمينة كما يتوهم .

ولقائل أن يقول : سلمنا قصد الخضرة من وصف جبل قاف بالزمرد والزبرجد ، كما سلمنا انطباقه على مخروط ظل الارض ، لكن هذا

المخروط ليس له لون ما حتى يوصف بالخضرة أو الحمرة ؟

والجواب عن ذلك : ان العرف يصف الظل بالسواد وبغيره كما يصف النور بالبياض وغيره ، وهذا مما لا شبهة فيه ولا شك يعتريه ، وظل الأرض له باطن شديد الظـــلام موصوف بالسواد عرفاً ، وهو جزؤه المصادف لأوساط الليل ، وله سطوح ظاهرة هى أوائل الظل المشتبك ظلامها بالضياء وهذه أشبه بأن تكون خضراء لأن لون الخضرة متوسط بين السواد والبياض أو مزيج النور والظلام .

ولا يخفى ان العبرة فى لون الأشياء انما هى بسطوحها الظاهرة دون البواطن ، فان الزنجى اسود والرومى أبيض باعتبار ألوانهما الظاهرة ، فعليه أصبح سائغاً وصف الظل بالخضرة والزرقة ونحوهما باعتبار ما يتراءى من أطراف ظل الارض المختلط فيها بياض النور بسواد الظلام .

ويتأيد هذا المعنى بشاهد لفظى مذكور فى الرواية الثامنة عشرة وهو : ان جبل قاف « زجة من زمردة خضراء » والزج فى اللغة طرف الشىء ، فيتفق مع تفسيرنا المذكور .

القرينة السادسة

ان السماء خضرتها من خضرة ذلك الجبل كما فى الرواية الأولى والثانية والثالثة والثامنة والعاشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة والتاسعة عشرة . وهذا الأمر انما يستغرب ان اخذت لفظة (من) الجارة نشوية فيكون المعنى بناءاً عليه ان خضرة السماء ناشئة من خضرة هذا الجبل ، فلا ينطبق حينئذ على الظل . وأما ان اخذناها جنسية انطبق على الظل ويكون المعنى ان خضرة السماء من جنس خضرة الظل ، كما يقال : « الزنجى من البشر »

أى من جنس البشر ومن صنفهم وكما تقول: « ان الزهرة من السيارات » أى من جنسها .

وهذا معنى صحيح يأتلف به ظاهر ألفاظ الاخبار ، إذ الخضرة الظاهرة فى جهة السماء انما هى من جهة ان الانوار المنعكسة عن الارض تختلط مع الظلمة المستوطنة فوق الهواء وفى موضع التعادل بين المختلطين يحصل لون متوسط بين قوة النور وبين قوة الظلمة ، وسبق فى القرينة الخامسة ان أوائل الظل أشبه بالخضرة والزرقة اللازوردية .

ويؤيد ما ندعيه كلام العلامة المحقق فيلسوف الاسلام نصير الدين الطوسى المتوفى سنة ٦٧٢هـ فى كتابه (التذكرة) وخلاصته : « ان الحكماء قالوا : ان الزرقة التى يظن الناس انها لون السماء تظهر فى كرة البخار ، لأنه لما كان ألطف أجزاء البحار اعلى واكثفه الاسفل كانت أجزاؤه القريبة منا أنوار ، إذ انعكاس النور من الاكثف أشد ومن الالطف أقل ، فصار بذلك الطبقات العليا من الهواء أظلم من الطبقات السافلة ، فيرى الناظر فى كرة البخار لوناً متوسطاً بين الظلام والضياء ، وهو اللون اللاجوردى » - الخ .

فاذا ثبت ان خضرة السماء اللازوردية انما هى اختلاط النور والظلام فى طبقات الهواء الوسطى ، كما ثبت ان أوائل الظل المخروطى لازوردية اللون وانها حادثة من اختلاط النور والظلمة وتعادلهما ، يثبت جلياً ان خضرة السماء من جنس خضرة ظل الارض ومن قبيلها .

وأما خضرة لون البحر (كما تشير اليها الرواية السادسة عشرة) فهى أيضاً من اختلاط النور النافذة فى الماء مع الظلمة المستوطنة فى قعر البحر ، فكلما بعد النور من سطح الماء غلبت عليه الظلمة ، فيحصل عند اعتدال النور والظلام لون متوسط أخضر كما سبق . وهذا هو السر فى ان البحار العميقة يضرب

لونها الى السواد ، فاذا اغترفت من مائها غرفة ذهب عنه سواده فى يديك. فظهر ان خضرة البحار من قبيل خضرة السماء، وكلاهما من قبيل خضرة ظل الارض

أما قوله فى الرواية السادسة عشرة : « حتى توارت بالحجاب » فضمير التأنيث راجع إلى الشمس عند اكثر المفسرين ، وصدق الحجاب مجازاً على ظل الارض مناسب جداً ، لأن الحجاب يستر المرئيات عن الناظرين وظل الارض - وهو الليل - يستر المرئيات أيضاً عن الابصار أشد استتاراً، وتوارى الشمس بظل الارض أيضا ظاهر ، أى توارت الشمس واختفت بسبب الحجاب وظهور مخروط ظل الارض .

وهذا الوصف لجبل قاف الذى لا ينطبق إلا على ظل الارض قابل لأن يكون مستقلاً عن الاوصاف العشرة . وأما بقية الفقرات فيؤخذ شرحها مما قدمناه .

القرينة السابعة

ان من خلف جبل قاف بحار سبعة يفصل كل بحر أرضنا عن أرض من الأرضين السبع كما فى الرواية الحادية عشرة والثانية عشرة وغيرهما ، ولا ينطبق هذا الوصف أبداً إلا على ظل الارض سواء حملنا الارضين السبع على الاقاليم كما هو رأى جماعة أو حملناها على طبقات الارض المتداخلة كما عليه الآخرون ، إذ ليس فيما بين الاقاليم بحار سبعة يفصل كل منها أرضاً عن أرض ، وليس فى الارض بحر مسافته خمسمائة عام كما تشير اليه الرواية الثانية عشرة ، مع ان حصر الاقاليم الارضية فرضى غير حقيقى . وليس أيضا بين أطباق الارض بحار فواصل ولا جبال بوارز مع ان الطبقات الارضية ثلاث عند القدماء وغير محصورة عند المتأخرين .

فاذا لم يتم التفسير بالاقاليم ولا بالطبقات ونحوهما فالاقرب ماحققناه

بدلالة الآيات والروايات فى أبواب الأرضين والسماوات من كتاب (الهيئة والاسلام) ، وتفسير البحار السبعة بالبحار السماوية المتكرر ذكرها فى الأحاديث الشريفة ، وموجز ذلك :

إن السيارات السبع - حسب ما حققه الفلكيون المتأخرون - اجرامها أراضى ذات وهاد وأنجاد وأنهار وجبال مثل أرضنا هذه ، فتصدق عليهن كلمة (الأرضين السبع) صدقاً حقيقياً ، وصرح بذلك الامام الرضا على بن موسى عليه السلام فى رواية الحسين بن خالد ، ولكل كرة من هذه الارضين ظل مخروطى يحدث وراءها من مقابلة الشمس لها ويدور حولها على شاكلة ظل الارض - كما سنبينه فى القرينة الثامنة .

والفضاء المتوسط بين سيار وسيار - أو بالاحرى بين مدار ومدار - مواج بسيال شفاف اثيرى يسمى (اتر) فيشبه البحر الهائج (١) وينقسم الى سبعة أبحر بسبب انقسام مدارات السيارات إلى ثمانية ، فالفواصل السبع بين هذه

---

(١) ويؤكد تشبيه ذلك بالبحار أمران ، هما :

١ - عظمة الطول والعرض والعمق للفضاء المتوسط بين مدار ومدار ، حتى ان أقل البعد من أقربها عدة ملايين من الفراسخ .

٢ - ان الكرات السيارة لابد لكل منها من ظل مستطيل يحدث خلفه بسبب وقوع نور الشمس على نصفها ، فيكون كل من الكرات الكبيرة والصغيرة شبيهاً بالسمك الطويل ، رأسه الجرم البيضوى لكرة والبدن ظلها المستطيل المشبك سطحه من اختلاط النور والظلام - انظر شكل-(١)

فلا تحسب المتخيلة إذا صادفت هذه الاشباح جارية فى الجو إلا صور أسماك وحيتان صغار وكبار تسبح فى بحر الفضاء . فيحصل بهذه الملاحظة مشابهة تامة بين مجارى هذه السيارات وبين البحار .

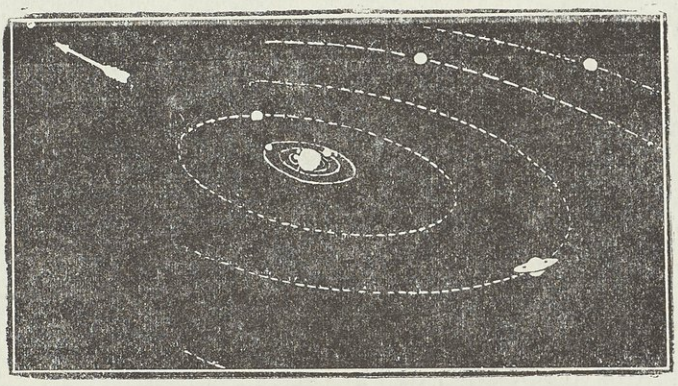

(ش - ٢) مجارى الأفلاك بحسب الهيئة الجديدة

المدارات الثمان يصح تسميتها بحاراً سبعة حسبما نوضحه لك قريباً - انظر شكل (٢) .

فبناءاً على مشابهة السيارات السبع مع أرضنا فى ظلالها وبقية أحوالها وانقسام أفلاكها إلى مدارات ثمان أولها لعطارد وآخرها لنبتون تكون الابحر السماوية بين الافلاك سبعة (١) وتكون الارضين سبعاً كما قال فى الرواية

(١) ويؤيد توجيه البحار السماوية بالمجارى المتوسطة بين مدارات النجوم أمور هى :

أ - توصيف تحرك السيارات بالسباحة فى الآيات والروايات كما قال تعالى فى سورة يس : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ وقال الامام الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام : « ومن تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك » . وقد أثبتنا -

الحادية عشرة : « حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبـــل » ، وكما قال ﷺ فى الرواية الثانية عشرة : « ان وراء قاف (يعنى ظل أرضنا) سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ، ومن وراء ذلك سبع أرضين (يعنى السيارات السبع) يضىء نورنا لأهلها » - الخ .

ويعنى من قوله : « يضىء نورنا لأهلها » ان شمسنا مضيئة على أهالى تلك الأرضين .

القرينة الثامنة

تعدد جبل قاف وانه متكثر الافراد فى عالمنا وان كان منفرداً فى أرضنا خاصة ، ويظهر ذلك من الرواية الحادية عشرة ، فان الظاهر منها

- بدلالات شرعية فى كتاب الهيئة والاسلام ان الفلك فى عرف الشرع هو مجرى السيار ومداره ، فوصف السيارات بالسباحة تناسب ملاحظة مجاريها فى الفضاء كالبحار حتى تكون تحركاتها فى ذلك الفضاء سباحة .

ب - تحديد أعماق هـذه البحار فى بعض الأخبار بمسيرة خمسمائة عام كالمروى فى توحيد الصدوق وفى بحار شيخنا المجلسى وغيرهما بسند قوى ان رسول الله ﷺ قال : « ان فى السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام » . وهذه المسافة قد وردت متكررة فى تحديد ما بين الارضين السبع ، أى من كل سيار الى كل سيار وفى تحديد ما بين السماوات السبع، أى من سماء سيارة الى سماء سيارة أخرى - على ماشرح فى الهيئة والاسلام . فيدل المجموع على المطلوب .

ج - تصريح أخبار أخر بوجود بحار من نور فى السماوات تتلألأ أنوارها ، كذلك الفضاء المتوسط بين المدارات ممتلىء من الأنوار المتلألئة، وأى نور حسى أقوى منها وأهم ؟!

تعداد سبع أرضين ومع كل أرض بحر محيط بها وجبل فيها اسمه (قاف) أو بالأحرى سمته وصفته نظراً الى متابعة الظل للنور فى سيره واقتفائه لأثره .

وهذا المعنى الغريب الذى كان يعد من الأسرار الغامضة يتضح بعد الاطلاع على الكشفيات الجديدة فى فن الفلك فان كلا من السيارات السبع أرض كأرضنا ولكل منها ظل مخروطى الشكل شبيه بالجبل كالموجود فى أرضنا ، ويحيط ذلك الجبل بتلك الأرض احاطة بياض العين بسوادها ، وكل سيارة منها تجرى فى بحر مواج سيال شفاف اثيرى يسمى (اتر) عند الافرنج ، وهو الحامل لاهتزازات دقائق النور والكهربائية .

ويتضح أمر هذه القرينة مما أوضحناه فى القرينة السابعة ، كما انه يتضح تسمية كل ظل من الظلال المخروطية للسيارات بجبل قاف مما شرحناه فى القرينة الاولى

القرينة التاسعة

ان من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس كما فى الرواية الثالثة عشرة . ومعلوم ان هذا لا يتجه إذا حملنا جبل قاف على الجبال الحجرية البارزة على متن الأرض .

وقبل العلم بالكشفيات الأخيرة فى علم الفلك فسرت هذا الحديث بأن الرواية تشير الى الأراضى القطبية ونواحيها التى هى مغمورة تحت الثلوج وترى بيضاء على الدوام كالفضة أو أشد بياضاً وهى المسماة بـ(المنطقة المتجمدة) .

وبما ان العرب عرفوا البلاد القوقاسية وأن الاراضى البيضاء بالثلوج واقعة فى شمالى تلك البلاد صح اخبارهم بأن من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة الخ .

وكنا نفسر جبل قاف بجبال القوقاس ، ونفسر « مسيرة الشمس فيها أربعين يوماً » بظهور الشمس فى المناطق المتجمدة نحو شهرين أو اكثر من جملة أيام السنة ، فى حين ان الرواية تتضمن ما يبعد هذا التفسير ، فان قوله

« طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس » لا ينطبق على أى قطعة فى مناطق الارض وعليه فالأقرب تأويل هذه الارض البيضاء بأرض (عطارد) فان جرمها من شدة القرب الى قرص الشمس مضيء أشد الاضاءة ، حتى ان حرارة الشمس على كرة هذا السيار يقاس بثمانية أمثال حرارتها فى أرضنا ، ودرجة الضوء تقاس فى عطارد بأكثر من هذا المقياس جداً ، فيناسب قوة الضوء فيها تمثيلها بالفضة المجلوة والتعبير عنها بالأرض البيضاء .

ولا يخفى ان أرض عطارد واقعة من وراء ظل أرضنا المخروطى أثناء النهار كما هى واقعة تجاهنا ليلا ، فيصح على تفسير جبل قاف بظل الارض قوله : « ان من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة المجلوة » .

فان سألتم بعد هذا عن تفسير قوله : « طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس » أجبناكم أن الفلكيين المتأخرين ضبطوا الحركة السنوية لسيارة عطارد بمدة ثمانين يوما وبضعة أيام ، فهى فى نصف هذه المدة مستضيئة بضياء الشمس فترى بيضاء وفى نصفها الآخر مظلمة بالظل المخروطى الحادث فيها ، ونصف المدة المذكورة يكون أربعين يوما بالتقريب .

ولى تأويل ثالث للرواية المذكورة مبنى على صحة ما ادعاه بعض الفلكيين فى استكشافه سنة ١٢٦٤ هـ سنة ١٨٤٦ م سيارة جديدة أقرب إلى قرص الشمس من سيارة عطارد وسموها (فلكان) فان شدة استضاءتها من الشمس جعلتها مشتعلة فى منظار الرائى كالبركان المنفجر ، فأرضها أشد بياضا من عطارد وأقرب إلى تفسير الرواية بها لو تم أمرها ، إذ انها تبعد عن قرص الشمس سبع درجات من الفلك فى حين ان عطارد تبعد ثمانى وعشرين درجة تقريبا ، وقد شرحت انطباق حركتها السنوى على قوله : « طولها مسيرة أربعين يوما للشمس » فى الهيئة والاسلام .

وتوجد آثار نبوية أخرى تشير الى هذه الارض البيضاء أوردها شيخنا المجلسي في السماء والعالم من كتاب البحار ، فروى عن مناقب الشيخ رجب البرسي المؤلف سنة ٨٠٠هـ وعن مصباح الكفعمي من علمائنا في القرن التاسع الهجري بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال له جبرئيل في حديث طويل : « والذي بعثك بالحق نبيا ان خلف المغرب أرضا بيضاء فيها خلق من خلق الله » الى ان قال الامام : « ومسير الشمس في بلادهم أربعون يوما » ـ الخ .

وروى عن السيوطي في الدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة ـ والظاهر انه جعفر بن محمد عليه السلام ـ قال : قام ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ يعني احتراما له ـ فقصد النبي نحوهم فسكتوا فقال صلى الله عليه وآله : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا الى الشمس فتفكرنا فيها من أين تجيء وأين تذهب ؟ وتفكرنا في خلق الله تعالى . فقال النبي صلى الله عليه وآله : « كذلك فافعلوا ، تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله تعالى ، فان لله تعالى وراء المغرب أرضا بيضاء ونورها مسيرة الشمس أربعين يوما فيها خلق من خلق الله تعالى » .

وان أبيتم من حمل هذين الخبرين على سيارة فلكان أو عطارد الواقعتين من جهة مغرب أرضنا نهاراً فاتخذوا الخبرين نبأ غيبيا عن أراضي أمريكا المكتشفة سنة ١٤٧٦ م الواقعة خلف مغربنا تماما .

القرينة العاشرة

ان وراء جبل قاف خلائق أو عوالم كثيرة لا يعرفون آدم ولا ولده وكل عالم منهم اكثر من ثلاثمائة أمثال آدم وما ولد كما في الرواية الرابعة عشرة والخامسة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين .

ويستدعى توضيح الموضوع من مجموع ذلك أبحاثاً خمسة :

(البحث الأول) ان الجمل المذكورة فى هذه الأحاديث لا تنطبق على الجبال الصخرية فى أرضنا كجبال القوقاس ، إذ ليس من وراء هذه الجبال بحار سبعة ولا سبعون ألف أمة ولا أقوام لا يعصون الله أو لم يفترض عليهم الصلاة والزكاة ، كما انه ليس من ورائها مئآت العوالم التى يزيد واحدها عن آدم بأكثر من ثلاثمائة مرة .

والعالم يفسر عند أعلام اللغة كالفيروز آبادى فى قاموسه بأنه الخلق كله ، أو ما حواه بطن الفلك ، أو انه مجموعة الكائنات والأمم ، وعلى هذا يعود من المحتم فرض أمثال هذه العوالم خارج أرضنا هذه .

(البحث الثانى) إذا أبت الروايات الأربع حمل جبل قاف على الجبال الصخرية الأرضية وجهناك نحو التأويل الذى شرحناه ، وتقريبه : ان الظل المخروطى لأرضنا الممتد الى ماوراء فلك القمر (انظر شكل - ١) يوجد من ورائه خلف البحار السبعة (١) أعنى ما وراء مجارى السيارات السبع (انظر شكل-٢) عوالم وسيعة الاكناف ذوات شموس كشمسنا هذه . وحول كل شمس سيارات كثيرة كبيرة تدور كل مجموعة منها حول شمسها المتمركزة فى الوسط على هيئة أفلاك

---

(١) قد سبق فى القرينة السابعة ذكر البحار السبعة السماوية وانها فى وراء جبل قاف مستشهدين على ذلك بالروايتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وقد نبهنا هذا البحث المهم على ان الرواية الرابعة عشرة مؤيدة أيضا لتلكما الروايتين ، إذ انها تصرح بوجود البحار السبعة من وراء جبل قاف ، وما هى إلا البحار السماوية التى مر تفسيرها بأوضح بيان ، وأصبح بذلك مجرانا فى تأويل الأحاديث يقوى بعضه بعضا .

شمسنا هذه ، وتلك الكرات القصية عنا لا تخلو من مخلوقات لربنا سبحانه هى أحياء عاقلة على شاكلة احياء أرضنا أو أرقى مما يعبدون الله تعالى ولا يعصونه ما أمرهم به وهم بأمره يعملون .

ونظراً الى افتراض الشموس وسياراتها الكثيرة الكبيرة لا يبعد أن تشتمل على سبعين ألف أمة أو ما يزيد عددهم على الجن والانس ، أو ان تعد عوالمهم مئات العوالم بل ألوفاً . ولا يستبعد أن يكون الواحد منها مشتملا على اكثر مما ولده آدم بثلاثمائة مرة أو اكثر ، فتنطبق الروايات والمأثورات الاسلامية على هذا الوجه القريب .

(البحث الثالث) ان اصول الهيئة الجديدة المؤيدة والكشفيات الأخيرة حملت عامة الفلكيين على القول بوجود عوالم من جنس عالمنا الحيوانى وأنظمة شبيهة بنظامنا الشمسى وكائنات أرضنا من وراء ظلها المخروطى .

وبيان ذلك على سبيل الاجمال : ان الكواكب المحسوسة بأعيننا قد لا يزيد عددها على ثلاثة آلاف كوكب ، وهى منقسمة على أقدار ستة حسب اختلاف تلألئها وتفاوت درجاتها فى التشعشع ، فأظهرهن كالشعرى من القدر الأول وأخفاهن كالسهى من القدر السادس .

وأما النظارات الفلكية (تلسكوب) أى دور بين فمن حينما اخترعها (غاليله) المتوفى سنة ١٦٤٢م الى ان تكاملت فى عصرنا الحاضر قامت ـ والحق يقال ـ بكشف ما يدهش العقول من أسرار السماوات وعوالمها المستورة فأصبحت بفضلها الكواكب تعد اليوم بأكثر من مائة وأربعين مليوناً ، ولا يخضع منها للدوران حول شمسنا هذه إلا ثمانية نجوم تسمى السيارات ، وهذه السيارات ثابت بالاتفاق لديهم كونها أراضى ذات وهاد وروابى وأنهار وأقمار على شاكلة الأرض التى نحن عليها .

وأما بقية الكواكب - وتسمى الثوابت - فقد أجمع الفلكيون فى عصرنا على انها شموس كشمسنا هذه أو اكبر ، ولكن البعد السحيق الفاصل بينهن وبين مركزنا يصغر منظرهن الى حد قد يسترهن عن الابصار ، فالذنب للعين لا للنجم فى الصغر .

وحسبك ان أقرب هذه الكواكب الثوابت الينا نجمة تسمى (دلفا) يصل نورها الى أعيننا فى مدة ثلاث سنوات ، فى حين ان النور يسرى فى كل ثانية زهاء ستين ألف فرسخ ، ولا توجد حركة ما أسرع من حركة النور ، فكم يكون بعد هذا الكوكب عنا ياترى؟! يكون بعده عن مدار نبتون نحو ستة ملايين مليوناً من الفراسخ ، فى حين ان مدار نبتون يبعد عن مركز شمسنا اكثر من تسعمائة مليون فرسخاً .

فهل يجوز العقل وصول نور شمسنا الى نجمة دلفا حتى يضيئها ويضىء ما هو أبعد منها ؟ كلا ثم كلا . لأن شمسنا العظيمة التى هى أكبر من أرضنا بمليون وأربعمائة ألف مرة قد صغرت فى أعيننا ، فترى قرصها نحو شبر بسبب بعدها عنا نحو ثلاثين مليوناً من الفراسخ ، فاذا صار بعد الشمس عن مدار نبتون ثلاثين مرة مثل بعدها عن أرضنا صغر بالضرورة منظرها فى مدار نبتون لحد يجعلها كحمصة أو كنجمة فى بادىء النظر .

فشمسنا التى صغرت على عظمتها عند مدار نبتون لهذا الحد المدهش كم يكون ليت شعرى قدرها ونورها فى حدود دلفا التى تبعد عن مدار نبتون نحو ستة آلاف مرة مثل البعد الذى بين مدار نبتون ومركز الشمس ؟ أجل يتلاشى نورها فى أثناء المسافة ، فلا يمكن أن يستفيد جرم دلفا من نور شمسنا أو من حرها شيئاً ما .

ولا بد حينئذ من تصديقنا باستقلال نجمة دلفا بنفسها فى نورها وحرارها

فتكون شمساً كشمسنا هذه فى الانارة والادارة .

وإذا صح القول فى نجمة دلفا وتم استقلالها من بين الثوابت كان غيرها من الكواكب الثابتة أولى منها بهذا الامر وأحق ، إذ المسافة بين الشمس والثوابت الأخر أبعد وأبعد ثم أبعد ، فان النور من نجمة دلفا يصل الى أرضنا فى نحو ثلاث سنوات ، ويصل النور من بعضهن (كالشعرى) الينا نحو عشرين سنة ، ويصل النور من البعض الآخر (كنجمة الجدى القطبية) نحو خمسين سنة

وفى السماء نجوم يصل نورها الينا فى خمسة آلاف سنة ، فكم تكون المسافة - ياترى - بين هذه النجوم وبين شمسنا ، وكم يكون القدر المضروب لمثل هذه الكواكب ؟ وهل يجوز مع ذلك دعوى استفادة الكواكب طراً أشعتها وأضواءها من شمسنا هذه كما زعمه الأقدمون ؟ كلا !

فلو صحت من الفلكيين هذه الدعاوى التى يستندون فى اثباتها على أدواتهم الدقيقة وآلاتهم الحديثة لزم أن يكون الكون ظرفا لشموس تفوق الحد والحصر ، وان تكون شمسنا العظيمة هذه حقيرة جداً فى جنب تلك الشموس بتمام معنى الكلمة .

وعليه يستبعد العقل من خالقنا الحكيم جل شأنه أن يترك هاتيك الشموس مسلوبة الفوائد غير مربوطة بنظام وأحكام ليس فى حضانتها أراضى مأهولة بالأحياء ، وقد قامت ضجة فى الفلكيين ولا تزال حتى اليوم قائمة على ان المريخ والمشترى وزميلات لهما من سيارات شمسنا مأهولة بالأحياء ومسكونة من قبل أناس متقدمين فى التمدن والحضارة .

وقد أوردنا كلمات القوم ومؤيداتهم فى بحث السيارات المسكونة من كتاب الهيئة والاسلام ، وذكرنا المأثورات الاسلامية التى تنص على وجود الحيوان والانسان فى الكرات السماوية .

فالخالق الحكيم الذى لم يهمل فوائد شمسنا هذه الحقيرة ولم يدع مواهبها ضائعة فى الفضاء حتى أوجد منها ولها السيارات والمدارات ، ولم يترك أراضى السيارات سدى وعبثاً حتى أوجد فيها ومنها المواليد والأشجار النامية وأجرى لها وعليها الانهار والأقمار ، وأسكنها أنواعا من الحيوان والانسان متنعمين بجوده ومترنمين بآيات مجده ، كيف يعقل أن يترك سبحانه مئات الملايين من شموس هذا الكون الوسيع مهملة ضائعة لا يستفاد من مواهبها وقواها وفيهن آلاف الألوف من الشموس التى هى أعظم من شمسنا وأعظم ثم أعظم ؟!

لذلك لا نستبعد ماجاء فى مشهد الكائنات من كشف سيارة لبعض الكواكب الثابتة فى برج السنبلة سموها (أونوريا) وهى نجمة من القدر الثانى عشر ، كما لا نستبعد ما ادعاه فلمكس ورنه الفرنسى من اكتشافهم سيارة حول كوكب الشعرى ، وما قرع من السمع من هذا القبيل .

(البحث الرابع) - قد عرفت الرأى السائد بين الفلكيين فى العصور الاخيرة واتخاذهم الكواكب الثابتة شموساً مستقلة كشمسنا فى انارتها وادارتها ومركزيتها لسياراتها ومداراتها وان السيارات طراً أراضى كأرضنا هذه مسكونة أو انها صالحة لسكنى الاحياء ، فاعرف الآن عن نبى الاسلام والائمة من آله - عليه وعليهم السلام - اشاراتهم وعباراتهم الناطقة بوجود عوالم مأهولة بالاحياء خارج أرضنا هذه ، وانها لا تنطبق إلا على كائنات الكرات السماوية ، سواء كانت فى حضانة شمسنا هذه أو فى حضانة الشموس الاخرى التى ذكرناها . ونخص من بينها أخباراً ستة :

أ - المروى فى أبواب السماء والعالم من كتاب بحار الانوار للشيخ المجلسى المتوفى سنة ١١١١هـ بالسند القوى الى الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : « ان لله عز وجل اثنى عشر عالم ، كل عالم منهم اكبر من سبع

سماوات وسبع أرضين ، ما يرى عالم منهم ان لله عز وجل عالماً غيرهم » .

فقد دل على أن فى الكون عوالم تنوف على الالوف كل عالم منها عبارة عن سماوات وأرضين وأكبر من عالمنا المؤلف من سبع سماوات ومن الارض مثلهن ، ويشير الى اشتمالها على الاحياء العاقلة التى لا تعرف عن عالمنا خبراً ولا أثراً .

ب ـ المروى فى البحار وفى فرج المهموم للسيد بن طاوس المتوفى سنة ٦٦٤هـ بسنده عن الامام السجاد على بن الحسين السبط (ع) انه قال لمنجم: « هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا فى أربعة آلاف عالم ؟ » .

ج ـ المروى فى كتاب الشيخ ابى الليث السمرقندى وفى كتاب متشابه القرآن لمحمد بن شهراشوب المتوفى سنة ٥٨٨هـ عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد » .

د ـ المروى فى الكافى للشيخ الكلينى المتوفى سنة ٣٢٩ هـ بسنده عن أبى حمزة الثمالى قال : قال لى أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر الى السماء فقال : « هذه قبة أبينا آدم ، وان لله عز وجل سواها تسع وثلاثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين » .

هـ ـ المروى فى البحار وفى فرج المهموم وفى كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسى من علماء القرن الخامس الهجرى مسنداً الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام انه قال لسرسفيل الدهقان المنجم: « فى البارحة سعد سبعون ألف عالم ، وولد فى كل عالم سبعون ألفا ، والليلة يموت مثلهم » .

و ـ المروى فى البحار وفى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق محمد بن بابويه المتوفى سنة ٣٨١ هـ بسنده عن جابر الانصارى الصحابى ان الامام الباقر محمد ابن على عليه السلام قال له : « ولعلك ترى ان الله تعالى انما خلق هذا العالم الواحد ،

أو ترى أن الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وأنتم فى آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين » .

وهذا الخبر المقدس صريح فى المطلوب ، كما أن المأثورات السابقة عليه لا تقصر عنه فى الصراحة ، وقد شرحناها وعززناها بأمثالها فى مبحث تعدد العوالم من كتاب الهيئة والاسلام ، وذكرنا ان اختلاف أعدادها عند الاخبار عنها محمول على رعاية أفكار السائلين ومقدار تحمل عقولهم ، عملا بالحديث الشريف النبوى القائل : « نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » .

وبالجملة فهذه مأثورات إسلامية تؤيد كل التأييد علماء الفلك المتأخرين فى عقيدتهم بكثرة الكرات المأهولة فى السماوات ، ولو صحت آراؤهم هذه لاضحت هذه المأثورات الثابتة عن أئمة الاسلام براهين ساطعة على صحة هذا الدين القويم وصدق نبيه العظيم بل لا أجد اليوم برهانا أقوى دلالة منها على قداسة نبينا الامين وقداسة الأئمة من آله الطاهرين - عليه وعليهم الصلاة والسلام - وان نفوسهم القدسية كانت مربوطة بالعوالم الغيبية ومستمدة من الاسرار الربوبية .

(البحث الخامس) إذا ترجح لدى الناظر ما أوردناها من آراء الفلكيين بشأن الكرات السماوية المأهولة بالاحياء وكثرة هاتيك العوالم خارج أرضنا تلك الآراء المعززة بظواهر الاحاديث الشريفة تسنى له أن يفسر المأثورات الاسلامية الواردة فى جبل قاف والعوالم التى من ورائه ، فان قوله فى الرواية الرابعة عشرة : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالما وبضعة عشر عالما خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قط ولم يعرفوا آدم

ولا ولده كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد، يفسر منه جبل قاف بهيئة ظل الكرة الأرضية المخروط الشبيه بالجبل - انظر شكل (١) وما ذكرناه فى الفصل الثانى .

وأما البحار السبعة التى هى خلف قاف فهى المجارى المتوسطة بين مدارات السيارات المواجة بالسيال الأثيرى - انظر شكل (٢) ومافى القرينة السابعة.

وتفسير المئات من العوالم فيه بوضعيات الخلائق الكائنة فى الكرات خارج نظامنا الشمسى - كما شرحناه فى البحث الثالث .

وكذلك القول فى تفسير الرواية التاسعة عشرة ، فتنطبق الروايتان على ما ارتأيناه فى جبل قاف ويكون قرينة عليه .

وأما قوله فى الرواية الخامسة عشرة: « ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من الجن والانس » فمفسر أيضاً بعوالم المخلوقات خارج أرضنا ، وقد فصلنا عنها المقال .

فظهر ولله الحمد - بعد التأمل فى القرائن العشر - ترجيح تفسيرنا لجبل قاف على بقية المحتملات فيه ، وأضحى بفضل شروحنا الوافية وتحقيقاتنا المهمة هذا الرمز الغريب أو اللغز العجيب جلياً أمره كبقية الرموز والاسرار الدينية التى كشفنا الاستار عنها فى هذا الكتاب ، بعدما لبثت تحت ستار الغموض ثلاثة عشر قرناً ، وأضحت فى مثل هذا اليوم هى البراهين الوحيدة لاثبات صدق النبى الأمين وصحة مذهب الأئمة من أهل بيته الطاهرين الذين اختصوا بعلومه وأسراره كما اختص جدهم النبى بالوحى المبين ، فعليه وعليهم أفضل الصلوات والتحيات .

فهرس تفصيلي

تقديم بقلم السيد أحمد الحسيني ٣
بين يدى الكتاب ١٧
مقدمة المؤلف للطبعة الثانية ٢١
مقدمة الطبعة الأولى ٢٣
الأغراض الداعية لتأليف الكتاب ٢٣

(مقدمات الكتاب)

أصناف المقالات المعتمدة عليها فى الكتاب ٢٩
المصادر المعتمد عليها ٣٤
طريق ترجيح أحد المتعارضين ٣٩
الشواهد الداخلية على صحة النسبة ٤١
الفرق بين التفرس وكشف المغيب ٤٤
تدرج الشريعة فى اظهار الخفايا ٤٧
التمدن الاسلامى أكمل من كل تمدن ٤٩
سبب سكوت الأديان الأخرى عن الأسرار الكونية ٥٢
فى المتفق عليه والمفترق من الهيئات ٥٥
هيئة ذيمقراطيس ٥٥
هيئة بطلميوس ٥٦

هيئة المصريين ٥٨
هيئة تيخو براهة ٥٨
هيئة فيثاغورس ٥٩
الهيئة الجديدة ٥٩

(المسألة الاولى)

فى حقيقة الفلك ومعناه ٦٤
الاستشهاد بآية « وكل فى فلك يسبحون » ٦٩
الاستشهاد بآية « والسابحات سبحاً » ٧٠
الاستشهاد بآية « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » ٧١
الاستشهاد بآية « والقمر قدرناه منازل » ٧٣
فى قول على عليه السلام : ثم علق فى جوها فلكا ٧٣
الاستشهاد بقول الصادق عليه السلام فى حقيقة الفلك ٧٤
اخبار على عليه السلام عن عدم استدارة الفلك ٧٦
نكات فى كلام على توافق المتأخرين ٧٧

(المسألة الثانية)

هيئة الأرض وما تقوم عليه ٨٠
مذاهب الحكماء فى شكل الأرض ٨١
أخبار تشير الى استدارة الأرض ٨٢
فيما تقوم الأرض عليه ٨٥
أحاديث فى كون الأرض غير محمولة ٨٦

حديث خلق الأرض على قرنى الثور أو على الحوت وتوجيه
ذلك على رأى نيوتون ٨٧

(المسألة الثالثة)

تحرك كرة الأرض ٨٩
تاريخ نمو القول بحركة الأرض ٩١
الآيات الدالة على تحرك الأرض ٩٢
تصريح الامام الصادق عليه السلام بتحرك الأرض ١٠٣
دحو الارض من تحت الكعبة ١٠٤
تصريح الامام على عليه السلام بتحرك الارض ١٠٦
المعنى اللغوى للبك والمك والدحو والدح ١٠٧
توصيف على عليه السلام خلق الارض ١٠٨
عدد حركات الارض ١١٠

(المسألة الرابعة)

تعدد الأرضين ونفى انفرادها ١١٥
السيارات أراض عند المتأخرين ١١٦
ما يدل من القرآن على كون الارضين سبعة ١١٧
تصريح الرضا عليه السلام بأن فوقنا ستة أراض أخرى ١١٨
كون تقسيم الاقاليم غير حقيقى ١١٩
ما شاهده النبى صلى الله عليه وآله فى معراجه من تعدد الارضين ١٢٠
ما جاء فى جبل قاف وشرحه ١٢١

اشارة النبي الى نجيمات المشترى ١٢١
البحار السبعة الفاصلة بين الارضين ١٢٤
أحاديث فى البحار السماوية ١٢٦
اضاءة الارضين بعضها لبعض ومسكونيتها ١٢٩
علم الأولياء عليهم السلام بأخبار الارضين ١٣١
خبر ابن سلام وترتيب الاراضى والبحار ١٣٢
اشارة النبي الى جريان الارض وكثرة خضرة المريخ وسعة المشترى ولون نباته ١٣٤
خلو بعض الارضين ومسكونية بعضها ١٣٦
ما ينتظر من تزاور سكان السماوات ١٣٨

(المسألة الخامسة)

ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة ؟ ١٤١
وجه اعتبار الارضين سبعة ١٤٢
إخبار الشرع الاسلامى عن فلكان و نبتون ١٤٣
توقع كشف جديد ١٤٧

(المسألة السادسة)

حقيقة السماوات السبع والارضين السبع ١٥٠
أقوال القدماء فى حقيقة السماء ١٥٢
السماء فى العرف واللغة والشرع ١٥٢
طبقات الهواء والاختلاف فى نهايتها ١٥٤

تحقيق الكرة البخارية وتحديدها ١٥٥
ما دل على خلق السماء من بخار الماء ١٥٧
ما دل على خلق السماء من الدخان ١٥٨
المشابهة بين البخار والدخان ١٥٩
ما دل على خلق السماء من الموج أو البحر ١٦٢
ما دل على ان السماء معدن الماء ١٦٣
ما دل على تقدم خلق الارض على السماء ١٦٤
ان الخضرة الموجودة فى الجو هى لون السماء ١٦٦
الاخبار الدالة على ان السماء تحت مدار الكواكب ١٦٧
انتهاء الهواء بالسماء ١٦٨
فى انفصال كل سماء عن الاخرى ١٧٠
اشارة الشريعة الى وزن السماء والارض ١٧١
الوزن عند القدماء والمتأخرين ١٧٢

(المسألة السابعة)

ترتيب السماوات السبع والأرضين السبع ١٧٦
الترتيب الاسلامى فى السماوات والارضين ١٧٨
تصريح الرضا عليه السلام بالترتيب الاسلامى ١٧٩
تباعد الأرضين بمسيرة خمسمائة عام ١٨١
تحديد المتأخرين للفواصل بين الاراضى السيارة ١٨٤
نتائج هذه المسألة ١٨٥

(المسألة الثامنة)

كون الشمس مركزاً لحركات الأجرام ١٨٧
حركتا الشمس ١٨٨
مخالفة ظاهر القرآن مع القدماء فى تحرك الشمس ١٨٨
دلالة القرآن على تحرك الشمس ١٩١
دوران الشمس وفوائده لنا ١٩٤
اشعار كلام على عليه السلام بتحرك الشمس ١٩٧
اشعار القرآن بمركزية الشمس ١٩٨
توجيه خبر يوهم موافقة القدماء نحو الهيئة العصرية ٢٠٠
حركة الارض ومعرفة الدرجات والبروج ٢٠٢
شرح قوله تعالى : « تغرب فى عين حمئة » ٢٠٥
ما رأى ذو القرنين فى سياحته ٢٠٥

(المسألة التاسعة)

تحقيق الصفات الخمس لجرم الشمس ٢٠٧
هل ان الشمس مصدر الحرارة والنور أم لا ؟ ٢٠٨
آراء الحكماء فى كون الشمس مثار النار ٢٠٩
تصريح القرآن بكون الشمس سراجا وهاجا ٢١٠
تصريح الباقر عليه السلام بتركب الشمس من نور ونار ٢١١
اظهار على (ع) ان وجه الشمس لو كان الى الارض لاحرقتها ٢١٣
ما يتلف من حرارة الشمس ٢١٤

زوال حرارة النيرين يوم القيامة	٢١٥
شدة لهيب الشمس وأمطارها	٢١٦
قطر الشمس وكمية جسامتها	٢١٩
بيان على عليه السلام لحجم الشمس	٢٢٠
وزن جرم الشمس	٢٢٤
دوام كرة الشمس أو زوالها وفناؤها	٢٢٧
تصريح الشريعة الاسلامية بفناء الشموس	٢٣٠
وحدة الشموس وتعددها	٢٣٣
إخبار الصادق عليه السلام بتعدد الشمس والقمر وعوالم أخر	٢٣٦
ان فى الشمس والقمر كائنات حية	٢٣٨
لكل بيئة مخلوق يناسبها	٢٣٩
اظهار الامام كثرة الشموس والأقمار	٢٤٤

(المسألة العاشرة)

فيما يتعلق بالقمر وأوصافه	٢٤٧
محل القمر من الأنجم	٢٤٧
اشارة القرآن الى محل القمر	٢٤٨
بيان على عليه السلام فى محل القمر	٢٤٩
حديث فى محل الرجوم والقمر	٢٥١
وحدة قرص القمر أو تعدده	٢٥٢
تصريح الشريعة بكثرة الأقمار	٢٥٣
آراء الحكماء فى حرارة نور الشمس	٢٥٤

بيان الامام الباقر عليه السلام فى حرارة نور القمر وتركب جرمه وبقية شؤونه ٢٥٥
الجبال النارية والبراكين فى القمر ٢٥٧
تصريح الامام الرضا عليه السلام بحرارة نور القمر ٢٥٨

(المسألة الحادية عشر)

عدد السيارات ٢٦٠
تقلبات الافرنج فى عدد السيارات ٢٦١
ميزان تى تى بوس وكشف النجيمات ٢٦١
ما دل فى الشريعة على ان السيارات سبعة ٢٦٤
ما دل فى الشريعة على انها احدى عشر ٢٦٥
أسماء السيارات الواردة فى الشريعة وتطبيقها على السيارات المكتشفة عند المتأخرين ٢٦٦
وجه تعداد احدى عشر سيارة ٢٧٣
إخبار الصادق عليه السلام بأربع نجوم خفية ٢٧٥

المسألة الثانية عشر

فى وجود جنس الحيوان فى السيارات ٢٧٨
اتفاق حكماء الغرب فى مسكونية السيارات ٢٧٩
أدلة الحكماء فى المسكونية ٢٧٩
أقوال الحكماء فى مسكونية السيارات ٢٨١
دفع استبعاد مسكونية نبتون وعطارد ٢٨٧

المقصود من الاستدل بآراء الغربيين ٢٨٩
آيات تدل على مسكونية السيارات ٢٩٥
حديث القباب وشرحه ٢٩٧
أخبار مسكونية الأرضين السبع ٢٩٨
تفسير قوله تعالى : « ومن الارض مثلهن » ٣٠٣
الارض البيضاء خلف مغربنا ٣٠٤

المسألة الثالثة عشر

فى الشهب والمذنبات وأحجار الجو ٣٠٨
اختلاف الحكماء فى حقيقة المذنبات ٣٠٩
اختلافهم فى منشأ حدوث المذنبات ٣١٠
أقوال الحكماء فى الشهب والنيازك ٣١١
الرأى الاسلامى فى الشهب والمذنبات ٣١٤
تحقيق زينة السماء الدنيا بالنجوم ٣١٧
تقسيم النبى ﷺ للنجوم وفاقاً للمتأخرين ٣١٨
اظهار على عليه السلام ما يوافق ترتيبنا فقط ٣١٩
حديث « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا » ٣٢٠
اشارة الامام الحسن عليه السلام الى الترتيب الحديث ٣٢٠
تفسير على عليه السلام للطارق ٣٢١

المسألة الرابعة عشر

تعدد العوالم والنظامات ٣٢٣

آراء الحكماء فى بعد الثوابت ٢٢٤
الثوابت شموس ذات أراضى ٣٢٧
مقدار اشراق بعض النجوم ٣٢٧
تصريح الشرع بكثرة النظامات ٣٣١
اخبار تعدد العوالم ٣٣٢
شرح حديث القباب المشهور ٣٣٧
احصاء الوفيات فى كل يوم ٣٣٨
أخبار تعدد مبادىء النسل ٣٣٩
تحقيق حول العرش والكرسى ٣٤١
فى قناديل العرش وحجبه ٣٤٤
مشابهة النظامات مع القناديل ٣٤٤
سعة أفلاك المذنبات وقوة شمسنا ٣٤٥
اظهار الشريعة شرح عوالم الكون الوافرة وتشبيهها بالقناديل ٣٤٦

خاتمة الكتاب

مقالات إسلامية توافق الهيئة العصرية ٣٤٨
إخبار الامام عليه السلام عن نجمة أرانوس ٣٤٨
تكتسب السيارات النور من الشمس ٣٥٣
آراء القدماء فى اكتساب السيارات النور ٣٥٤
مقدار اكتساب السيارات من نور الشمس ٣٥٦
فضل نور الشمس على السيارات ٣٥٧
توسط السيارات بين التوابع والجوامع ٣٥٧

رسالة جبل قاف

عزيزى القارىء	٣٦١
مقدمة المؤلف	٣٦٢
الأخبار الواردة فى جبل قاف	٣٦٣
تسمية جبل قاف	٣٦٨
ان جبل قاف محيط بالأرض	٣٧٠
وصف جبل قاف بارتفاع عظيم	٣٧١
الذوائب النورية الثلاث لجبل قاف	٣٧٢
تشبيه جبل قاف بالزمردة الخضراء	٣٧٢
خضرة السماء من خضرة جبل قاف	٣٧٣
ان من وراء جبل قاف بحار سبعة	٣٧٥
تعدد جبل قاف	٣٧٨
الأرض البيضاء وراء جبل قاف	٣٧٩
من وراء جبل قاف عوالم كثيرة	٣٨١
عدم وصول نور الشمس الى الثوابت	٣٨٤
أحاديث ستة فى تعدد العوالم	٣٨٧

BP
190.5
.S3
S5

DEC 27 1971

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55327818
BP190.5;.S3 S5 al-Hayah wa-al-Islam